دراسة

الرائدة أ.د فاطمة سالم سيف المعمري (1911 - 2002م)

: دراسة تاريخية وثائقية أكاديمية.

الدكتورة: آسية البوعلي



الطبعة الثانية

"الرائدة أ. د. فاطمة بنت سالم بن سيف المعمري

(1911 - 2002م)

دراسة تاريخية وثائقية أكاديمية:"

الدكتورة: آسية البوعلي

الرائدة أ.د. فاطمة بنت سالم بن سيف المعمري

المؤلف: د. آسية بنت ناصر بن البوعلي

(باحثة من سلطنة عُمان)

الطبعة الثانية: 2014 (مسقط)

الناشر:



بيت الغشام للنشر والترجمة

مؤسسة التكوين للخدمات التعليمية والتطوير

(سلطنة عُمان - مسقط)

للتواصل:
alghshamoman@gmail.com
هاتف: 24398889 - 99260386
ص.ب: 745 الرمز البريدي: 320
www.altakween.com

تصميم الغلاف :

أحلام بنت محمد الرحبي

رقم الإيداع485 / 2013
رقم الايداع الدولي
978-99969-55-48-8

إهداء

إلى المقام السامي

صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد بن تيمور آل سعيد .

إلى جلالته أهدي سيرة أ . د فاطمة بنت سالم بن سيف المعمري

" ألف و تسعمائة وأحد عشر إلى ألفين و إثنين للميلاد ".

آسية بنت ناصر بن سيف البوعلي

ولاء وعرفان

بكل الصدق والولاء والإخلاص، أرفع أسمى أيات الشكر والعرفان إلي راعي الفكر وباني نهضة عُمان وحامي صحوتها ، القائد المفدى، صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم حفظه الله ورعاه.

فلولا ما مَنَّ به جلالته من إفضال وإنعام على رعيته بعامة والمرأة بخاصة، ما كان لي أن أحظى بما حظيت به من مستوى فكري وأكاديمي خوّل لي تدوين هذا الكتاب، وأفخر بأنني ثمرة من ثمرات النهضة المباركة.

أسية البوعلي

مقدمة الطبعة الثانية

إن دوافع إعادة طباعة كتاب "الرائدة أ.د فاطمة بنت سالم بن سيف المعمري (1911-2002م) : دراسة تاريخية وثائقية أكاديمية"، طبعة ثانية تتمثل فيما تركه الكتاب من صدى كبير بعد صدور طبعته الأولى في عام 2008 م ، وإقبال القراء على قراءته، مما ترتب عليه نفاد كافة نسخه إبان معرض مسقط الدولي للكتاب، واستمرار القارئ في طلب طباعته مرة أخرى. وهوما تم التعبير عنه في مجموعة من المقالات.

كما أن سيرة الرائدة أ.د فاطمة سالم بعد صدور الطبعة الأولى للكتاب لم تقف عند حدود الوطن؛ سلطنة عُمان، بل عبرتها إلى الآفاق العربية، حيث تم تكريم الراحلة، في مهرجان و ملتقى رواد العرب عام 2008م، في دمشق بالجمهورية العربية السورية بوصفها رائدة أكاديمية عُمانية عربية.

وعقب ذلك تم تضمين سيرة فاطمة سالم في مجموعة من المشاريع الثقافية الوطنية كمشروع الموسوعة العُمانية لوزارة التراث والثقافة، فضلاً عن نشر مقتطفات من سيرتها إعلاميًا علي الصعيد الوطني، خلال مناسبات دولية ومحلية تتعلق بالمرأة .

و لذيوع سيرة أ.د فاطمة سالم، فإن وزارة التربية بسلطنة عُمان، أولت اهتمامًا خاصًا بنشر هذه السيرة باللغة الإنجليزية، حتي تكون في متناول القارئ الأجنبي. كما تفضلت معالي وزيرة التعليم العالي الدكتورة: راوية بنت سعود بن أحمد البوسعيدية بتدشين الترجمة الإنجليزية للكتاب في الخامس والعشرين من شهر مارس 2013م .

ولكون الكتاب المذكور سلفًا، بحثًا أكاديميًا يتتبع منهجية التأريخ والتوثيق لسيرة الآخر، فقد ارتأينا تضمين ملحق هذه الطبعة، كل ما استتبع الطبعة العربية الأولى من صدى، فضلًا عما تركته الترجمة الإنجليزية للكتاب من أثر ثقافي، سواء ورد ذلك في شكل أخبار صحفية، أو مقالات، أو شهادات تكريم، أو صور لدروع تكريم، أو رسائل ومستندات رسمية، أو غير ذلك مما يخص أ.د فاطمة سالم بعد رحيلها، وذلك حتى يتسنى للقارئ الاحتفاظ بكافة المفردات

المتعلقة بالرمز؛ فاطمة سالم، و هي مفردات نراها كفيلة بأن تتحول مع الزمن إلى تاريخ، شأنها في ذلك شان صاحبة السيرة ذاتها.

وختامًا، لا يسعني إلا أن أتقدم إلى "بيت الغَشّام للنشر والترجمة : مؤسسة التكوين للخدمات التعليمية والتطوير"، بوافر الشكر والتقدير على احتضان مشروع الطبعة الثانية لهذا الكتاب. وأخص بالشكر الزميل الكاتب المبدع: محمد بن سيف الرحبي مدير "بيت الغَشّام"، والشكر موصول إلى كل من: الفاضلة أحلام بنت محمد بن سيف الرحبي على مجهودها الرائع في التصميم الفني لهذه الطبعة، والى بقية العاملين بـ "بيت الغَشّام" على مساندتهم في إخراج الكتاب إلى النور.

د. آسية البوعلي.

مستشار العلوم الثقافية بمجلس البحث العلمي.

مسقط - سلطنة عُمان.

6 أكتوبر 2013 م.

تصدير

إنه لشرف عظيم لي أن أكتب هذه الكلمات لتقديم هذا الكتاب الرائع للدكتورة: آسية البوعلي ، و الذي يحوي سيرة حياة أ. د فاطمة بنت سالم بن سيف المعمري. و أهمية ما دُوِّنَ في هذا الكتاب من سيرة الآخر ، لا يكمن في أنه عمل تاريخي وثائقي فحسب، بل في تجسيده لصورة حية عن شخصية امرأةٍ يُعد تراثها ذا قيمة استثنائية.

فقد كان لاسهامات أ.د فاطمة سالم، بوصفها رائدة وباحثة ونموذجًا يحتذى به، صدى و قيمة إبان حياتها، و لازالت بذات الأهمية إلى يومنا هذا لا سيما في ظل ازدياد أعداد نساء العالم العربي اللائي يسعين لتحقيق أحلامهن بالولوج في المناصب والمسؤوليات.

لقد كان للنساء العُمانيات دور أساسي داخل الأسرة على مدار التاريخ، ومن ثَمّ تم اعتبارهن العمود الفقري لمجتمعهن. وعليه، ليس بمستغرب أن هؤلاء النسوة، كن واثقات من ذواتهن حين باشرن دورهن الريادي خلال عقود النهضة العُمانية المعاصرة واستطعن إثبات كفاءتهن، وأهليتهن للمهام المنوطة بعهدتهن. ورغم كل هذا أقول: إن وجود الرمز أو المثل الأعلى المُحتذى به من قبَل هؤلاء النساء يعد أمرًا أساسيًا في حياتهن. وآية ذلك حياتي ذاتها إذ أعتبر نفسي محظوظة للغاية لوجود كل من: خالتي أ.د فاطمة المعمري، ووالدتي سميرة المعمري في حياتي. وهما اللتان تمثلان بالنسبة إليّ المثل الأعلى، إذ إليهما يعود فضل حثي وتشجيعي والدفع بطموحاتي قُدمًا حتي نيل درجة الدكتوراه في واحدة من أفضل جامعات العالم.

وكما هو مبين من خلال ما أدليتُ به من شهادات مدونة بهذا الكتاب أن خالتي أ.د فاطمة سالم ووالدتي سميرة لم تكونا أختين فحسب، بل كانتا توأمين روحيين. لذا فبعد رحيل والدتي لم يكن هناك مَنْ يحل موضعها على المستويين: العاطفي والنفسي بالنسبة إليّ سوى خالتي فاطمة. ولكن كما هو واضح ومبين من خلال شهادة الآخرين من أفراد عائلتي وغيرهم أنني لم أكن الوحيدة التي تأثرت ببصمة فاطمة سالم؛ الأستاذة الأكاديمية والباحثة الاستثنائية والمربية الفضلى والمرأة والإنسانة.

وفي تقديري فإن قيمة هذا الكتاب لا تكمن في إبرازه الجوانب الإنسانية والعقلية لفاطمة سالم، بل في ما يقدمه من قراءات لخصت فكر فاطمة سالم الأكاديمي عبر نماذج من أبحاثها الجادة مثل: "كيكرو: الخطب الكتيلينية" و "مسرحية أندريا ترانتيوس" و "فن الشعر لهوراتيوس: النقد الأدبي"

وختامًا، إن هذا الكتاب المُلَوِن والمتنوع في جوانبه والمتسم بالعمق وبالجدية بوصفه دراسة أكاديمية، استطاع أن يجعل سيرة الآخر المُضمنة فيه بصمة كلاسيكية، فتحية للدكتورة آسية البوعلي على إنجازها الرفيع.

د. راوية بنت سعود بن أحمد البوسعيدية(*)
وزيرة التعليم العالي

(*) معالي الدكتورة: راوية البوسعيدية حتى طباعة هذا الكتاب هي أيضًا
- نائب رئيس مجلس البحث العلمي.
- ورئيسة مجلس إدارة جامعة السلطان قابوس.
- ورئيسة مجلس إدارة دار الأوبرا السلطانية.

" سيوجد يومًا مَنْ يدون سيرتي ولو بعد قرن من وفاتي "

فاطمة سالم

رغبة في حياة جميلة و أملاً في ميتة نبيلة كتبتُ هذا الكتاب

آسية البوعلي

مقدمـة الطبعة الأولى

اغتنامًا لمناسبة إعلان مسقط عاصمة للثقافة العربية في عام 2006م، واهتداءً بالنهضة المباركة التي أرسى قواعدها وقاد مسيرتها منذ عام 1970م صاحب الجلالة السلطان: قابوس بن سعيد المعظم، حفظه الله ورعاه، فإنني أضع بين يدي القارئ الكريم هذا الكتاب الذي يتناول سيرة الآخر ليتبين بين دفتيه كيف تسنى لامرأة عُمانية أن تعتلي أعلى المراتب، لتصبح رمزًا من رموز الثقافة في عصر آمن بريادة المرأة والفكر المستنير، ذلك العصر الذي أعاد ملامحه وأضاف إليه صاحب الجلالة: السلطان قابوس بن سعيد المعظم بما حباه الله من عقلية فذة وحكمة بالغة، الأمر الذي مكّن المرأة العُمانية - إبان نهضته المجيدة - من إثبات ذاتها في شتى مجالات الحياة، ومعاودة القيام بدورها الرائد، حيث باشرت العمل في مجال الشرطة في عام 1970م، لتصبح أول امرأة عربية تقتحم هذا المجال. هذا فضلاً عن أن صاحب الجلالة حماه الله، قلّدها مناصب متدرجة حتى اعتلت منصب الوزير في عام 2002م، لتصبح بذلك أولى وزيرة خليجية.

وغنى عن القول أن ريادة المرأة العُمانية غير المسبوقة موجودة أيضًا في مجال الأدب على الصعيد العربي، إذ ترجع جذورها إلى الحقبة التاريخية (1844-1924م)، حين دونت الأميرة العُمانية السيدة: سالمة بنت سعيد بن سلطان آل سعيد، سيرتها الذاتية باللغة الألمانية في كتاب عنوانه "مذكرات أميرة عربية"[1]، تُرجم إلى مختلف اللغات نظرًا لما يعكسه من جوانب إبداعية رسمت بجدارة مختلف الآفاق التي شكلت حياة أميرة عربية، بكل ما فيها من خصوصية هوية وإحساس بالغربة.

والحقيقة التي لا تغفلها البشرية هي أن اليوم والغد ما هما إلا الأمس بمرجعية تاريخية، والتاريخ بما يتخذه من شخوص وأماكن ومشاهد وأحداث، موضعًا للرصد، قد يغير أو يطمس أو يسهو - في متاهة مساحات تدوينه - عن كثير من التفاصيل، كبيرها وصغيرها. من ثم يتبلور الهدف الذي يرمى إليه هذا الكتاب، وهو الاحتفاظ بحق الآخر في التخليد، والكشف الأمين عن أعماله وآثاره، خوفًا من عامل الزمن، الذي قد يسقط رمزًا نادرًا، يشكل بداخلنا معانٍ عظيمة وقيمًا بنّاءة.

1 - راجع: السيدة سالمة بنت سعيد بن سلطان آل سعيد. مذكرات أميرة عربية؛ ترجمة سلمى صالح، ط1، ألمانيا، منشورات الجمل، 2002م. وراجع أيضًا: المرجع ذاته؛ ترجمة عبد المجيد حسيب القيسي، مطبوعات وزارة التراث والثقافة، مسقط، (د.ت).

والآخر الذي هو موضع التخليد، هو الراحلة الأستاذة الدكتورة: فاطمة بنت سالم بن سيف بن سعيد بن ماجد بن سعيد المعمري، المرأة الفضلى، والرائدة العظيمة التي رسمت بخطاها، خريطة من العطاء الفكري والإنساني، تستوجب الدراسة والاقتداء، لاسيما أن ريادتها تشكّلت عبر ظرفية زمانية خاصة وفريدة، تنضح بما وهبته المرأة من حياتها للعِلم، وما كرّسته من وقتها للمعرفة، حتى باتت في طليعة أقرانها، عَلَمًا من الأعلام، ورائدة من رواد عصرها، شهد على كفاءتها أفذاذ، ينتمون إلى عصر العمالقة.

ومما لا ريب فيه أن ريادة فاطمة سالم، ريادة من نوع خاص، تؤكدها استثنائية الظرف التاريخي، إذ أتيح لها ما لم يتح لغيرها من نساء عصرها. ففي الوقت الذي لم يكن للمرأة أن تغادر دارها، تم ابتعاثها في مطلع الخمسينات من القرن العشرين في بعثة دراسية لنيل درجة الدكتوراه من إنجلترا. كما كان لها إسهاماتها العلمية، فضلاً عن تقلّدها أعلى المناصب الأكاديمية، وتتويجها بأرفع أوسمة التكريم.

هذه الريادة، تمتزج دومًا بداخلي، ليختلط فيها العام بالخاص. فكون الراحلة في مكانة الخالة لأمي والعمة لها في آنٍ معًا، جعلها بمثابة جدتي. وهذه الكينونة بما تنطوي عليه من قرب وحميمية، كفيلة بدفعي نحو الانكباب على دراسة سيرتها، لا بغرض التدوين التاريخي فحسب، بل بغية البحث عن انتصار لإرادة الإنسان والكيفية التي يصبح بها عَلَمًا يقتدي به طلاب العِلم، من ثم فإن عالم أ.د. فاطمة سالم، بكل ما فيه من تجربة فريدة، كان - ولا يزال - منبع دهشتي وتقديري.

وإنني مدينة لها بما أنا فيه الآن، فلا أظن أنني كنت سأتشح بدكتوراه النقد، ما لم تكن الراحلة جدتي. وأقر أن المسافة بيننا لا تسمح إلا بوضعي على الطريق ذاته الذي رسمته لي ولثلة من الأهل والأقارب الذين راهنوا على العِلم بوصفه وجودًا، والمعرفة باعتبارها حياة، في محاولة جادة لمحاكاة المثال: فاطمة سالم.

وواقع الأمر أن الراحلة اختارتني، دون بقية أحفادها - ربما للتطابق النفسي بيننا - للاحتفاظ بأوراقها الخاصة وشهاداتها ووثائقها وبعض مؤلفاتها، التي تُعد الشاهد الحقيقي على إنجازاتها وعلى عظمتها وتفردها، الأمر الذي ولَّد لديَّ الرغبة في تدوين سيرتها أثناء حياتها، بيد أن إصرارها الشديد على ألا أقوم بذلك آنذاك، يرجع إلى إيمانها الراسخ بأن سيرتها بصمة من بصمات التاريخ يصعب محوها وصفحة من صفحاته ليس من اليسير طيّها، فعلى حد قولها، سيوجد - يومًا- مَنْ يدون هذه السيرة ولو بعد قرن من وفاتها.

وجدير بالذكر أن ما احتفظتُ به من مستندات تخص جدتي لم يكن كافيًا لكتابة سيرتها. ذلك أن سيرة الآخر لا تكتمل إلا بالكشف عن مكنون الجوانب الاجتماعية والعلمية والعملية، والإلمام بهذه الجوانب يستلزم القيام بخطوة أولية أساسية، تتمثل في الحصول على الملف الجامعي للراحلة فاطمة سالم، الذي يعود تاريخه إلى عام 1933م.

ولما كان الملف في مرجعيته التاريخية، لا ينتمي إلى عصر الحاسوب والإنترنت، بكل ما فيهما من تقنيات حديثة للبحث والاسترجاع، فإن للقارئ أن يتصور كم واجهت من تعقيدات بيروقراطية، ما كان لي أن أخترقها لولا التدخل الكريم والمساندة المشكورة لسفارة سلطنة عُمان بالقاهرة، وله أن يتخيل كم تجشمتُ من صعاب في سبيل الحصول على هذا الملف بالطرق التقليدية؛ إذ تطلب الأمر حشد مجموعة من الموظفين والسُعاة للبحث عنه وسط أكوام آلاف الملفات المغطاة بالأتربة، في مخازن إدارة جامعة الإسكندرية. الأمر الذي استغرق قرابة شهر (يونيو 2002م).

وملف خدمة أ.د. فاطمة سالم، المدوّن تحت رقم (321) بسجلات إدارة كلية الآداب جامعة الإسكندرية، وتحت رقم (13) بسجلات مبنى رئاسة الجامعة ذاتها، كان المفتاح لتدويني هذا الكتاب، الذي سبقته محاولات نشر مصغرة، تحوي ومضات من سيرة الراحلة، وهي ومضات تشكل النواة الأولى لمحتويات الكتاب الذي بين أيدينا. وقد تمثلت تلك الومضات في أربع حلقات، تم نشرها في جريدة "الوطن"[2].

كما تم اختصارها وترجمتها إلى اللغة الإنجليزية ونشرها في جريدة الأوبزيرفر "Observer"[3]، فضلاً عن إعادة صياغتها مرتين على هيئة بحثين موجزين، نُشر أحدهما في مجلة "نزوى"[4] الثقافية، والآخر في مجلة "الجمعية المصرية للدراسات اليونانية والرومانية"[5].

والكتاب المشار إليه، يحمل عنوان: "الرائدة أ. د. فاطمة بنت سالم بن سيف المعمري

2 - راجع: آسية البوعلي. الأستاذة الدكتورة فاطمة بنت سالم بن سيف المعمري: رائدة من رائدات القرن الماضي، سيرة حياة، 4 حلقات بجريدة الوطن الأعداد(7009-7010-7011-7012)، مسقط، 22-25 سبتمبر 2002م.موقع الجريدة www.alwatan.com

3 - See. Asyah Al Bualy. An Intellectual with a Difference, "Features", Oman Daily Observer, 17 th December 2002, PP. 12 - 13.

4 - راجع: آسية البوعلي. في ذكرى رحيل الرائدة أ.د. فاطمة بنت سالم بن سيف المعمري. مجلة نزوى الثقافية، مؤسسة عُمان للصحافة والنشر والأنباء، مسقط، عدد 39، يوليو 2004م، ص ص 28-44.موقع المجلة www.nizwa.com

5 - راجع: آسية البوعلي. الرائدة فاطمة بنت سالم بن سيف المعمري. مجلة الجمعية المصرية للدراسات اليونانية والرومانية، القاهرة، الكتاب السنوي الخامس 2004-2005م، ص ص 455-482. موقع المجلة www. esgrs- escl. com

(1911- 2002م): دراسة تاريخية وثائقية أكاديمية"، يقع في ثلاثة فصول، إلى جانب مقدمة وملحق يحوي صورًا وشهادات ووثائق ومستندات خاصة بالراحلة.

يتناول الفصل الأول، حياة أ.د. فاطمة سالم (1911-2002م) بأبعادها المختلفة؛ إذ يعرض لمولدها ونشأتها ومراحل تعليمها، وثنائية جنسيتها وتدرجها الوظيفي، فضلاً عن ألوان تكريمها، ومقر إقامتها، وأخيرًا رحيلها، وذلك اعتمادًا على الوثائق والمستندات والشهادات الرسمية وأوراقها الخاصة وتاريخ عائلتها.

ويتناول الفصل الثاني أقوال وشهادة مَنْ عرفها عن قرب من بعض شخصيات صاحبات السمو من العائلة المالكة (آل سعيد) وأقارب الراحلة وزملائها وطلابها وجيرانها.وهذه الأقوال التي تم جمعها على مراحل زمنية مختلفة، لها أهميتها في استكمال ما ورد في الفصل الأول عن سيرة الفقيدة وثائقيًا على اعتبار أنها شاهد عيان على هذه السيرة، لأنها صدرت عن أناس عاصروها وعرفوها عن كثب، ومن ثم فهي الأجدر بالتصديق، إذ لا تعد أحاديث عادية، بل ترقى إلى أعلى درجات الرصد والتوثيق للوقائع والمشاهد. ومن هذا المنطلق كان الحرص على جمعها وتدوينها؛ حيث تعكس – في تقديري – الملمح الحقيقي لشخصية فاطمة سالم: الإنسان، المربية، الباحثة، الأستاذة. هذا فضلاً عما تفيض به الكلمات من نبرات الصدق وصور الحب، وما تحويه من ذكريات مشجوة ومفعمة بالحيوية، تحكى عن الأمس البعيد وكأنه قريب، وتطوى المسافات الزمنية، فيبدو الماضي حاضرًا.

هـذا وينبغي الوضع في الاعتبـار أنه قد تـم ترتيب هـذه الأقـوال بطريقة الاسترجاع (Flash Back). حيث قمتُ برصد أقوال ومواقف بعض شخوص العائلة المالكة تجاه الراحلة، لما لها من أهمية في إبراز المكانة الاجتماعية التي حظيت بها في مرحلة الشيخوخة، ثم أعقبت ذلك بسرد أقوال الأقرباء و الآخرين عنها، بما يعكس مختلف مراحلها العمرية.

أما الفصل الثالث، فيقدم قراءات لبحوثها، من حيث ما تضمنته من أفكار وقضايا، ويعقب كل قراءة خاتمة توجز أهم ما تم التوصل إليه من نتائج.

ويلزم التنويه إلى أنني في عرضي لقراءاتي لتلك البحوث، راعيتُ ترتيبها الزمني التصاعدي، وفق تاريخ النشر، فبدأتُ ببحث عنوانه "كيكرو: الخطب الكتيلينية"، بوصفه باكورة الإنتاج العلمي للأستاذة الدكتورة: فاطمة سالم، إذ أنجزته عام 1956م عقب نيلها درجة الدكتوراه عام

1955م. ثم أتبعت ذلك بقراءة لبحث آخر عنوانه: "أندريا ترنتيوس" نشر في عام 1964م، تلتها قراءة لبحث ثالث بعنوان: "فن الشعر لهوراتيوس: النقد الأدبي"، وقد تم نشره في عام 1965م.

ولقناعتي الذاتية أن التقدير الحقيقي للإنسان، لا يتأتى إلا عبر مناقشة أفكاره وكل إنتاجه العلمي الأكاديمي، الأمر الذي نستشعر معه استمراريته رغم رحيله، فإنني كنتُ أتمنى أن تسبق القراءات الثلاث المقدمة في هذا الفصل، قراءتان أخريان تخصان بحثيْ الماجستير(1942م) والدكتوراه (1955م) للراحلة، بيد أن فقدان الأول وعدم العثور له على أثر في المكتبات بمصر، وكذا اعتذار جامعة لندن عن إرسال البحث الثاني واشتراطها في ردها على مخاطبتي لها أن يكون الطالب له هيئة أكاديمية أو جهة رسمية معينة، فضلاً عن عدم موافاتي بالرد من قبل الجهات المعنية بجامعة السلطان قابوس على خطابي فيما يتعلق بهذا الموضوع. كل ذلك حال دون تقديم هاتين القراءتين.

وأود أن ألفت النظر إلى أن محتويات هذا الكتاب تلبي اهتمامات القارئ بنوعيه: الأكاديمي والعادي، من ثم حرصتُ كل الحرص على الاحتفاظ بأسماء الشخصيات وأحداثها، تلبية لرغبة مَنْ يريد تحويل موضوعات الكتاب إلي أي شكل من الأشكال الفنية.

وختامًا، أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى وزارة التراث والثقافة، لقاء ما أبدته من اهتمام جم ليخرج الكتاب إلى حيز النور.

وأخص بالشكر العميم صاحب السمو السيد: هيثم بن طارق بن تيمور آل سعيد، وزير التراث والثقافة (الموقر). والشكر موصول إلى معالي وزير الدولة (الموقر) الشيخ: محمد بن أحمد الحارثي "وكيل الوزارة سابقًا" لتفضل معاليه مشكورًا بقراءة مسودة الكتاب ولفت انتباهي إلى مواضع النقص.

ولا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى سعادة الشيخ: حمد بن هلال المعمري "وكيل الثقافة بالوزارة"؛ إذ لم يدخر سعادته وقتًا لقراءة مسودة الكتاب، وكان لآرائه أثرها في سد أوجه النقص بها.

كما أشكر جميع الزملاء أعضاء لجنة البحوث والدراسات والكتب بالوزارة، نظرًا لما أبدوه من اهتمام كبير في الإطلاع على الصياغات المختلفة السابقة على صدور الكتاب.

وأوجه الشكر إلى كل مَنْ ساهم بأقواله في الكتاب كي يخرج بصورته الحالية، وأخص بالشكر: الصديق الفنان معالي: محمد بن الزبير بن علي، مستشار جلالة السلطان لشئون التخطيط الاقتصادي، لتصميمه غلاف الكتاب، وصاحبة السمو السيدة: كاملة بنت طارق بن تيمور آل سعيد (الموقرة) على قيامها بالمراجعة الأخيرة والدقيقة للكتاب.

أسية البوعلي

القاهرة - جاردن سيتي يوليو 2006م

الفصل الأول:

سيرة حياة أ.د. فاطمة بنت سالم بن سيف المعمري

سيرة حياة
أ.د. فاطمة بنت سالم بن سيف المعمري

فاطمة سالم: المولد والنشأة.

ولدت الراحلة في جزيرة (زنجبار) بجنوب شرق أفريقيا، في الثالث من مارس 1911م، كما هو مثبت بشهادة ميلادها الصادرة من وزارة الصحة بتاريخ 27 مارس 1918م.

والراحلة عُمانية الأصل، إذ ولدت من أبوين عُمانيين هما: خديجة بنت عبدالله بن حمد البوسعيدي، وسالم بن سيف بن سعيد بن ماجد بن سعيد المعمري. وتمتد جذور قبيلة المعمري التي تنبع منها فاطمة سالم، إلى وادي بني عمر الذي يصل منطقة الباطنة بمنطقة الظاهرة، وتحديدًا ولاية صحم بولاية عبري.

وماجد بن سعيد المعمري، الجد الأكبر لفاطمة سالم، هو صاحب سور "ماجد" الكائن بمنطقة الباطنة بسلطنة عُمان. وقد كان ماجد أحد قادة جيوش السلطان السيد: سعيد بن سلطان ابن الإمام أحمد بن سعيد.

عُرف ماجد بن سعيد المعمري، بشجاعته وحكمته وسداد رأيه. ومن ثم كانت القبائل العُمانية تقصده لإبداء الرأي وإسداء النصح. كما كان السلطان سعيد بن سلطان يأخذ بمشورته[1].

آثر ماجد بن سعيد الهجرة إلى "زنجبار" العاصمة الرسمية لعُمان في أفريقيا آنذاك، حيث أنجب ابنه سعيداً الذي أنجب بدوره ابنه "سيف" وهو الجد المباشر لفاطمة سالم. وقد عرف سيف بن سعيد المعمري بثرائه العريض؛ إذ كان يمتلك مزارع قرنفل وجوز هند شاسعة بجزيرتي "زنجبار" و "بمبا". كما كان معروفًا بثرائه في قرية "منزفة" ولاية "إبراء" بالمنطقة الشرقية بالسلطنة، حيث عُرف بيته باسم "البيت الكبير".

وفي زنجبار، أنجب سيف بن سعيد المعمري أولاده الثلاثة: ماجد وسالم وسعيد.

تعد فاطمة بنت سالم بن سيف المعمري، الزنجبارية المولد، إحدى جاليات المهجر العُماني

1 - راجع: حميد بن محمد بن رزيق بن بخيت (1274هـ). الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، ط2؛ تحقيق عبد المنعم عامر ومحمد مرسي عبدالله، مسقط، وزارة التراث القومي والثقافة، 1404هـ-1984م، ص ص 463، 466. ولاحظ أن اسم الشيخ ماجد بن سعيد المعمري قد ورد في الكتاب باسم ماجد بن سعيد البرواني، بيد أن مقارنة الشواهد بمثيلتها في كتب أخرى تؤكد أن ماجد بن سعيد المعمري هو ذاته ماجد بن سعيد البرواني المذكور في كتاب الفتح المبين.

الأفريقي، الذي بدأ في القرن السادس عشر الميلادي، مواكبًا للفتح العُماني الإسلامي لمناطق أفريقيـة بعينها، منها: زنجبار، بمبا، تنزانيا، كينيا، رواندا، بروندى... إلخ. ويبدو - على الأرجح - أن القبائل العُمانية قد دأبت على الرحيل إلى تلك المناطق حتى قبل الفتح العُماني من أجل التبادل التجاري والمصالح المشتركة بين عُمان وتلك المناطق.

وقد نجم عن الهجرة العُمانية استيطان العُمانيين لتلك المناطق حتى12 يناير عام 1964م وهو تاريخ قيام ثورة الزنوج ضد العُمانيين بزنجبار، مما أدى إلى تقلص النفوذ العُماني بالمنطقة، ومن ثم عودة القبائل العُمانية إلى موطنها الأصلي؛ سلطنة عُمان.

ولما كان المجتمع العُماني بزنجبار قائمًا - في الغالب - على الإقطاع والرأسمالية، فقد تم تصنيفه مجتمعًا أرستقراطيًا، ينعم بسمات الوعي والنفوذ والمال. ونظرًا لانتماء فاطمة سالم لهذا المجتمع، فمن البديهي أن تكون سليلة أسرة تتمتع بحس حضاري وذوق فكري يقيمان وزنًا للثقافة بصفة عامة وللتعليم بصفة خاصة، إيمانًا بأن قيمة الإنسان و عظمته تكمن في السعي وراء ما يزيده أصالة وعمقًا.

وبما أن مصر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين كانت عاصمة الثقافة ورائدة حركة التنوير في الشرق الأوسط، فقد آثر الأخوان سالم وسعيد المعمري الرحيل إليها قبل عام 1918م، طلبًا لتعليم أولادهما وبناتهما وتثقيفهم، لاسيما بعد وفاة أخيهما الأكبرماجد، بزنجبار التي اقتصر التعليم بها على تلقين النشء القرآن الكريم في "الكتاتيب"، وتعليمهم المواد التخصصية في "مدارس التبشير المشتركة" "ST. Joseph's CO- Educational Convent School" التي اختصت بتعليم أبناء الطبقات الراقية باللغة الإنجليزية. ورغم الكفاءة المشهودة للتعليم بهذه المدارس، فإن اقتصارها على التدريس باللغة الإنجليزية، كان أحد مساوئها، إذ افتقر خريجوها إلى اللغة العربية، ومن ثم فرضت عليهم تخصصات باللغة الإنجليزية في التعليم العالي.

ولم تكن هيمنة اللغة الإنجليزية على التعليم بزنجبار العامل الأوحد في عدم معرفة اللغة العربية، إذ ساهمت عوامل اجتماعية أخرى في اضمحلالها، منها الزواج العُماني الأفريقي الذي أثمر هجنة أكدت التراجع التدريجي للغة العربية، فاقتصرت على مجالس الرجال، ثم ضعفت مع الأبناء والأحفاد الذين تأثروا بألسنة الجدات والأمهات الأفارقة إلى درجة أصبحت معها العربية لغة شبه معدومة في المجتمع العُماني بزنجبار؛ إذ حلت محلها اللغة السواحلية، بوصفها لغة الحياة اليومية المعاشة.

لقد حدت الملابسات التعليمية والاجتماعية السالفة الذكر، بسالم بن سيف المعمري (الأب)

إلى الرحيل إلى القاهرة حيث استقر به المقام في مجتمع عربي يتسم برحابة الأفق والانطواء على ثقافات متنوعة.

ولئن كان الوضع المالي قد يسّر لسالم مبتغاه، فإن ما حققه من نجاح لم يكن ليتأتى؛ لولا إصراره وعزيمته، وإدراكًا منه لضرورة إكساب أسرته الشعور بالدفء وعدم الإحساس بالغربة ترسيخًا للاستقرار النفسي، فقد سارع في اقتناء العقارات والأراضي لأولاده وبناته بمختلف أحياء القاهرة، منها: ميدان الجيزة - حي المنيرة - منطقة حدائق القبة - حي جاردن سيتي، وكذا مدينة المهندسين التي انتقل إليها في نهاية الخمسينات إثر بيع معظم ممتلكاته في المناطق الأخرى.

ولما كانت مدينة المهندسين في تلك الفترة تعد منطقة زراعية نائية نسبيًا، تتسم بالسكينة والهدوء، فقد قرر سالم بن سيف أن يشيّد بها بيتًا صغيرًا سماه "فيلا الوفاء"، وفاءً لمصر التي ترعرع بها أولاده وبناته، ووفاءً للثقافة والعِلم.

وجدير بالذكر أن فاطمة سالم هي الأخت الصغرى لأخت غير شقيقة "من الأم فقط" تدعى رية، كما أنها الأخت الكبرى لأخت شقيقة هي اعتدال، ولإخوة وأخوات غير أشقاء "من الأب فقط" هم على التوالي: محمد، زكية، سميرة، عواطف، سيف، ناصر، ولدوا جميعًا بزنجبار، عدا سيف الذي ولد بالقاهرة، وتعلموا جميعًا بمصر حتى المرحلة الجامعية، وشغلوا وظائف مرموقة بسلطنة عُمان.

ويلزم التنويه إلى أن فاطمة سالم التي لم تتزوج، كانت نبعًا للأمومة ومعينًا للعطاء و التضحية، فقد قامت على تربية إخوانها وأخواتها، وعلى رعاية أولادهم وأحفادهم. وقد توّجت رعايتها الروحية لأفراد عائلتها برعاية فكرية؛ إذ غرست فيهم قيمة العِلم إلى الحد الذي أوصل أحفادها إلى نيل درجة الدكتوراه، مما يؤكد قول شاعر النيل، حافظ إبراهيم:

الأم مدرسةٌ إذا أعدَدتَها   أعدَدتَ شعبًا طيّب الأعراق

فاطمة سالم ومراحلها التعليمية.

في مستهل القرن العشرين، جرى العرف أن ترسل العائلات الميسورة ماليًا في مصر، أبناءها وبناتها للتعلم في مدارس خاصة، يتم التدريس فيها بلغات مختلفة: العربية، الإنجليزية، الفرنسية، الألمانية... إلخ. وساير سالم بن سيف المعمري الوضع، فألحق أولاده وبناته بمدارس خاصة، تنوعت لغة التعليم بها بين العربية والإنجليزية والفرنسية، باستثناء ابنته فاطمة التي

أُلحقت بمدرسة حكومية هي مدرسة "السنية" الواقعة بحي السيدة زينب وعنوانها (1) شارع خيرت المواجه لشارع المبتديان بالقاهرة.

وتعد مدرسة السنية - التي تعلمت فيها فاطمة سالم منذ المرحلة الابتدائية حتى المرحلة الثانوية - أول وأعرق مدرسة حكومية ثانوية للبنات فقد أنشأتها نظارة المعارف (وزارة التربية والتعليم) عام 1873م لتعليم البنات تعليمًا نموذجيًا كان - ولا يزال - مجانيًا.

وغني عن البيان أن نظارة المعارف قد وفرت للمدرسة هيئة تدريس مكونة من مدرسات إنجليزيات نظرًا لأن لغة التعليم بها كانت الإنجليزية، باستثناء مادة اللغة العربية. كما قسمت النظارة مراحل التعليم إلى مرحلتين: الابتدائية والثانوية ومدة الدراسة بكل منهما خمس سنوات. وتنقسم المرحلة الثانوية إلى قسمين: سنتين أوليين تُمنح الطالبة بمقتضاهما شهادة "الكفاءة"، يليهما ثلاث سنوات تحصل الطالبة في نهايتها على شهادة "البكالوريا" أي الثانوية العامة.

وتجدر الإشارة إلى أن فاطمة سالم التي حصلت على شهادة الكفاءة من مدرسة السنية عام 1927م، كانت واحدة من ثماني بنات هن الدفعة الأولى التي حصلت على هذه الشهادة استنادًا إلى مجلة "L'Egyptienne" أي "المصريات" وهي مجلة كانت تصدر شهريًا باللغة الفرنسية، ومقرها (2) شارع قصر النيل بالقاهرة، وقد خصصت أبوابها لعرض شؤون مصر السياسية، وموضوعات تتعلق بالمرأة والمجتمع والفن. وفي السنة الثالثة من تاريخ صدورها، وتحديدًا في عددها الثاني والثلاثين الصادر في نوفمبر 1927م، وفي الصفحة السادسة نشرت صورة فوتوغرافية للخريجات اللائى حصلن في السنة ذاتها على شهادة الكفاءة من مدرسة السنية، باعتبار ذلك حدثًا فريدًا. وقد ذكرت المجلة أسماء الخريجات على النحو التالي: فاطمة سالم - فضيلة عارف - عطية عبد الرزاق - سميرة سالم - زهيرة عبد العزيز - فهيمة فهمي - نعيمة الأيوبي - ثروت التونسي.

وفي يناير 1973م، وبمناسبة الاحتفال بالعيد المئوي لمدرسة السنية (1873م - 1973م)، صُدر كتيب تذكاري ذُكر فيه اسم فاطمة سالم بوصفها إحدى خريجات الدفعة الأولى لهذه المدرسة.

والدليل القاطع على نيل فاطمة سالم شهادة الكفاءة عام 1927م، شهادة البكالوريا الصادرة عن نظارة المعارف العمومية المصرية بتاريخ 21 نوفمبر عام 1929م والمدون بها: فاطمة سالم سيف المولودة في زنجبار بتاريخ 3 /3 /1911م، تخرجت في القسم الأدبي بمدرسة السنية نظام الخمس سنوات، وذلك في شهر يونيو 1929م.

وإذا كان حصول فاطمة سالم وزميلاتها على شهادتيْ الكفاءة والبكالوريا يُعد حدثًا له أثره في

المجتمع المصري، فإن الحدث الأكبر منه أثرًا يتمثل في التحاقهن بالجامعة [2]، الذي يُعد نقلة نوعية ونقطة تحول جذرية في المسار التعليمي للبنات لا في المجتمع المصري فحسب بل في الوطن العربي بأسره، نظرًا لما في هذا الالتحاق من كسر لقاعدة تعليم البنات الذي اقتصر على المرحلة الابتدائية، وكذا تأكيده أهداف حركة التنوير السائدة في مصر آنذاك ومن بينها النهوض بالمرأة اجتماعيًا وفكريًا.

في عام 1929م، التحقت فاطمة سالم بكلية الآداب بالجامعة المصرية "جامعة القاهرة حاليًا"، وحصلت على شهادة الليسانس من قسم الدراسات القديمة دور مايو 1933م، كما هو مدون بالشهادة الصادرة من الجامعة المصرية بتاريخ 6 يوليو 1933م.

وبناءً على رغبة فاطمة سالم في العمل بمجال التدريس وتمشيًا مع متطلبات العصر في إبراز دور المرأة في المجتمع، كان التحاقها بمعهد التربية للبنات لمدة عام، الذي تخرجت فيه في فبراير عام 1937م، وقد نالت دبلوم التربية الصادر من نظارة المعارف المصرية بتاريخ 11 مايو 1937م.

وفي 16 مايو 1942م حصلت فاطمة سالم على درجة الماجستير بمرتبة الشرف الثانية من قسم الدراسات القديمة بكلية الآداب جامعة فؤاد الأول "الجامعة المصرية سابقًا" بالمملكة المصرية، وذلك على النحو المبين في شهادة الماجستير المؤرخة في مارس 1943م.

وفي عام 1951م أُرسلت فاطمة سالم إلى بريطانيا في بعثة دراسية على نفقة الحكومة المصرية، بوصفها مواطنة مصرية، حيث نالت درجة دكتوراه الفلسفة في اللغة اللاتينية من كلية الآداب جامعة لندن University of London وذلك في الثامن من نوفمبر 1955م.

فاطمة سالم العُمانية المصرية.

لعل في موقف ابتعاث فاطمة سالم العُمانية للدراسة في بريطانيا على نفقة الحكومة المصرية، بوصفها مصرية، ما يبعث على الغرابة، لاسيما أنه لا يغيب عن وعي القارئ أن من شروط نيل الجنسية المصرية في الدستور المصري آنذاك أن يكون الطالب لها مصري المولد فضلاً عن آبائه وأجداده، أو أن تكون امرأة أجنبية متزوجة من مصري (وقد أجاز الدستور المصري حاليًا منح الجنسية لمن أمه مصرية)، وهي شروط لا تنطبق برمتها على فاطمة سالم المولودة في زنجبار، العزباء، العُمانية. ومع ذلك، تم منحها الجنسية المصرية بصفة استثنائية بناءً على قرار من مجلس الوزراء المصري في 15 ديسمبر 1942م. ولتبيان ذلك نسوق فيما يلي الوقائع التالية:

2 -عن هذا الالتحاق وكيفيته راجع: الإنترنت موقع:http://www.Cu.edu. eg/arabic/General%20Info/SocialActivities.htm.

في عام 1942م وبعد نيلها درجة الماجستير من كلية الآداب جامعة فؤاد الأول، تقدمت فاطمة سالم بطلب إلى إدارة الجامعة لتعيينها في وظيفة مدرس بالكلية أسوة بزميلاتها المصريات. ولما كان قانون التوظيف بالنسبة للجاليات الأجنبية في مصر يجيز التوظيف بعقود مؤقتة قابلة للتجديد، فإن إدارة الجامعة لم توافق على تعيين فاطمة سالم. فالتعيين حق للمصريين فحسب، يترتب عليه مزايا كالبعثات الدراسية، والتأمينات الاجتماعية ورواتب التقاعد؛ (المعاشات).. إلخ، الأمر الذي استاءت منه فاطمة سالم، فقدمت التماسًا إلى أستاذها الدكتور طه حسين، رئيس جامعة الإسكندرية آنذاك، شارحة فيه موقف الجامعة من التعيين، ومن ثم رفضها البعثة الدراسية.

ولما كان الأستاذ الدكتور طه حسين، عميد الأدب العربي، على صلة حميمة بأسرة فاطمة سالم، وبمثابة الأب الروحي لفاطمة سالم التي كانت طالبة مقربة إليه؛ فهو الذي وجهها نحو التخصص في مجال الدراسات الأوروبية القديمة في مرحلة الليسانس، فإنه لم يتوان في التقدم بطلب إلى مجلس الوزراء المصري مزكيًا إياها لمنحها الجنسية المصرية، ومعبرًا عن إيمانه بعدم كبح الكفاءة وحق الإنسان في العِلم والثقافة بصرف النظر عن نوعه وجنسيته، فجاء قرار مجلس الوزراء بالموافقة. وفي 15 يناير 1943م تم تعيينها بوظيفة مدرس بكلية الآداب جامعة فؤاد الأول التي تغيّر اسمها في ذلك العام إلى جامعة فاروق.

وفي مطلع الخمسينات تم ابتعاثها إلى بريطانيا لنيل درجة الدكتوراه على نفقة الحكومة المصرية، باعتبارها مواطنة مصرية.

فاطمة سالم والتدرج الوظيفي.

جدير بالذكر أن فاطمة سالم قد شغلت عدة وظائف بعقود مؤقتة منذ عام 1936م حتى عام 1942م شأنها في ذلك شأن كل الجاليات الأجنبية في مصر. وكان أول راتب تقاضته هو خمسة عشر جنيهًا مصريًا، وآخر راتب هو مائة وأربعون جنيهًا مصريًا تقريبًا، وذلك في عام 1973م.

والوظائف التي شغلتها هي:

- مدرسة لغة إنجليزية اعتبارًا من 10 /10 /1936م بمدرسة الأميرة فوقية التابعة لنظارة المعارف العمومية (وزارة التربية والتعليم).
- مدرسة لغة إنجليزية اعتبارًا من 16 /5 /1937م بمدرسة السنية التابعة لنظارة المعارف العمومية.
- معيدة بكلية الآداب بالجامعة المصرية اعتبارًا من 11 /9 /1937م بناءً على انتداب الجامعة لها.

- التعيين في وظيفة مدرس بكلية الآداب بالجامعة المصرية اعتبارًا من 27 /9 /1942م، نظرًا لحصولها على درجة الماجستير.

- في العام نفسه، وبناءً على طلب جامعة الإسكندرية، تم انتدابها للتدريس بقسم الدراسات الأوروبية القديمة بكلية الآداب بالجامعة.

- العمل مدرسًا بكلية الآداب جامعة بغداد "العراق" في الفترة 1946 - 1948م حيث ساهمت في إنشاء أول كلية تربية "معلماتط للبنات في بغداد.

- التعيين في وظيفة أستاذ مساعد بقسم الدراسات الأوروبية القديمة بكلية الآداب جامعة الإسكندرية، اعتبارًا من 21 /4 /1957م.

- التعيين في وظيفة أستاذ بقسم الدراسات الأوروبية القديمة بكلية الآداب جامعة الإسكندرية، اعتبارًا من 31 /7 /1966م.

- التعيين في وظيفة رئيس بقسم الدراسات الأوروبية القديمة بكلية الآداب جامعة الإسكندرية، في الفترة 1 /11 /1965 - 11/ 10 /1969م.

- الاستقالة من قسم الدراسات الأوروبية القديمة بكلية الآداب جامعة الإسكندرية في 1 /1/ 1971م.

- الانتداب لتدريس اللغة اللاتينية بقسم الحضارة اليونانية والرومانية بكلية الآداب جامعة الإسكندرية في الفترة من أكتوبر 1971م حتى أبريل 1973م.

- العودة إلى سلطنة عُمان في بداية عام 1974م حيث تم تعيينها في مطلع الثمانينات أستاذة لتدريس اللغة الإنجليزية للضباط بوزارة الدفاع وقوات السلطان المسلحة.

وبالرجوع إلى الوظائف السابقة التي شغلتها الأستاذة الدكتورة فاطمة سالم، نلاحظ أن مهنة التدريس بكلية الآداب جامعة الإسكندرية كان لها النصيب الأوفر من مراحل خدمتها، مما يستأهل إعطاء نبذة تاريخية عن هذه الكلية التي تُعد أقدم من جامعة الإسكندرية ذاتها؛ إذ يرجع تاريخ نشأتها إلى عام 1938م، حيث كانت فرعًا لجامعة فؤاد الأول "جامعة القاهرة حاليًا"، في حين ترجع نشأة جامعة الإسكندرية إلى عام 1942م، وبذا تُعد الكلية أول مؤسسة جامعية للتعليم والبحث العلمي بمدينة الإسكندرية بعد مكتبة الإسكندرية القديمة التي أنشأها حاكم مصر بطليموس الأول عام 288 ق.م. وقد تغيّر مقر الكلية منذ نشأتها.

ففي الفترة 1938 - 1942م كان مقرها مبنى "ويلهام شتراوس" بشارع الكنيسة الإنجليزية بحي

بولكي، وفي الفترة 1942 - 1944م انتقل المقر إلى مدرسة العباسية الثانوية بحي محرم بك. وفي الفترة 1944 - 1947م، كان المقر هو قصر الأمير طوسون بامبروز على الترعة المحمودية. وفي الفترة 1947 - 1958م اتخذت الكلية مقرًا لها مبنى الملجأ البحري للنيابة الرسولية على الطريق البحري بحي الشاطبي. وأخيرًا ومنذ عام 1958م حتى وقتنا الحالي، اتخذت الكلية مقرًا لها بجامعة الإسكندرية في أرض الحدائق بحي الشاطبي[3].

هذا عن كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، أما قسم "الدراسات الأوروبية القديمة" الذي قامت بالتدريس فيه الأستاذة الدكتورة فاطمة سالم، فترجع نشأته إلى عام 1943م، حين أمر الأستاذ الدكتور طه حسين بتأسيسه. وقد تغيّر مسمى القسم عدة مرات. ففي بداية الخمسينات وحتى عام 1963م أُطلق عليه قسم "التاريخ والآثار" وذلك بعد تأزم العلاقات المصرية البريطانية في تلك الفترة مما تسبب في رحيل الأساتذة الأجانب عن القسم الذي تغيّر مسماه في عام 1967م ليصبح قسم "الحضارة اليونانية والرومانية" بعد دمجه في قسم الآثار اليونانية والرومانية، واستمر القسم عشرين عامًا بهذه التسمية يضم شعبتين إحداهما للآثار اليونانية والرومانية والأخرى للدراسات الأوروبية القديمة. وفي عام 1988م، تغيّرت التسمية إلى قسم "الآثار والدراسات اليونانية والرومانية"[4].

فاطمة سالم والبحث العلمي.

للأستاذة الدكتورة فاطمة سالم، مجموعة من البحوث، تتمثل فيما يلي:

(1) رسالة ماجستير بعنوان: "فن الهجاء عند الرومان في شعر هوراس وجوفينال: مقابلة ومقارنة"، قسم الدراسات القديمة، كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، مايو 1942م.

(2) رسالة دكتوراه الفلسفة في اللغة اللاتينية، في موضوع بنية الساتورا لدى جوفينال "The Structure of Juvenal's Satires"[*]، جامعة لندن، نوفمبر 1955م.

(3) "كيكرو: الخطب الكتيلينية"، القاهرة، المطبعة العالمية "16 شارع ضريح سعد"، 1956م، عدد الصفحات 148 صفحة.

3 - حول تاريخ كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، راجع كتاب: كلية الآداب، اليوبيل الذهبي (1942 - 1992م)، جامعة الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ص ص3-9.

4 - راجع: السابق. ص ص 29-28.

(*)لاحظ أن عنوان موضوع الدكتوراه غير مدون بالشهادة، فقد تم التوصل إليه بواسطة إحدى هوامش أبحاث أ.د. فاطمة سالم سيف وهو بحث بعنوان (فن الشعر لهوراتيوس والنقد الأدبي)، والترجمة العربية للعنوان من عندنا.

(4) "أندريا ترنتيوس"، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، المجلد الثامن عشر، 1964م، الصفحات من 209 - 299.

(5) "فن الشعر لهوراتيوس والنقد الأدبي"، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، المجلد التاسع عشر، 1965م، الصفحات من139 - 192.

وجدير بالذكر أن طرفًا من هذه البحوث منشور على شبكة المعلومات العالمية "الإنترنت" على موقع www. Middle- east- online. com

كما أن بعضها يُعد بحوث ترقية، منشورة في مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية "مجلة علمية مُحَكمة"، ومما يلفت الانتباه أن عدد صفحات بعض هذه البحوث يربو على المائة صفحة، وهو أمر غير معهود في البحوث الأكاديمية للترقية حاليًا، إذ يشترط عدم تجاوز عدد صفحاتها الأربعين صفحة على الأكثر، مما يفسر قلة البحوث العلمية لجيل الرواد المتخصصين في الدراسات اليونانية واللاتينية، لاسيما إذا علمنا أن اللغتين اليونانية واللاتينية من أصعب اللغات، سواء فيما يتعلق ببنية الجملة لغويًا أو بطبيعة علاقة الكلمة بسوابقها ولواحقها ناهيك عن صعوبة الترجمة من هاتين اللغتين إلى اللغة العربية مباشرة نظرًا لاختلاف أصليهما عن أصل اللغة العربية، فهما ينتميان إلى مجموعة اللغات الهندية الأوروبية أي "الآرية" بينما تنتمي العربية إلى اللغات السامية، مما يستوجب الاستعانة بالقواميس الوسيطة (لاتيني - إنجليزي أو لاتيني - فرنسي أو لاتيني - ألماني... إلخ) كوسيط أثناء الترجمة إلى اللغة العربية، الأمر الذي يستغرق وقتًا طويلاً وجهدًا كبيرًا للوصول إلى أفضل سياق عربي يلائم السياق اللاتيني عبر سياقات اللغات الوسيطة "الإنجليزية- الفرنسية - الألمانية ... إلخ".

فاطمة سالم بين الريادة والتكريم.

إن الحديث عن ريادة الأستاذة الدكتورة فاطمة سالم يرتبط بمستويين؛ أولهما الوطن العربي بصفة عامة، وثانيهما دول مجلس التعاون الخليجي بصفة خاصة، فعلى المستوى الأول تُعد فاطمة سالم إحدى رائدات القرن العشرين في المجال الأكاديمي فهي بحصولها على درجة الدكتوراه عام 1955م تُعد - تاريخيًا - ثاني امرأة تحصل على هذه الدرجة، إذ سبقتها في ذلك الأستاذة الدكتورة فاطمة عابدين، أول امرأة عربية "مصرية" نالت درجة الدكتوراه في الطب البشري، تخصص علم الباثولوجي عام 1949م. كما تنتمي فاطمة سالم إلى أول دفعة بنات تخرجن في الجامعة وحصلن على درجة الليسانس عام 1933م.

أما على المستوى الثاني، فإن فاطمة سالم العُمانية، أول من حظي بالتعليم العالي ونال درجة

الدكتوراه؛ إذ لم يسبقها في ذلك رجل أو امرأة، وهو أمر قد يغيب عن وعي الكثيرين، ومن ثم لزم التنويه إليه.

وإذا كان من الطبيعي أن ينال الرواد حظهم من التكريم، فإن الأستاذة الدكتورة فاطمة سالم قد نالت التعبير والاعتراف بما اتسمت به من كفاءة وتميّز وخصوصية في المجال الأكاديمي والبحث العلمي، وذلك على مستويين: الدولة والجامعة.

فعلى المستوى الأول؛ أي الدولة، تم تكريم فاطمة سالم بميدالية ذهبية تذكارية في عام 1978م من قبل الرئيس الراحل محمد أنور السادات في الاحتفال الذي أقيم بمصر، تكريمًا لجيل رواد ورائدات القرن العشرين واعترافًا بدورهم البنّاء. كذلك تم تكريمها بسلطنة عُمان في الأول من ديسمبر عام 1982م في الاحتفال المقام بالنادي الجامعي "الثقافي حاليًا" من جانب وزارة التربية والتعليم وشؤون الشباب كما كانت تسمى آنذاك، على اعتبار أنها أول مَنْ حظي بالتعليم العالي ونال درجة الدكتوراه بسلطنة عُمان.

واعتمادًا على ما تم تدوينه من سيرة أ.د فاطمة سالم الحياتية والتاريخية والوثائقية في الطبعة الأولى من هذا الكتاب، كرمت الراحلة (*) بوصفها رائدة أكاديمية عُمانية عربية للمرة الأولى بعد رحيلها، بشهادة تقدير ودرع تكريم في مهرجان وملتقى الرواد والمبدعين العرب بدمشق - الجمهورية العربية السورية في الفترة من 20 - 22 ديسمبر 2008م، والمهرجان كان تحت رعاية كل من: جامعة الدول العربية، ووزارة الثقافة السورية، و فخامة الرئيس الدكتور: بشار الأسد.

وفي 4 فبراير 2008م أدخلت وزارة التراث والثقافة بسلطنة عُمان، نبذة عن سيرة الراحلة في مشروع الموسوعة العُمانية. وفي 8 مارس 2009 م وبمناسبة اليوم العالمي للمرأة، كرمت وزارة التنمية الاجتماعية و وزارة الداخلية بسلطنة عُمان الراحلة فاطمة سالم في ولاية إبراء، بدرع تكريم تجسد في باب خشبي يمثل التراث العُماني ورسالة تقدير اعترافًا بدورها الريادي، كما وزعت الوزارة في هذه المناسبة كتيبًا بعنوان "نساء رائدات من ولاية إبراء : كتيب خاص بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي للمرأة" حوى ملخصًا عن سيرة فاطمة سالم.

وفي 17 أكتوبر 2009 م وبمناسبة يوم المرأة العُمانية نشرت وزارة التنمية الاجتماعية في ملحق "مازون" ملخصًا بعنوان "فاطمة المعمرية: رائدة في محراب العلم" وذلك بمناسبة ندوة

(*) ملحوظة : أي تكريم ذكر في المتن ويخص فاطمة سالم بعد رحيلها في "عُمان وسورية"، لم يدرج في الطبعة الأولى من هذا الكتاب.

المرأة التي أقيمت في التاريخ ذاته تحت رعاية معالي وزيرة التعليم العالي الدكتورة: راوية البوسعيدية .

أما على المستوى الثاني؛ أي الجامعة، فقد تم تكريم فاطمة سالم من قبل جامعة الإسكندرية عام 1978م بمنحها شهادة تقدير اعترافًا بجهودها في الأبحاث العلمية التي قامت بها طوال فترة خدمتها أستاذة للغة اللاتينية، فضلاً عن أداء رسالتها في مجال التعليم وخدمة المجتمع.

ولم يقف تكريم فاطمة سالم عند هذا الحد، بل إنه أخذ أشكالاً أخرى غير مباشرة، تؤكد تواصل ذكرى الرواد وتخليد أسمائهم عبر الزمان، وهو ما يُعد من وجهة نظري أسمى أنواع التكريم. ففي مناسبة احتفال جامعة الإسكندرية بيوبيلها الذهبي (1942 - 1992م)، أصدرت كلية الآداب بالجامعة كتابًا قامت بطبعه دار المعرفة الجامعية، ورد في صفحته التاسعة والعشرين اسم أ.د. فاطمة سالم ضمن أسماء الأساتذة المعترف بإسهاماتهم العلمية وجهودهم في النهوض بقسم الدراسات الأوروبية القديمة في عام 1963م، إثر رحيل الأساتذة الأجانب عنه، نظرًا لتأزم العلاقات المصرية البريطانية بدءًا من عام 1951م.

وفي 26 أكتوبر عام 2002م، وبمناسبة افتتاح الرئيس محمد حسني مبارك مكتبة الإسكندرية وهو افتتاح اعتبر حدثًا ثقافيًا بالغ الأهمية، لا على مستوى مصر فحسب، بل على مستوى العالم بأسره، أصدرت كلية الآداب بجامعة الإسكندرية عددًا تذكاريًا للمجلة الخاصة بها، يتكون من خمسة مجلدات تضمنت بحوثًا جادة ودراسات متعمقة لجيل الرواد فيما يتعلق بالإسكندرية وبلغات مختلفة (العربية والإنجليزية والفرنسية)، وذلك بغرض إعادة نشرها لتحظى بالاستمرارية ولتكون موضع إفادة للجميع. وتحقيقًا لهذا الغرض، أعيد نشر بحث أ.د. فاطمة سالم وعنوانه "فن الشعر لهوراتيوس" في كتاب (الإسكندرية عبر العصور في ذاكرة المجلة - بمناسبة افتتاح مكتبة الإسكندرية)، وقد تضمنته الصفحات 175 - 235 في المجلد الأول من هذا الكتاب الذي طبعته كلية الآداب بالجامعة.

مما تقدم، يتبين مدى ارتباط اسم أ.د. فاطمة سالم بالواجهة الثقافية لمدينة الإسكندرية، إذ ورد اسمها مرتين، الأولى في القرن العشرين حين أنشئت جامعة الإسكندرية عام 1942م، والثانية في القرن الحادي والعشرين عند افتتاح مكتبة الإسكندرية عام 2002م، بعد إعادة بنائها، مما يعكس قيمة تكريم فاطمة سالم وأهميته.

وجدير بالذكر أن سلطنة عُمان؛ الموطن الأم لفاطمة سالم، أعطتها المكانة اللائقة بها،

بعد العودة إليها واستقرارها بها (1974 - 2002م). فرغم تواضعها الجم الذي حال دون إلمام الكثيرين بسيرة حياتها ومرجعيتها التاريخية ومكانتها الأكاديمية، فإنها حظيت باحترام الجميع وتقديرهم لاسيما أصحاب وصاحبات السمو أفراد العائلة المالكة (آل سعيد) ومسؤولي الدولة والشخصيات المرموقة، وبذا نالت مكانة ومعاملة خاصة في حياتها وبعد مماتها.

فاطمة سالم ومقر الإقامة.

أقامت فاطمة سالم خلال سنوات عمرها في أماكن مختلفة. ففي القاهرة أقامت وهي في طور الطفولة بشارع الرشيدي بحي المواردي، ثم لم تلبث أن انتقلت إلى (15) شارع الجوّالي بحي المنيرة، وظلت به حتى أتمت المرحلة الجامعية، وبعدها انتقلت إلى (10) شارع النادي المطل على ميدان الجيزة، ومنذ نهاية الخمسينات حتى عام 1974م، أقامت بحي المهندسين حيث (فيلا الوفاء)، (29) شارع إسماعيل أباظة (سنان سابقًا). وفي مدينة الإسكندرية، كان سكنها بحي الشاطبي، (18) شارع هيرودوت، الدور الأول، شقة رقم (1)، كما أقامت في منطقة لوران في فيلا صغيرة مقابل البحر، طريق الجيش رقم (421).

أما في سلطنة عُمان، فقد سكنت منطقة مرتفعات القرم بولاية مسقط، طريق رقم(2411) منزل رقم (844) شقة رقم (2).

فاطمة سالم والرحيل عن دنيانا .

بعد أن استقر المقام بفاطمة سالم في سلطنة عُمان منذ عام 1974م، لفظت أنفاسها الأخيرة بمستشفى وزارة الدفاع وقوات السلطان المسلحة بمنطقة الخوض بمسقط العاصمة، وذلك في تمام الساعة السابعة مساء يوم الاثنين الموافق الثامن من شهر يوليو عام 2002م، عن عمر يناهز واحدًا وتسعين عامًا (3 مارس 1911 - 8 يوليو 2002م).

الفصل الثاني:
أقوال منْ عرفوا فاطمة سالم عن قُرب

أقوال منْ عرفوا فاطمة سالم عن قُرب

أولاً: أقوال صاحبات السمو.

من الأهمية بمكان أن أضع بين يدي القارئ أقوال ومواقف بعض شخصيات الأسرة المالكة "آل سعيد" تجاه الراحلة فاطمة سالم، مما يبرهن على ما حظيت به من مكانة.

- صاحبة السمو السيدة: أميمة بنت سعيد بن تيمور (*) (طيّب الله ثراها).

في أواخر شهر سبتمبر عام 2002م، تلقيتُ مكالمة هاتفية بمنزلي، بمسقط، وكم كانت المفاجأة حينما علمتُ أنها مكالمة من لندن، تكرمت بها صاحبة السمو السيدة: أميمة بنت سعيد، رحمها الله، معربة عن عزائها لأسرتي في وفاة المغفور لها فاطمة سالم، ومبدية عميق حزنها لرحيل أستاذتها؛ قائلة: "إن العلاقة التي جمعت بينهما، كانت من الحميمية والقرب، بحيث لم تقتصر على الأستاذية، بل تعدتها إلى الصداقة الشخصية، نظرًا لإقامتهما معًا لفترات طويلة، وأنها تعلمت على يديها قواعد اللغة العربية، فضلاً عن القراءات العديدة لمختلف الكتب، إذ القاسم المشترك بينهما كان حب الثقافة".

ولم تخف صاحبة السمو، سعادتها الغامرة بما قرأته من سيرة فاطمة سالم المنشورة في حلقات بجريدة الوطن، معربة في الوقت ذاته، عن قلقها وتوجسها خيفة من اندثار ما كتب مع مرور الزمن، ومن ثم أكدت لي في نهاية مكالمتها ضرورة تضمين كل ما نشر في كتاب موسع، يحوي التفاصيل الدقيقة عن حياة فاطمة سالم؛ فالكتاب - على حد قول سموها - سيبقى دومًا حتى بعد وفاتنا جميعًا. كما أبدت استعداد سموها لمساعدتي وإمدادي بأية معلومات تفي بالغرض، حال عودتها إلى السلطنة.

- رحيل صاحبة السمو عن دنيانا.

كانت الفاجعة كبرى، فلم يمهل القدر سمو السيدة: أميمة لتحقيق أمنيتها في قراءة الكتاب عن فاطمة سالم، إذ وافتها المنية بعاصمة الضباب في يوم الثلاثاء الموافق 26 نوفمبر عام 2002م.

(*) لاحظ أن المرحومة السيدة :أميمة هي أخت صاحب الجلالة السلطان: قابوس بن سعيد المعظم.

ولما كان لي شرف مقابلة سموها - رحمة الله عليها - أكثر من مرة برفقة والديَّ في كل من صلالة ولندن حين كان أبي سفيرًا للسلطنة ببريطانيا في بدايات السبعينات وحتى منتصف ثمانينات القرن العشرين، فقد آلمني فراقها كثيرًا ، وكلما تذكرت كلماتها وهي تؤكد لي على موضوع الكتاب، تولَّد لديَّ إحساس وكأن سموها شعرت بأن القدر لن يمهلها وأنها ستلحق بأستاذتها في العام ذاته.

وولاءً لسموها ووفاءً لكلماتها، عقدتُ العزم على جمع ما نُشر في جريدة الوطن وإعادة صياغته على هيئة بحث موجز، قمتُ بنشره في مجلة نزوى الثقافية، مهدية إياه إلى روح سموها العطرة في مناسبة الذكرى الثانية لرحيل فاطمة سالم (يوليو 2004م)[1].

- الكتاب سيبقى دومًا.

إن هذه الجملة المضمنة في المكالمة الهاتفية التي تفضلت بها سمو السيدة: أميمة رحمها الله، كان لها وقعها ومردودها؛ إذ فوجئتُ في نهاية شهر أغسطس عام 2004م برسالة عاجلة إلى جامعة السلطان قابوس، مرسلة إليَّ من أ.د. أحمد عتمان (الذي لم يكن لي سابق عهد بمعرفته) معربًا فيها عن قراءته لما قمت بنشره من بحث موجز بمجلة نزوى الثقافية (التي توزع في مختلف البلدان)، ومبينًا أنه أحد طلاب أ.د. فاطمة سالم، طالبًا مني إعادة صياغة ما تم نشره تمهيدًا لنشره في فصل خاص تحت عنوان "لوحة شرف" بمجلة الجمعية المصرية للدراسات اليونانية والرومانية، وقد لبيتُ مطلبه.

- صاحبة السمو السيدة: كاملة بنت طارق بن تيمور (الموقرة).

بعد أن أتممتُ صياغة المسودة الأولى لهذا الكتاب في شهر أغسطس عام 2005م، وبما أن العمل البحثي يمر بعدة مراحل فكرية، يقبل خلالها الحذف والإضافة والتعديل، فقد جال بخاطري أن مِن بين مَنْ عرف الراحلة فاطمة سالم، سمو السيدة: كاملة، التي نلتُ شرف مقابلتها في ثلاثة مواقف، كان لها أثرها العميق بداخلي لما احتوته من بعد حضاري وإنساني، يسمو فوق كل رقي،أذكر من هذه المواقف

1 - راجع: آسية البوعلي. مجلة نزوى الثقافة، مرجع سابق، ص28.

ماله علاقة بالراحلة فاطمة سالم، إذ قمت وبصحبة عائلتي و الراحلة، بزيارة لسمو السيدة: كاملة و حين حان وقت تناول العشاء، دعت سموها الراحلة للجلوس على رأس المائدة ، بيد أن الأخيرة أبت مؤكدة أنه لا يليق بها الجلوس في مكان سموها(*)، فما كان من صاحبة السمو إلا أن أصرت على رأيها، قائلة في رقة بالغة وتواضع جم: "إذن لا عشاء لنا الليلة إلا بجلوس الدكتورة على رأس الطاولة".

بيد أن الظروف حالت دون رؤية سمو السيدة كاملة منذ عام 1985م، ولم يكن لديَّ سبيل للاتصال بسموها.

وفي إبريل عام 2006م، راودتني فكرة الاتصال بسموها عبر أخيها صاحب السمو السيد: شهاب بن طارق بن تيمور الموقر (مستشار صاحب الجلالة ورئيس مجلس البحث العلمي)، الذي تشرفتُ بلقاء مطول مع سموه، نظرًا لاهتماماته الخاصة بالفنون التشكيلية. وعليه تركتُ بمكتب سموه، نسختين من مسودة هذا الكتاب، تضم النسخة سبعين صفحة، إحداهما لسموه والأخرى لسموها.

مر يومان، وفي صبيحة اليوم الثالث، تلقيتُ مكالمة هاتفية من مكتب سمو السيد: شهاب، مفادها أن سموه كان مسافرًا خارج السلطنة، وأنه تم اليوم تسليم المظروفين.

وفي الصباح الباكر لليوم الخامس، وحين استيقظتُ وجدت على هاتفي النقال "المحمول" مكالمتين لرقم واحد، ولما كنتُ في عجلة من أمري، إذ كان عليَّ أن ألقي محاضرتي الأولى بالجامعة في الثامنة صباحًا، والتي أعقبها اجتماع مطول، كل ذلك حال دون الرد على المكالمتين.

وفي تمام الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح نفس اليوم، دق جرس هاتف مكتبي، و إذ بي أفاجَأ بصوت رقيق، يقول لي في اهتمام بالغ "... دكتورة آسية، أنا كاملة بنت طارق، حاولت الاتصال بك اليوم في الصباح الباكر على هاتفك النقال، والآن اتصل بمكتبك. وصلني الكتاب أول أمس، وكنت أود الاتصال بك أمس، إذ كما فهمت من رسالتك أن الموضوع هام بالنسبة لك. لكنني آثرتُ إرجاء الاتصال إلى اليوم، حتى أنتهي تمامًا من قراءة الكتاب، وحتى يكون الحوار الذي تريدين إجراءه معي بخصوص المرحومة الدكتورة فاطمة سالم، مبنيًا على خلفية، إذ إنها رحمة الله عليها تهمنا جميعًا".

(*) لاحظ حجم تواضع،صاحبة السمو السيدة: كاملة بنت طارق بن تيمور آل سعيد،لم تكن فحسب ابنة عم صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد، بل كانت زوجته خلال سبعينيات القرن العشرين.

بهرني الموقف برمته وشدت كلمات سموها - بكل ما تنطوي عليه من اهتمام بالأمر وتلبية لطلب الآخر - انتباهي. وفي الوقت ذاته تملكتني حالة غريبة أحسستُ معها بتلعثم كلماتي وفقداني التركيز في متابعة مكالمة سموها التي أنهتها وعقارب الساعة تباشر الثانية عشرة ظهرًا.

وفي مساء اليوم ذاته، اتصلتُ بسموها للاعتذار عن حالة التلعثم والارتباك التي ألمت بي صباحًا، مستأذنة سموها في إعادة ما ذكرته عن فاطمة سالم. وحين بدأت الحديث، استمعتُ إليها، وكلي آذان صاغية، حيث قالت: "كنت أتمنى أن يجرى هذا الحوار مع المرحومة ابنة عمي صاحبة السمو السيدة: أميمة التي كانت أكثر قربًا ومعرفة بفاطمة سالم، فلم تكن أستاذة لها فحسب، بل صديقة أيضًا. أما أنا فقد كنت صديقة أختها المرحومة سميرة المعمري، رغم الفارق الكبير في العمر بيننا، والتي كانت زوجة عمي المرحوم صاحب السمو السيد: فهر بن تيمور آل سعيد، وأتمنى - بعد انتهائك من إعداد كتابك عن فاطمة سالم - أن تعدين كتابًا عن أختها سميرة، وحينها باستطاعتي إمدادك بكل التفاصيل عن شخصيتها التي عرفتها عن قرب. كما أنني أقول لك وبلا أدنى مبالغة أنكم خير خلف لخير سلف، فمعالي الدكتورة راوية البوسعيدي "وزيرة التعليم العالي" تواصل دور أمها سميرة في التربية والتعليم، وأنت تواصلين دور جدتك في التدريس الجامعي. وقد أحسستُ بسعادة غامرة وأنا أقرأ الكتاب، وأيقنتُ بأن هناك تواصلاً بين الأجيال. ومن خلال ما قرأته من السمات الخاصة لفاطمة سالم، من حيث قوة الشخصية وطيبة القلب، وحبها للعِلم، وإصرارها على توجيه الإنسان نحو النجاح، ومواصلة الحياة بكل أمل، شعرتُ حقًا وكأنني أقرأ عن سميرة المعمري، فهما تبدوان وكأنهما توأمان. وعلى الرغم من قلة المواقف التي جمعتني بفاطمة سالم، فإن الذاكرة تعود بي إلى العشرينات من عمري، إذ كنت ألاحظ - عبر الجلسات القليلة بيننا- أن الدكتورة فاطمة كانت تتسم بالهدوء الشديد، كما كانت مستمعة جيدة إلى مَنْ يحدثها، مما جعلني أستنبط أنها كانت محاورة جيدة، ورغم كل هدوئها، فإن الجالس معها يستشعر ما حباها الله به من هيبة وحضور. وثمة مرة وحيدة جمعتني بالدكتورة فاطمة على نحو أكثر قربًا، حين كنت في نهايات العقد الثاني من عمري، فرغم حداثة سني آنذاك؛ إذ كانت الدكتورة تكبرني كثيرًا، فإن ذلك لم يحل دون استمتاعي بحواراتها معي، التي من خلالها، لمست ذكاءها الخاص في التعامل مع المواقف، وقدرتها الرهيبة في استنباطها وربط بعضها ببعض. وبرغم ما نالته من مكانة علمية وأدبية واجتماعية، فقد تولّد لديَّ انطباع أنها امرأة تحوي بداخلها حزن وأسى عميقين، لمحتهما في عينيها، بيد أنني أقول: إنه مجرد انطباع شخصي، قد يحتمل الصواب أو الخطأ".

ثانياً: أقوال الأقرباء.

معالي الدكتورة: راوية بنت سعود بن أحمد البوسعيدي.



وزيرة التعليم العالي بسلطنة عُمان، من مواليد زنجبار في 24 يونيو 1953م (53 عامًا)، حاصلة على درجة الدكتوراه في مناهج وطرق تدريس العلوم من جامعة أكسفورد ببريطانيا، وهي ابنة سميرة المعمري، أخت الراحلة الأستاذة الدكتورة فاطمة سالم، رحمة الله عليهما. وقد تم جمع أقوال معاليها بمسقط في يوم الأحد الموافق 31 ديسمبر عام 2006م.

- فاطمة سالم الند.

معرفتي اللصيقة بخالتي، ترجع إلى عام 1962م حين سافرت من زنجبار إلى القاهرة طلبًا للعلم، وأنا إذ ذاك ابنة التاسعة، حيث ألحقتني المرحومة بمدرسة خاصة "كلية النصر للغات" "English School".

وذكرياتي ومواقفي معها أكبر من أن تعبر عنها الكلمات. ولا أود الإفاضة في سرد تفاصيل الحياة اليومية. فلا شك أن هناك أمورًا حياتية تسير بشكل طبيعي تتعلق باهتمام خالتي بي وبغيري من أقربائي من حيث الرعاية والدراسة والحنو... إلخ وهي أمور أراها من وجهة نظري، لا تعبر كثيرًا عن كيان فاطمة سالم، وبمقدور أي فرد من أفراد أسرتي سرد مثل هذه التفاصيل.

وعليه، أود التركيز على جانب هام في علاقتي بفاطمة سالم، التي لم تكن شخصية نمطية، تمر مرور الكرام في حياة المرء، ولا يرجع تفردها إلى كونها أستاذة جامعية أو غير ذلك من الأمور المعروفة عنها، بل إلى تركيبتها الخاصة. فطوال عشرتي معها، لم أشعر قط أنها كانت أمًّا لي وهو أمر عجيب، لأنها في علاقتها بوالدتي سميرة المعمري كانت - في كثير من المواقف - بمثابة الأم. أما علاقتها بي، فكانت شيئًا مختلفًا، إذ استشعرتُ دومًا من معاملتها لي أنني ند لها وصديقة، ومن ثم كانت مساحات الحوار بيننا، بلا حدود، كما كان النقاش بيننا ممتعًا في تأججه، حتى وإن وصل إلى درجة الحدة أو الصدام، ومرد ذلك - في تقديري - إلى أن ثمة تشابهًا ملحوظًا بين سماتنا الشخصية، لاسيما الإصرار والقوة، ومن ثم فإنني أعد أي صدام أو حدة في حواراتنا، ثمرة عافية العلاقة بيننا. وبإيجاز أقول: إن كلاً منا كان يرى نفسه في الآخر، على نحو أشبه بالمرآة ذات الانعكاس الثنائي أو بالعملة التي لها وجهان.

وحينما وافت خالتي المنية، أحسست أن جزءًا كبيرًا من متعتي الفكرية، قد رحل معها، ولم يبق معي إلا عواطفي التي تشتاق إليها دومًا.

كانت خالتي تتسم بسمات عديدة يشوبها كثير من التناقض، بيد أن أكثر ما لفت انتباهي، قدرتها الهائلة في سبر أغوار نفوس البشر، وقراءة أفكارهم؛ إذ كانت رحمة الله عليها، لماحة إلى أقصى درجة. ويكفي أن أسوق موقفًا واحدًا من بين مواقف كثيرة. فقد كنت في معرض تقييمي لشخص ما، وقلت: على ما يبدو أنه لديه الرغبة في فعل أشياء كثيرة، لكنه يفتقر إلى القدرة، فعلقت خالتي في حدة قائلة: بل العكس هو الصحيح، فلديه القدرة، لكنه يفتقر إلى صدق النية أو الرغبة، وما القدرات إلا ترجمة صادقة للنوايا. وحينما قلت أن ذكائي ربما خانني في تقديري لهذا الموقف وقراءتي له، ردت عليّ قائلة في ابتسامة: ليس الذكاء، وإنما الخبرة والمراس في معرفة البشر. ومع مرور الأيام تكشف لي أن ما قالته عن هذا الشخص كان صحيحًا.

- فاطمة سالم وخفة الظل.

كانت خالتي شخصية مرحة، تتسم بخفة الظل. ومن أبرز المفارقات في سماتها الشخصية، استخدامها خفة الظل في الاستهزاء بالآخر.

وعندما أسترجع هذه المواقف، وما أكثرها، أشعر بلوعة الفراق وشدة الشوق إليها. من هذه المواقف؛ كنا بمنزلها بمرتفعات القرم "مسقط"، حين دق جرس الهاتف في الساعة الثانية صباحًا، الأمر الذي أزعجها، وإذ بالمتحدث يقول وين هذا؟، قاصدًا بذلك الاستفسار عن مَنْ المتكلم؟ فردت خالتي، موبخة إياه وساخرة من أسلوبه في التعبير، بخفة ظلها المعهودة، أنت تسألني أين هذا المكان، والمفروض أن أسألك: "إنت عايز تروح فين؟ يعني سايق طول الليل ومش عارف اتجاهاتك؟".

وأتذكر لها موقفًا آخر مرحًا. فقد كنا ثلاثًا أنا وهي وإحدى القريبات وإذا بالأخيرة، تشرع في إصدار الأوامر والتوجيهات بصدد موقف ما، دون مراعاة لوجود خالتي التي تكبرها سنًا. فعلقت خالتي فاطمة موبخة إياها في سخرية مرحة: مشكلة النساء المعمريات بعائلتنا أن كلاً منهن، ترى نفسها قائدة أو رائدة بشكل أو آخر، بيد أنه لا يجوز أن يقود السفينة سوى قبطان واحد، فما الأمر والسفينة يقودها الآن نصف قبطان؟!!!.

وثمة موقف ثالث. فقد أصيبت خالتي بجلطة. ومن المعروف أن الإصابة بالجلطة، قد تؤدي إلى نسيان الشخصيات أو أسمائها. وفي تلك الأثناء، شرع أناس كثيرون في زيارة خالتي أثناء

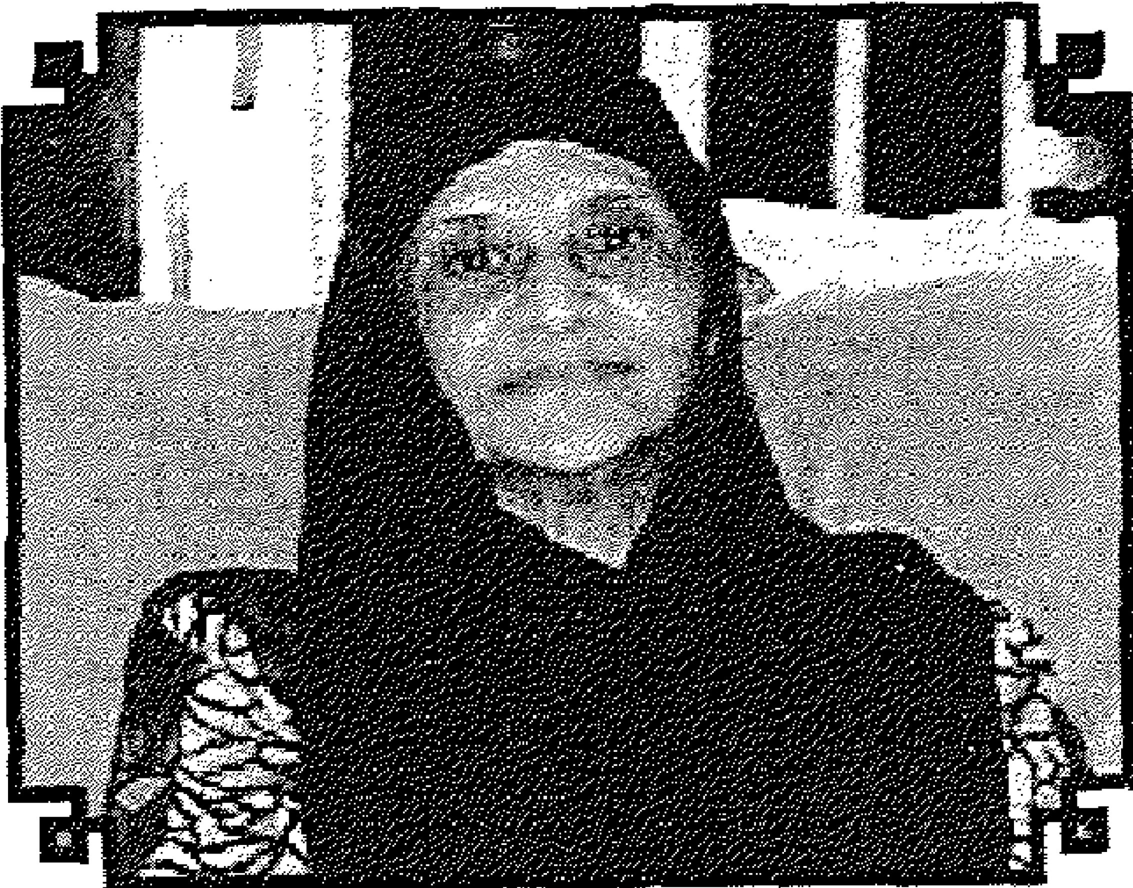
مرضها. ولما كانت تضيق ذرعًا بكثرة أسئلتهم الروتينية المستفزة مثل: هل تعرفينني؟ ما هو اسمي؟ فقد كانت تجاريهم في مرح قائلة: لا أتذكركم، لأنني أصبحت أنسى كل الناس، ولا أتذكر شيئًا. وبعد برهة قصيرة، وحين أدخل عليها، يتهلل وجهها قائلة أهلاً يا دكتورة راوية، يا ابنة أختي وحبيبتي سميرة الله يرحمها، فترتسم علامات الوجوم والدهشة على وجوه الحاضرين، ويفهمون أن كلامها ما هو إلا طرد مهذب.

- فاطمة سالم وبعد النظر.

ذكرياتي مع خالتي مفعمة بالمعاني. ويكفي أن أقول إنه كان لديها قدرة فائقة في دفع الآخر نحو طلب العِلم وتحصيله دفعًا لا يضاهى. وحين نلت درجة الدكتوراه عام 1988م من جامعة أكسفورد ببريطانيا، كانت فخورة جدًا بي، إذ عدت ذلك نوعًا من تسليم راية العلم إلى الرعيل الثاني من عائلتها، حيث كنت أول من حصل على درجة الدكتوراه من بين أبناء وبنات إخوتها وأخواتها. وقد كانت خالتي أول مَنْ بشرني بلقب "معالي"، وكثيرًا ما كانت تردد قولها أنني سأتقلد منصبًا، لم يتح لوالدتي سميرة ولا لها، نظرًا لاختلاف زمني عن زمنهما، إذ لم يدركا إلا بدايات عصر النهضة المباركة. وكم كنت أتمنى وجود خالتي الآن، إذ كان بمقدورها أن تضيف الكثير للجامعات بالسلطنة، لكونها امرأة سبقت زمانها ومكانها.

وأخيرًا أود أن أخاطب روحها العطرة بقولي: بقدر ما حمدتُ ربي على حسن خاتمتك بقدر ما يعتصرني الألم وأتمزق داخليًا، لتذكري رقادك طويلاً في رحلة مرضك، فليس أشق ولا أقسى على نفس المرء من رؤيته شعلة تنطفئ بعدما كانت تفيض نورًا وعلمًا وحيوية، وتتقد ذكاءً ونشاطًا. ومن ثم فإن في موتك تحطيم لمرآتي وفي رحيلك افتقاد لذاتي.

اعتدال بنت سالم بن سيف المعمري.



حاصلة على دبلوم التمريض العالي من القصر العيني بالقاهرة، من مواليد زنجبار في 27 يوليو عام 1913م (93 عامًا)، وهي شقيقة فاطمة سالم. قمتُ بجمع أقوالها بمسقط في يومي الأربعاء والخميس الموافقين 5و6 أبريل عام 2006م.

- الطفولة في زنجبار.

إن ذاكرتي تكاد تكون ضبابية عن مرحلة الطفولة التي عشتها أنا وأختي فاطمة في زنجبار، إذ لا أتذكر الكثير منها، وإن ترسخ في ذهني أن طفولتنا كانت مترفة وميسورة مالياً؛ فالذاكرة لا تزال تختزن مشاهد من مزارع القرنفل وجوز الهند الشاسعة التي كان يمتلكها جدي سيف بن سعيد بن ماجد المعمري في جزيرتي زنجبار وبمبا، والمشاهد التي اجترها بشكل واضح، تتمثل في الخضرة التي كانت تكسو تلك المزارع، والطمي الذي كان يميل إلى الحمرة؛ وسيارة جدي الكبيرة بلونها الأسود، حيث كانت تنقلنا بصحبة والدي - وأحياناً بصحبة جدي - للتنزه في منطقة "الفرضاني" المطلة على البحر، علمت فيما بعد أن السيارة إنجليزية الصنع من طراز الرولز رويز "Rolls-Royce"، ومن المشاهد التي أتذكرها من تلك الذكريات البعيدة وقوف سيارة جدي محاذية لسور نادي الإنجليز[2] "English Club" والتنافس المتكرر بيني وبين شقيقتي فاطمة للجلوس على المقعد الأمامي في السيارة والاستحواذ على جانب النافذة لمشاهدة البحر و "بيت العجائب" وهو أحد بيوت العائلة المالكة في زنجبار، حيث كان بيتًا شاهقًا مطلاً على البحر بديعاً وفريداً في طرازه المعماري.

- الرحلة البحرية من زنجبار إلى بورسعيد.

إن أختي فاطمة التي كانت تكبرني بعامين، حيث ولدت في زنجبار في 3 مارس 1911م، سافرت بصحبة والدي سالم بن سيف المعمري بالباخرة في عام 1918م، من زنجبار إلى ميناء بورسعيد، وهي الرحلة ذاتها التي خضتها مع جدتي، بعد ذلك بعامين، ومن ثم أستطيع وصفها. كان ذلك تحديدًا بعد أسبوع من وفاة جدي سيف بن سعيد المعمري في زنجبار، حيث سافرت وعمري وقتها سبع سنوات، بصحبة رية بنت حمد البرواني؛ جدتي لأبي، سافرنا بمفردنا، ولا غرابة في ذلك؛ إذ إن جدتي رحمة الله عليها كانت امرأة تتسم بقوة الشخصية فرغم تعليمها المحدود للغاية[3]، فإنها اعتادت السفر بمفردها إلى معظم دول العالم، لاسيما أوروبا الشرقية والغربية، حيث كانت تعمل في مجال التجارة.

تحركت بنا الباخرة من جزيرة زنجبار إلى ميناء مومباسا بكينيا، ثم إلى ميناء عدن باليمن ومنه إلى ميناء بورسعيد بمصر.

2 -لاحظ أن هذا النادي، كان مخصصًا للجالية البريطانية ولصفوة المجتمع العُماني في زنجبار، وكان ملكًا لعائلة فاطمة سالم.

3 - إن ما تقصده المتحدثة الفاضلة (اعتدال) بعبارة (المحدود للغاية)، أن جدتها لم تكن أميّة، إذ تعلمت منذ الصغر - شأنها شأن النشء في زنجبار - القرآن الكريم، قراءةً وحفظًا، في فصول الكتاتيب.

وقد استغرقت الرحلة من زنجبار إلى ميناء بورسعيد ثمانية أيام، أربعة منها في المسافة من زنجبار إلى عدن، ومثلها من عدن إلى بورسعيد.

ولخبرة جدتي في السفر، فإنها كانت تحكي لي طوال الوقت تفاصيل رحلتنا بمراحلها المختلفة، حيث كانت تحدد لي وقت وصولنا إلى كل ميناء على حدة. فعلى سبيل المثال كانت تقول لي: سنصل إلى ميناء كذا في الصباح وسنمكث فيه طيلة اليوم، وسوف يُسمح لنا بالتنزه في الميناء، وسيقوم العمّال بإنزال الحقائب والبضائع، وفي المساء ستقلنا الباخرة إلى ميناء آخر. كما أوضحت لي عند وصولنا إلى ميناء عدن أنه ميناء رئيسي، ومن ثم تنطلق منه البواخر الكبيرة المسافرة إلى شمال أفريقيا.

والذاكرة تسترجع جيدًا الموقف قبيل اجتياز الباخرة بقعة بعينها في البحر الأحمر؛ فقبل وصولنا إلى ميناء بورسعيد، احتضنتني جدتي قائلة لي: "لا تخافي، فالبحر سيكون هائجًا نسبيًا مقارنة بوضعه في الأيام السابقة، وسوف تنتابه بعض العواصف والرياح".

وحين سألتها عن السبب، قالت: "لا أعرف لذلك سببًا، بيد أنني لاحظت في أسفاري المتكررة هذه الظاهرة. وفي اعتقادي أن هذا هو البحر الأحمر؛ الذي اجتازه سيدنا موسى عليه السلام ومَنْ معه، وغرق فيه فرعون وجنوده حين غضب الله سبحانه وتعالى عليهم، ومن ثم لابد أن يكون هائجًا، وفي تقديري أن ذلك آية من آيات غضب الله عزوجل، ولذا ينبغي علينا أن نقرأ آيات قرآنية حتى نصل سالمين إلى ميناء بورسعيد".

لم أنسَ هذا المشهد رغم انقضاء ست وثمانين سنة على وقوعه، فقد كنت بين ذراعي جدتي وأنا في السابعة من عمري، أشعر برجفة جسدها من الخوف، وهي تردد آيات قرآنية بصوت مسموع، وقد رأيت علامات الهلع على وجهها.

والآن وأنا في العقد العاشر من عمري(*)، وبعد أسفاري الكثيرة برًا وبحرًا وجوًا، أشفق على جدتي. فرغم قوة شخصيتها وجرأتها، فإن تعليمها المحدود جدًا، حال دون التمييز والربط بين حالة الطقس، وحالة البحر، فقد كنا في أواخر شهر ديسمبر، أي في فصل الشتاء، ومن الطبيعي أن يكون البحر هائجًا، وربما أدركت ذلك بمراس السفر، بيد أنها شعرت أن وعي بنت السابعة لن يستوعب أية شروح طقسية.

وحينما كنت أحكي عن هذه الرحلة لأختي فاطمة ونحن في طور الطفولة، اكتشفتُ أن ما لفت انتباهي في تلك الرحلة هو ذاته ما لفت انتباهها، بدءًا من الدخان الأسود الذي كان

(*) لاحظ أن الفاضلة (اعتدال) في يوليو 2013م بلغث قرناً من العمر، ولازالت على قيد الحياة وبذات الدرجة من القوة في التركيز العقلي.

يتصاعد من مدخنة الباخرة، ومرورًا بمنظر القنال وكذا دخان القطار وصوته، والمناظر التي كانت تمر مسرعة أمام أعيننا حال النظر من النافذة في طريق السفر من بورسعيد إلى القاهرة، والذي قطعه القطار في ثلاث ساعات، وانتهاءً برؤية عدد من القطارات في محطة السكك الحديدية بالقاهرة "محطة مصر"، وقد كانت هذه المشاهد جميعها موضع استغراب من جانبنا، حيث كنا نشاهدها للمرة الأولى في حياتنا.

- حي المواردي.

إن أول بيت أقمنا به في القاهرة، كان يقع في شارع الرشيدي بحي المواردي، الذي كان - في عشرينات القرن العشرين - معروفًا بحدائقه الغنّاءة، وصغر مساحته، وفلله الصغيرة، ونزول الملك عبد العزيز آل سعود به. ولهذه المناسبة، غنّى محمد عبد الوهاب إحدى أغنياته الشهيرة.

ورغم أنني لا أتذكر التفاصيل الدقيقة لبيتنا الصغير في حي المواردي، إذ لم نمكث به سوى شهرين، فإنني أعلم يقينًا أن عمي سعيد بن سيف المعمري، كان يقيم بهذا البيت منذ عام 1913م، وربما قبل ذلك ومعه زوجته زكية بنت سليمان بن ناصر اللمكي، وولداه علي وماجد، اللذان أصبحا طبيبين فيما بعد، فضلاً عن ابنته سعاد التي درست الاقتصاد المنزلي ببريطانيا، رحمة الله عليهم جميعًا.

وفي هذا البيت أقامت أختي فاطمة مع عمها وأفراد أسرته، منذ وصولها إلى القاهرة في عام 1918م، إذ تركها أبي لكثرة أسفاره ما بين زنجبار والقاهرة، ولعدم تجاوز إقامته بالقاهرة ستة أشهر على أقصى تقدير، نظرًا لاشتغاله بتجارة القرنفل وجوز الهند والإشراف عليها بزنجبار ثم تصديرها إلى القاهرة، حيث كان عمي سعيد مشرفًا على هذه التجارة.

وحقيقة الأمر أنه كان من المفترض أن يعود عمي سعيد برفقة أسرته وأختي فاطمة، إلى زنجبار عام 1920م، بناءً على الأوامر الصارمة من قبل جدي سيف بن سعيد المعمري، حين نما إلى علمه أن إحدى خادمات المنزل بالقاهرة قد أوجعت فاطمة وسعاد ضربًا، الأمر الذي أغضب جدي واعتبره نوعًا من التهاون في التربية من قِبل عمي، والذي لم يكن - من وجهة نظر جدي - حازمًا مع خدم البيت الذين عادة ما كان يرجع أصلهم إلى جزر القمر، ويتم إحضارهم من زنجبار إلى القاهرة لخدمة أفراد عائلتنا.

وإمعانًا في إجبار عمي على الرجوع إلى زنجبار ومعه أسرته و فاطمة، امتنع جدي عن إرسال النفقات التي كان يرسلها إليهم شهريًا، بيد أن وفاته في أخريات عام 1920م، غيّرت الأوضاع، فكان أن سافرتُ مع زوجته "جدتي" من زنجبار إلى القاهرة.

- حي المنيرة.

من حي الموادي انتقلنا إلى حي المنيرة الذي لم يكن بعيدًا ، لنقطن في 15 شارع الجوّالي، ببيت مكون من أربعة طوابق، أتذكره جيدًا، فقد أقمنا به أنا وأختي فاطمة - برفقة عمي وأسرته بعد وفاة زوجته - طوال مراحل تعليمنا ، من الابتدائية إلى الجامعة.

وكان البيت أشبه في طرازه المعماري بالفلل القديمة، فجدرانه مزخرفة بأشكال هندسية بديعة، ونوافذه الخشبية مرتفعة وذات حجم كبير، ويحيط به من الخارج سور حديدي تعلوه الخضرة والزهور، له بابان أحدهما كبير يؤدي إلى الشقق الكائنة بالطوابق الأخرى، حيث كان الطابق يضم شقة واحدة، والآخر صغير، يؤدي إلى شقتنا بالدور الأرضي التي كانت تطل نوافذها على حديقة صغيرة تتصدر مدخل البيت. وكانت شقتنا تتكون من خمس غرف نوم كبيرة وصالون "مجلس" ومطبخ كبير وحمامين. أما الأثاث، فكان خشبيًا متينًا، بسيطًا في هيئته. وفي الصالون كانت توجد آلة بيانو "Piano" سوداء اللون، لم نفلح جميعًا في تعلّم العزف عليها، رغم المحاولات المتكررة من قِبل المدرسين؛ فعائلتنا - فيما يبدو - ليس لديها ميول موسيقية.

- الطفولة في شقة المنيرة.

في هذه الشقة أقمتُ أنا وفاطمة تحت رعاية عمي سعيد، وبرفقة الخدم: مبروك، عيد، ستي، أمينة، وماما طاووس، وغيرهم. وكثيرًا ما كان عمي يدللنا، حيث كانت فاطمة بنت تسع سنين وكنت أنا بنت سبع. وكم كانت معاناة عمي صبيحة كل يوم من جرّاء تدليله لنا. فرغم نومنا كل ليلة عقب صلاة العشاء مباشرة، فإنه لم تكن لدينا رغبة في الاستيقاظ مبكرًا في الصباح للذهاب إلى المدرسة، ومن ثم يأتي عمي ليوقظنا ويعطينا أكواب اللبن "الحليب" الدافئ المحلى بعسل النحل أو السكر ونحن على السرير فنرفض، طالبين شرب الشاي بالحليب. ولما كان عمي يرفض تناولنا الشاي في تلك المرحلة العمرية لاحتوائه على مادة "الكافيين"، فإنه لجأ إلى حيلة طريفة، لإقناعنا أن أكواب اللبن المقدمة لنا هي الشاي باللبن، بعد أن يكون قد أضاف إليها مسحوق الكاكاو أو الشيكولاته، فتصطبغ باللون البني الشبيه بلون الشاي.

وفي حقيقة الأمر أن فاطمة هي التي كانت تمتنع يوميًا عن شرب اللبن، وكنت أقلدها في ذلك رغم عدم تمييزي بين الشاي باللبن، واللبن بالكاكاو أو الشيكولاته. وتتواصل معاناة عمي مع بكائنا وصراخنا في الحمام مع الخدم، حال امتناعنا عن حمام الصباح وتنظيف الأسنان وارتداء الزى المدرسي، وكذا عن تناول الإفطار الذي كان يتكون عادة من ساندويتشات البيض

والجبن والحلاوة، فتصمم أختي ألا تأكل إلا صنفًا واحدًا، وكنت أحاكيها في ذلك. والاشتباك بيننا وبين الخدم لا ينفض إلا بالتدخل الحازم من جانب عمي. وإلى أن نترك البيت وبرفقة كل منا أحد الخدم، للذهاب إلى المدرسة، يكون عمي قد عانى كل صنوف المعاناة، وتجلّد بكل أنواع الصبر.

ويتضح مدى تدليل عمي، في طبيعة المصروف اليومي الذي كان يخصصه لنا. فقد كان يعطي كل واحدة منا خمسة قروش في اليوم، وهو مصروف يُعد كبيرًا جدًا في قيمته الشرائية بالنسبة لطفلتين في تلك الحقبة الزمنية "عام 1920م"، لاسيما أنني اكتشفتُ وأنا في أوائل العشرينات من عمري أن بمقدور الفرد تناول وجبة غذاء بأفضل مطاعم القاهرة بأربعة قروش فقط.

كانت أختي فاطمة أكثر إحساسًا بالمسؤولية مني، لا لكونها أكبر مني فحسب، بل لطبيعة تكوينها أيضًا. وأتذكر أنها - في كل مواقف المشاكسة التي كانت تقع بيننا ونحن أطفال - كانت تضحي من أجلي، فقد كانت معطاءة دائمًا، فطبيعة تربيتنا في البيت، فرضت أن يكون لكل واحدة منا أغراضها الخاصة من ملابس وأحذية ولعب... إلخ. وهذه الأغراض جميعها، كان يشتريها عمي من أكبر محلات القاهرة التي كانت تستورد مبيعاتها من دول أوروبا، لاسيما فرنسا، فحتى الشيكولاتة التي كنا نأكلها، فرنسية الصنع.

إن طبيعة الحياة في تلك الآونة لم تكن تفرض وجود ثلاجة، بمفهومها المتعارف عليه حاليًا، فكل احتياجات البيت من أطعمة وفواكه، يتم شراؤها طازجة يوميًا، وماء الشرب يتم تبريده صيفًا بوضع قطع صغيرة من الثلج في الزير "الخَرْس أو الجَحْلة" حيث تُشترى ألواح الثلج خصيصًا لهذا الغرض.

وضمانًا لنظافة الماء الذي يشرب من الزير، علمنا عمي كيفية إخراج الماء منه، بواسطة مغرفة معدنية ذات يد طويلة، نسكب منها الماء في الكوب، وحذر جميع الخدم من وضع أي كوب معدني "الكوز" في الزير، للشرب منه مباشرة ثم وضعه مرة أخرى في الزير، ضمانًا لنظافة الماء وحرصًا على صحة الجميع.

أما قطع الشيكولاتة، فقد علّمنا عمي كيفية الحفاظ عليها من الذوبان في فصل الصيف، بوضعها على قطع من الثلج بعضًا من الوقت، وهو الأسلوب ذاته الذي كنا نتبعه مع حبات العنب لتبريدها. بيد أنني كنت دائمًا أستحوذ على شيكولاتة أختي وعنبها، وكثيرًا ما كانت تبكي

بسبب ذلك. وعندما كان عمي يأتي لمعاقبتي، تستعطفه وتتوقف عن البكاء، وينتهي الموقف - وما أكثر المواقف المماثلة - باستحواذي على نصيبها ونصيبي.

وحين أسترجع هذه المواقف، يتبين لي كم كانت معطاءة وكريمة، بطبيعة تكوينها منذ الصغر. وعليه لا أعجب أنها ظلّت طوال مراحل حياتها تؤثر غيرها - سواء أكان قريبًا أم غريبًا - على نفسها.

- المدرسة المصرية والمدرسة الفرنسية.

تم إلحاقنا - أنا وأختي - بأفضل مدارس البنات التي كانت موجودة في مصر، وهي مدارس كانت نادرة آنذاك. فقد ألحقت أختي بمدرسة (السنية) بحي السيدة زينب، وهي مدرسة حكومية، التعليم فيها بالمجان، بينما ألحقتُ أنا بمدرسة فرنسية تدعى كلية (المير دى ديو)[4] "College de la mere Dieu" بحي جاردن سيتي. ولم يكن حي السيدة زينب ولا حي جاردن سيتي بعيدين عن حي المنيرة، إذ بمقدور الشخص الانتقال بين هذه الأحياء سيرًا على الأقدام، فيما لا يزيد عن نصف الساعة. وقد كانت الأحياء الثلاثة تُعد أحياءً راقية؛ إذ لم يكن يقطنها سوى طبقات اجتماعية بعينها.

والسمة العامة لمباني هذه الأحياء، عبارة عن فلل وقصور محاطة بحدائق. وكانت السيارات في شوارعها محدودة العدد؛ إذ أغلبها مقصور في نطاق الجراجات الخاصة.

في هذه الأحياء قضيت أنا وأختي أطوار الطفولة والمراهقة والشباب. وهي أحياء تُعد جزءًا من قلب مدينة القاهرة، والقاهرة التي ترعرعتُ فيها أنا وأختي، هي قاهرة الهدوء والجمال والقصور والحدائق والزهور، قاهرة زقزقة العصافير ورائحة الياسمين والنرجس في الصباح الباكر، قاهرة العز والرخص والكرم والخُلق والمبادئ من أهلها يعني باختصار؛ "مصر بتاعة زمان".

في مدرسة السنية، تعلمت أختي من المرحلة الابتدائية إلى مرحلة البكالوريا "الثانوية العامة". وكانت هذه المدرسة شهيرة، لا لكونها أقدم مدرسة حكومية للبنات فحسب، بل لأنها كانت تضم بنات العائلات المصرية الصميمة. وكان عدد البنات فيها لا يتجاوز أصابع اليدين.

ولما كانت مدرسة السنية تعطي اهتمامًا خاصاً لتعليم اللغتين العربية والإنجليزية، فقد أجادت فاطمة هاتين اللغتين منذ الصغر.

4-لاحظ أن هذه المدرسة تُعد من أقدم المدارس في مصر؛ إذ تم إنشاؤها عام 1881م. وفي يناير عام 2006م، احتفلت المدرسة بمرور125عامًا على إنشائها.

وكان من المفترض أن يتم التحاقي بمدرسة السنية، شأني في ذلك شأن أختي، بيد أن وصولي إلى القاهرة في منتصف العام الدراسي حال دون قبولي في أية مدرسة حكومية.

وحرصًا من عمي على عدم ضياع العام بالمكوث في البيت، بادر بإلحاقي بالمدرسة الفرنسية التي كانت مدرسة راهبات خاصة، الدراسة فيها بمصروفات باهظة. وكانت الفرنسية هي اللغة الأساسية في تدريس جميع المقررات الدراسية، باستثناء اللغة الإنجليزية. أما اللغة العربية، فقد كان الاهتمام بها ضئيلاً للغاية. ومن ثم لم أتقن طوال مراحل تعليمي في مصر، سوى الفرنسية، كما لم أتقن الإنجليزية إلا بعد تخرجي من القصر العيني وزواجي وسفري إلى بريطانيا، هذا ولم يرَ عمي أية غضاضة في تعلمي بالمدرسة الفرنسية؛ إذ كان يخطط لإلحاقي - بعد حصولي على شهادة البكالوريا - بمدرسة الحقوق "كلية الحقوق" بالجامعة الأهلية "جامعة القاهرة حاليًا"، حيث كانت المقررات القانونية بها تدرس باللغة الفرنسية.

ومدرسة "المير دي ديو"، كنت أرى منارة كنيستها من شارع القصر العالي "القصر العيني حاليًا"؛ نظرًا لمحدودية عدد مباني حي جاردن سيتي، حيث تتمثل تلك المباني في منزل السفير البريطاني، قصر سراج الدين باشا، قصر الأميرة فوقية، وبعض العمارات التي تنتمي إلى أفراد العائلة المالكة المصرية، مثل عمارة الأمير سيف الدين، وعمارة الأميرة شويكار وإلهامي حسين، التي لم يزد عدد طوابقها على ما أتذكر، عن خمسة طوابق.

لم يقتصر الاختلاف بين مدرستي "السنية" و "الميردى ديو" على نوع اللغة وطبيعة التوجه في كليهما، حيث كانت الأخيرة مدرسة تبشير "راهبات"، بل تعداه إلى الطبقة الاجتماعية؛ فبينما كانت مدرسة السنية تضم بنات عائلات الطبقة المصرية المتوسطة، فإن مدرسة (المير دي ديو) ضمت بنات الطبقة الأرستقراطية، بدءًا من أميرات العائلة المالكة، حيث تعلمت بهذه المدرسة الملكة نازلي والدة الملك فاروق، ومرورًا بالعائلات المصرية الثرية من عائلات بحري، فقد كانت معي بالمدرسة ذاتها، خديجة العلايلي، التي تزوجت من ابن رئيس وزراء مصر، وانتهاءً ببنات عائلات اليهود المعروفة بثرائها العريض.

- وصول زوجة أبي إلى القاهرة عام 1926م.

في هذا العام، وصلت جوخة بنت ناصر بن سليمان اللمكي، زوجة أبي، من زنجبار إلى بيت المنيرة، وكان بصحبتها إخوتنا وأخواتنا الذين ولدوا جميعًا بزنجبار وهم محمد (1919م)، زكية (1921م)، سميرة (1923م)، عواطف (1926م)، أما سيف فقد ولد بالقاهرة بالمستشفى القبطي

بحي غمرة عام (1927م)، وشاءت الظروف أن يولد الأخير؛ ناصر، بزنجبار عام (1932م)، حيث اضطرت زوجة أبينا إلى العودة إليها.

وبناءً على الوضع الجديد، وعودة أبي إلى زنجبار، ترك عمي وأسرته بيت المنيرة، ليقطن شقة بعمارة رقم (10) بشارع النادي بميدان الجيزة.

إن جوخة اللمكي، زوجة أبينا، لم تكن غريبة عن العائلة، إذ كانت تجمعها صلة قرابة بأبي وزوجة عمي رحمة الله عليهم جميعًا. وكنا نناديها بـ "بيبي هوبو". فالاسم "هوبو" لا معنى له سوى أنه كان اسم التدليل "الدلع" الخاص بها، أما كلمة "بيبي"، فهي كلمة سواحلية تعني الأم "ماما" في اللغة العربية وتوازي كلمتي (نينا وتيزا) في اللهجة العامية المصرية.

و "بيبي هوبو" التي أحبها أبي وتزوجها في عام 1918م، بعد أن طلّق أمنا، شخصية لا تنسى؛ إذ كانت شخصية جبارة قوية، خِلْقة وخُلُقاً، تصمم على ما تريد، واستطاعت - رغم تعليمها المحدود - أن تسوس جميع أفراد البيت بيد من حديد، أثناء غياب أبي المتكرر، حتى أتممنا جميعًا تعليمنا وحصلنا على شهادات جامعية.

ولدت "بيبي هوبو" في عام 1900م وبالتالي لم يكن الفرق بيننا وبينها كبيرًا، حيث كانت تكبر فاطمة بأحد عشر عامًا، وتكبرني بثلاثة عشر عامًا، ومع ذلك لمسنا الفارق الكبير بين وضع البيت وبه رجل فقط "أقصد عمي" ومجموعة خدم، ووضعه وبه امرأة من نوع بيبي هوبو، تقوم على رعايته وتدبير شؤونه، لاسيما أن قدومها كان في مرحلة حرجة من حياتنا، حيث كنا في طور المراهقة، ففاطمة كانت في الخامسة عشرة وكنتُ في الثالثة عشرة.

فالبيت الذي كان التدليل من أبرز سماته، وأشبه ببيت مصري في طباعه وأكلاته مثل: الملوخية والحمام والريش والمكرونة... إلخ، انقلبت أوضاعه، ليصبح مزيجًا بين المصري والعُماني "الزنجباري"، فلأول مرة يترامى إلى أسماعنا اللغة السواحلية التي تحدثنا بها فيما بعد. ولأول مرة أصبحت وجبات الطعام مزيجًا من المصري والعُماني "الزنجباري". ولأول مرة تذوقنا الشاي باللبن المغلي مع حبات الحبهان "الهيل".

إن علاقة بيبي هوبو بنا لم تكن علاقة زوجة أب، بل علاقة أم بابنتيها. ومما لا شك فيه أن فاطمة كانت الأقرب إليها روحيًا، ربما لكونها الأكبر والأكثر نضجًا. ومن ثم كنت ألاحظ أن بيبي هوبو تستشيرها في أمور كثيرة، لاسيما أن جوانب كثيرة في شخصية فاطمة كانت شبيهة بنظيرتها عند بيبي هوبو، وأن فاطمة كانت تؤمن بأفكار بيبي هوبو، وبصفة خاصة ما تعلق منها بمسائل التعليم، واعتبار العِلم ركنًا هامًا في حياة الإنسان، فوجود فاطمة في مدرسة حكومية

طمأن بيبي هوبو، لشعورها أنها برفقة بنات العائلات المصرية المتوسطة التي تنظر إلى العِلم نظرة أكثر عمقًا، وتقيم له وزناً. هذا فضلاً عن أن تعلّم فاطمة اللغة العربية، كان يروق لبيبي هوبو ويزيد اطمئنانها. في حين أن تعلمي بمدرسة فرنسية، كان يثير قلقها، في ظل إتقاني اللغة الفرنسية فحسب، وضعفي الملحوظ في اللغة العربية، الأمر الذي اعتبرته خللاً فادحًا في تعليمي. هذا بالإضافة إلى أن أفكار البنات في مجتمع المدرسة الفرنسية، لم تكن تروق لها فكريًا، وهو ما اتضح جليًا في المواقف المختلفة، حين بلغت السادسة عشرة والسابعة عشرة من عمري، إذ كنت أحكي في البيت عن زميلاتي بالمدرسة، مِمَنْ تمت خطبتهن وسيتم زفافهن خلال فصل الصيف.

مثل هذه الأفكار والمفاهيم كانت تثير قلق بيبي هوبو. فلطالما نهرتني، مصححة أفكاري بقولها: إننا مختلفون، فلا نتعلم بالمدارس كي نتزوج فحسب، بل من أجل الالتحاق بالجامعة والعمل فيما بعد، وأن مسألة الحب والزواج مؤجلة تمامًا إلى ما بعد التخرج في الجامعة.

وواقع الأمر أن بيبي هوبو كانت تؤمن حقًا بما تقوله، ولا أدري من أين أتتها هذه الأفكار، وإن كنت أعلم علم اليقين أن أخاها الشيخ محمد بن ناصر بن سليمان اللمكي - الذي كان رحمة الله عليه، يصغرها بعامين، والذي تعلّم بالقاهرة وتركها عائدًا إلى زنجبار في عام 1920م، ليعمل بالصحافة [5]، كما علمتُ فيما بعد - كان يؤمن بهذه الأفكار، فكثيرًا ما كان يردد أن البنت، لابد أن تتعلم وتواصل تعليمها حتى أعلى مراحل التعليم "الدكتوراه" وأن تستقل بكيانها وحياتها، وألا تعتمد على أحد في كسب عيشها. وآية ذلك أن بعض بناته تخرج في جامعات مصر، والبعض الآخر في جامعات بريطانيا. حتى أخته سعاد التي تصغره بعام، حين أتمت تعليمها الثانوي بزنجبار، وتزوجت ومات زوجها عقب إنجاب ابنتها فاطمة، أرسلها إلى مستشفى خاص بزنجبار، كي تتعلم التمريض وأساليب التوليد على أيدي ممرضات أجنبيات، وذلك بغية إخراجها من حالة الحزن التي ألمت بها، وحتى تنخرط في الحياة العملية.

- زكية والزواج المرفوض.

ثمة واقعة زلزلت أركان بيت المنيرة، حين تقدم مدرس مصري لخطبة أختنا زكية، عام 1936م، عقب حصولها على الثانوية العامة، وهي إذ ذاك ابنة الخامسة عشرة، فكانت الصدمة

5- لمزيد من التفاصيل حول دور هذه الشخصية في (الصحافة)، راجع: محسن الكندي. الصحافة العُمانية المهاجرة؛ صحيفة الفلق وشخصياتها: الشيخ هاشل بن راشد المسكري نموذجًا، ط1، لندن، رياض الريس للكتب والنشر، يناير 2001م، ص ص 25، 38، 141، 185، 47، 235.

كبيرة على أمها بيبي هوبو، حين أعربت زكية عن رغبتها في هذه الزيجة، لاسيما أنها كانت أكثرنا ذكاءً، وكانت النية تتجه إلى إلحاقها بكلية الطب جامعة القاهرة، وكذا الحال بالنسبة لفاطمة ابنة خالتنا سعاد، التي كانت تدرس أيضًا بالقاهرة وتقيم معنا، وهي أصغر من زكية بعام واحد. وإفصاح زكية عن رغبتها في الزواج، هز بيبي هوبو بكل ما فيها من قوة وصمود. ففكرة الزواج لم تكن مرفوضة مطلقًا في عائلتنا، لكن يفضل تأجيلها إلى ما بعد التخرج في الجامعة. كما أن فكرة تزويج البنت في عائلتنا من غير العُماني، كانت - آنذاك - مرفوضة رفضًا تامًا.

وعليه استدعتنا بيبي هوبو، أنا وفاطمة، بوصفنا كبيرتي العائلة، من بيت الجيزة - الذي أقمنا به مع والدتنا بعد قدومها من زنجبار - حيث كنا قد تركنا بيت المنيرة آنذاك، وذلك لأخذ مشورتنا، والإفصاح عما يعتمل بداخلها من توتر، إذ كانت تخشى أن تحدث عمنا سعيدًا في الأمر، فربما بدافع من تدليله لنا، يستجيب لرغبة زكية في الزواج، كما أفصحت عن نيتها في مراسلة أبينا سالم، وأخيها الشيخ محمد بن ناصر اللمكي، اللذين كانا في زنجبار لعرض الأمر عليهما، لعلمها اليقيني أن زواج زكية حقها الشرعي والحياتي، وإن كانت لا تخفى عدم رضاها وعدم موافقتها على هذه الزيجة.

- الشيخ محمد بن ناصر اللمكي ورسائله الإرشادية.

لم تكن العلاقة بين أبينا سالم والشيخ محمد بن ناصر اللمكي علاقة قرابة ومصاهرة فحسب، بل كانت صداقة حميمة أيضًا، ومن ثم أسند إليه والدي حق التصرف في هذا الأمر، لقناعته أن له طرقه الخاصة في الإقناع، فما كان من الشيخ محمد إلا أن أرسل إلينا ثلاث رسائل إرشادية، إحداها لأخته، بيبي هوبو، يوجهها فيها بالإصرار على موقفها الرافض لهذه الزيجة، وثانيتها لفاطمة أختي، مبلِّغًا إياها بمضمون رسالته الأولى لأخته، ومعربًا لها أن هذه الأمور ينبغي معالجتها بحكمة وإقناع. ومن ثم أرشدها أن نلتزم الحياد وألا نفصح عن رفضنا، حتى لا تكون النتيجة عناد زكية وإصرارها على رأيها. وإذا طلبت رأينا نكتفي بالقول بأن هذا شأن يخصها ولها وحدها أن تقرر مصيرها. أما في الرسالة الثالثة التي أرسلها إلى زكية، فقد أعرب فيها عن أمل العائلة في أن تدخل زكية - بوصفها أذكى أفراد العائلة - كلية الطب، شأنها في ذلك شأن فاطمة ابنة خالتها سعاد، وأن أباها وعمها وهو - بوصفه خالها - لا يمانعون في هذه الزيجة، فهي حقها الشرعي. وعليها أن تعلم أنه في حالة إتمام هذه الزيجة لن يتحقق أمل العائلة في أن تصبح طبيبة، فعلى

حد علمه أن الرجل المصري لن يسمح لها بمواصلة تعليمها، فضلاً عن أن الرافض الحقيقي لهذه الزيجة هو والدتها والجنة تحت أقدامها. وعليها أن تفكر مليًا قبل أن تختار بين رغبتها في إتمام هذا الزواج وبين كسب رضاء والدتها، وتحقيق أمل العائلة فيها.

ولا غرابة في أن رسالة الشيخ محمد بن ناصر اللمكي - رحمه الله - كان لها أثرها البالغ في نفس زكية، نظرًا لما حباه الله من جمال الخط وقوة التعبير، مما دفعها إلى عرض الرسالة على أختي فاطمة التي قرأتها علينا بصوت مرتفع، ورأيت في عينيْ زكية، قرار التراجع وهو ما وقع بالفعل، إذ التحقت "زكية" في العام ذاته (1936م) بكلية الطب لتتخرج فيها عام (1942م)، بعد أن أمضت سنة الامتياز، وعمرها آنذاك لم يتجاوز الثانية والعشرين، لتمارس عملها طبيبة وتستقل بحياتها، وماتت - رحمة الله عليها - دون أن تتزوج قط.

- فاطمة سالم واحتساء القهوة في جامعة القاهرة.

عقب حصول أختي فاطمة على شهادة الثانوية العامة من مدرسة السنية عام 1929م، تم إلحاقها بكلية الآداب جامعة القاهرة، وذلك بتوجيه من الأستاذ الدكتور طه حسين الذي كنا نراه كثيرًا في البيت، فقد كان صديقًا لأبينا وعمنا، وبذا عرف الكثير عن عاداتنا وتقاليدنا العُمانية. وإنني أتذكر أول واقعة حدثت لأختي فاطمة بجامعة القاهرة، وهي واقعة كثيرًا ما كانت ترددها طوال حياتها، لأنها كانت محفورة في ذاكرتها. فقد ذهبت بصحبة زميلاتها ممن التحقن معها بالجامعة لمقابلة الدكتور طه حسين بمكتبه. ورغبة منه في إزالة الرهبة البادية على وجوههن، لوجودهن بمكتبه بالجامعة لأول مرة، سألهن عما يرغبن في شرابه، فطلبت فاطمة فنجانًا من القهوة مما أذهل الحاضرين، وأخذت زميلاتها ينظرن إليها - وكذا الساعي - في دهشة واستنكار، إذ إن القهوة مشروب الرجال وقتذاك، فليس من المقبول اجتماعيًا أن تتناول المرأة القهوة أمام الرجال، ناهيك أن الطلب صادر من بنت في الجامعة وأمام أستاذها. فما كان من فاطمة إلا أن قالت، دفاعًا عن نفسها، رافضة، موقف الاستنكار: "لماذا تنظرون إليّ شذرًا ؟! فأنا في بيتي أشرب القهوة مع أبي وعمي". فتدارك الدكتور طه حسين الأمر، موضحًا لزميلاتها أن فاطمة ليست مصرية، بل عُمانية، ومن عاداتهم وتقاليدهم في بيوتهم أنهم يشربون قهوة خفيفة سادة "بدون سكر" عقب تناول أي شيء حلو المذاق. ثم لم يلبث أن طلب من الساعي أن يحضر لفاطمة قهوة تركي سادة مع قالب بسكويت.

- خلاف في الرأي.

لم يترتب على التحاق فاطمة بالجامعة أية مشاكل، بيد أن المشكلة كانت بخصوصي بعد حصولي على شهادة البكالوريا عام 1931م. فنظرًا لاقتصار تعليمي على اللغة الفرنسية، أراد عمي سعيد أن يلحقني بكلية الحقوق جامعة القاهرة التي كانت مقرراتها الدراسية تدرس آنذاك بالفرنسية.

ولما لم يكن لي زميلات يرغبن في الالتحاق معي بمدرسة "كلية" الحقوق، التي كان طلابها حتى ذلك الحين من الذكور(*)، فقد أشفقت عليَّ بيبي هوبو، لاسيما أن تعليمي قبل الجامعي كان بمدرسة تضم بنات فقط. وعليه عارضت رغبة عمي سعيد بشدة، وتدخلت في مصيري العلمي مصممة على ما تريد. وإنني أتذكر ما دار بينها وبين عمي من جدال حاد، حين قالت له: اعتدال لن تكون أقل من فاطمة بأية حال من الأحوال، وسوف تدرس العربية والإنجليزية، وسألحقها للدراسة في مكان تستطيع، بعد تخرجها فيه العمل، حتى ولو اقتضى الأمر إرسالها إلى بريطانيا للدراسة. ولن ألحقها بكلية كل طلابها ذكور، لا صاحبة فيها ولا زميلة، إذ ماذا سيكون شعورها؟ وهل بمقدورها - بوصفها امرأة - الاشتغال بمهنة المحاماة بعد التخرج؟ أليس كافيًا ما لديها من لغة فرنسية؟

ثم كان أن أصرت على إلحاقي لمدة عام بمدرسة الجمعية الإسلامية، لأتعلم اللغة العربية وقراءة القرآن بإتقان، فضلاً عن الحساب، إذ لم أكن أعرف كيفية كتابة الأرقام بالعربية. وبعد ذلك ألحقتني بالقسم الداخلي بالقصر العيني لمدة خمس سنوات، درست خلالها مقررات التمريض والتوليد والتدليك "المساج" والجلسات الكهربائية. وتخرجت حاصلة على الدبلوم العالي في التمريض، ولكنني لم أشتغل بمهنة الحكيمة التي كانت في تلك الآونة مهنة راقية لها قيمتها الأدبية ومكانتها الاجتماعية. ورغم مواصلة مشواري الدراسي ببريطانيا في المجال ذاته بمقررات أكثر تخصصًا، وكذا في مجال الرعاية الصحية، فإنني لم أمارس تلك المهنة على الإطلاق ولا حتى غيرها سواء في مصر أو خارجها.

إنني مدينة لبيبي هوبو بالفضل، فلولاها ما تعلمت العربية ولا الإنجليزية ولا أتقنت قراءة القرآن الكريم. فلم تكن - رحمة الله عليها - بالنسبة لي ولفاطمة زوجة أب، بل أمًا، أمينة على مستقبلنا، ورغم شدتها وحزمها، فإنه كان يتدفق منها شفقة ورحمة بنا ويفيض منها حب

(*) على سبيل تصحيح المعلومة لاحظ أن كلية الحقوق في ذلك الوقت حوت طالبة واحدة فقط، هي الأستاذة الدكتورة: نعيمة الأيوبي.

وحنان تجاهنا، وليس هذا شعوري تجاهها، بل شعور فاطمة أيضًا. وأحسب أننا كنا في وضع نحسد عليه، فقد جمعنا الحب المشوب بالتدليل من قِبل عمنا سعيد، والحب المشوب بالحزم التربوي لدى بيبي هوبو.

- الأزمة المالية وإشهار الإفلاس.

في أوائل عام 1932م، تعرّض والدنا لأزمة مالية طاحنة في زنجبار، فاضطرت بيبي هوبو إلى مغادرة القاهرة للحاق به. وكان من المفترض أن تعود بعد أربعة أشهر، بيد أنها لم تعد إلا بعد أربع سنوات، إذ لم تصب الأزمة المالية ممتلكات أبي وعمي فحسب، بل امتدت إلى ممتلكات بيبي هوبو، لاسيما بيتها في زنجبار، والذي ورثته عن والدتها فاطمة بنت حمد بن محمد جمعة المرجبي التي كانت وحيدة أبيها، المعروف بتجارته الواسعة في شرق أفريقيا، وثرائه العريض [6]، وقد تم فقدان هذا البيت جرّاء عملية نصب واحتيال من جانب إحدى العائلات في زنجبار، إذ تم رهنه.

وقد نجم عن الأزمة المالية إشهار إفلاس والدنا عام 1936م، مما حدا به إلى تسجيل بقية ممتلكاته باسم زوجته، الأمر الذي أثار حفيظة عمنا سعيد، فطلب من أبينا تقسيم ممتلكاتهما وأموالهما واستقلال كل منهما بتجارته.

وفي أثناء وجود بيبي هوبو في زنجبار (1932 - 1935م)، كان يرعى مصالحنا بالقاهرة رجل مصري يدعى "الشموسكي" الذي كان يمتلك بالقرب من حي المنيرة، مدرسة بها قسم داخلي. وقد أقام في بيته أختي فاطمة وبقية إخوتنا وأخواتنا الصغار، بينما أقمت أنا بالقسم الداخلي بالقصر العيني. إلا أن فاطمة التي كانت مسؤولة عنا جميعًا في ذلك الوقت، وكانت تعمل مدرسة للغة الإنجليزية بإحدى المدارس، لم يعجبها رعاية الشموسكي وأسرته لإخوتنا وأخواتنا، والتي لم تدم سوى بضعة أشهر، لأنها لم تكن بالقدر الكافي من الاهتمام والأمانة، وعلى النحو الذي تم الاتفاق عليه مع بيبي هوبو، لاسيما أن عمنا سعيد، كان مواظبًا على إرسال النفقات الشهرية الخاصة بنا إلى الشموسكي في بداية كل شهر.

كانت أختي فاطمة موضع ثقة وتقدير بيبي هوبو، ومن ثم حين استأذنتها في رسالة خطية، أن تنتقل مع إخوتنا وأخواتنا من بيت الشموسكي إلى الجيزة وافقت على الفور.

6 - لمزيد من التفاصيل حول هذه الشخصية، ونفوذها التجاري في شرق أفريقيا، راجع: مغامر عُماني في أدغال إفريقيا حياة حمد بن محمد ابن جمعة المرجبي (1840- 1905م): المعروف بتيبوتيب (سيرة ذاتية)؛ ترجمة وتقديم وتعليق محمد المحروقي، كتاب نزوى، مسقط، مؤسسة عُمان للصحافة والأنباء والنشر والإعلان ، فبراير 2005م.

- الإقامة بميدان الجيزة.

انتقلت فاطمة وبقية العائلة للإقامة بالعمارة رقم (10) بشارع النادي بميدان الجيزة. وإنني أتذكر عمارة الجيزة جيدًا، إذ كنت أذهب لزيارة العائلة أثناء إجازاتي القليلة، نظرًا لإقامتي بالقسم الداخلي بالقصر العيني. فقد كانت العمارة مطلة على ميدان الجيزة، ومكونة من أربعة طوابق، بكل طابق شقة واحدة. أقمنا بالطابق الثالث، حيث كانت الشقة ذات مساحة كبيرة، وتتكون من أربع غرف نوم وصالة وصالون "مجلس" كبيرين، ومطبخ وحمامين. أما الأثاث فكان خشبيًا، نقلته فاطمة من بيت المنيرة. وهذه العمارة كانت حينذاك ملكًا لعمنا سعيد، الذي كان يقطن هو وأسرته الطابق الأول. وظلت العمارة ملكًا له حتى وفاته عام 1948م، فباعها ورثته.

وإبان تلك الفترة أتت من زنجبار أمنا خديجة بنت عبد الله البوسعيدي، حيث أقامت معنا بشقة عمارة الجيزة، وشاء القدر أن تقوم أمنا على رعاية إخوتنا وأخواتنا من أبينا، مثلما قامت بيبي هوبو على رعايتنا من قبل. وكانت المرة الأولى التي أتقَنا فيها اللغة السواحلية، نظرًا لأن أمنا لم تكن تعرف لغة أخرى سواها.

بعد ذلك أوتي بعزة وليلى، ابنتي رية - أختنا الكبرى "من أمنا"، وهي في الوقت ذاته ابنة عمنا ماجد - ليعيشا معنا بشقة الجيزة.

وطبقاً لرواية أمنا خديجة، فإن جدنا سيفًا أرغم أبانا سالمًا على الزواج منها، سترًا لها بعد وفاة زوجها "عمنا ماجد بن سيف المعمري" في زنجبار، وذلك مسايرة للعادات والتقاليد السائدة آنذاك. الأمر الذي أحس معه والدنا بالقهر وبأن طول العشرة مع خديجة ظلم لها، لاسيما وأنه لم يشعر إزاءها بأية عاطفة.

كان لهذه الرواية أثرها البالغ في نفس فاطمة ونفسي. فبقدر ما أحببنا أبانا، أشفقنا على أمنا، وازداد حبنا لها، لإحساسنا بمدى فداحة الظلم الواقع عليها.

كانت أمنا خديجة محقة فيما قالت، وآية ذلك أن أبانا لم يحب امرأة قط قدر حبه لبيبي هوبو التي بادلته الشعور ذاته، وهو ما تبدي من حبها المقرون بالحزم في تربيتنا؛ لدرجة أنه لم يتولّد لدينا "أنا وفاطمة" أي شعور إزاء إخوتنا وأخواتنا من أبينا، سوى أنهم جميعًا أشقاء لنا.

واكب معيشتنا بشقة الجيزة، عسر نسبي، ناجم عما تعرض له والدنا من أزمة مالية في زنجبار، ولولا فضل الله عزوجل، وعدم ارتفاع تكاليف الحياة، بالإضافة إلى عمل فاطمة وكذا المساندة المالية من جانب جدتنا لأبينا رية بنت حمد البرواني - التي كثيرًا ما كانت تأتي إلينا بالقاهرة

إبان رحلاتها التجارية - لتأزمت الأمور، ولشعرنا بوطأة الضيق المالي، لاسيما فاطمة وأنا، لأننا كنا وقتها في طور الشباب، ندرك ما يدور حولنا، بعد أن اعتدنا ترف العيش.

- مرحلة الشباب.

قضينا، أنا وفاطمة، فترة شباب جميلة سواء أثناء الدراسة أو بعد التخرج. فقد احتفظت فاطمة بصديقاتها اللاتي عرفتهن منذ زمالة المدرسة وحتى التخرج في الجامعة. كما احتفظتُ أنا ببعض الصديقات من المدرسة الفرنسية. بيد أنه لم يكن يروق لفاطمة مصاحبة صديقاتي؛ ففي إجازاتي القليلة التي كنت أحصل عليها من القسم الداخلي بالقصر العيني، وأُدعي لقضاء يوم في أحد بيوت صديقاتي التي كانت قصورًا أكثر منها بيوتًا، كانت فاطمة تأبي الذهاب معي، وتتباهى بصديقاتها لأنهن جميعًا التحقن بالجامعة، وكثيرًا ما كانت تمازحني في شأن صديقاتي قائلة: إن كل همهن وتفكيرهن في الموضة وقضاء عطلات الصيف وفي الحب والزواج، ولم يكن لهن شرف التعرف على شخصيات جادة من أمثال الدكتور طه حسين، وأنه لولا بيبي هوبو لانتهى بي المطاف بالزواج بعد حصولي على شهادة البكالوريا.

كانت فاطمة شخصية محبوبة من قِبل الجميع؛ إذ تتسم بطيبة قلب وصدق ونقاء داخلي، وقد أحببتها كثيرًا وأحببت قيادتها لي منذ الصغر؛ وكذا تصميمها على ما تريد. ففي خروجنا للتنزه، بصحبة صديقاتها، كانت تخطط للنزهة: أين الجلوس، وأين تناول الطعام، وأين شراء الأغراض، وأي المسرحيات التي ستتم مشاهدتها.

ورغم أن أماكن التنزه كانت - آنذاك - معروفة ومحددة في مدينة القاهرة؛ إذ تنحصر في منطقة "وسط البلد"، فإن اختيار أيًا منها لابد أن يتم بواسطة فاطمة، وعلى الجميع موافقتها دون أدنى اعتراض، فقد كانت - رحمة الله عليها - تتمتع بأسلوب خاص في القيادة، وهو أسلوب كما بدا لي فيما بعد غير مباشر وممزوج بالحب.

إن محل "جروبي" بميدان طلعت حرب بوسط القاهرة، كان من أفضل المحلات التي كنا نرتادها في ثلاثينات وأربعينات القرن العشرين. وكان إذ ذاك محلاً مخصصًا للطبقات الاجتماعية الراقية، حيث لم يكن في مقدور أبناء الشعب العاديين دفع أسعاره المرتفعة، وكان هذا المحل الراقي مخصصًا لتناول مختلف المشروبات، فضلاً عن قطع الحلوى. والجالس فيه يشعر برونقه وجماله في أسلوب الخدمة، والديكورات الداخلية فضلاً عن انبهاره بتصميمه

المعماري الخارجي. وأتذكر واقعة بعينها في هذا المحل. ففي صبيحة أحد أيام العطلات، جلسنا أنا وفاطمة ومعنا صديقتاها خيرية وسعدية في أوائل الأربعينات، وتصادف أن أعربت سعدية عن إعجابها بإحدى أُغنيات أم كلثوم التي غنتها في تلك الآونة، فقاطعتُها بقولي: أنا لا أحب أم كلثوم ولا أفهم أغانيها وخاصة القصائد التي تغنيها بالفُصحى، مما أزعج فاطمة واعتبرت ما قلته جهلاً ونشازًا مني تسبب في إحراجها أمام صديقاتها، فقالت في حدة وسخرية: طبعًا! كيف تحبين أم كلثوم، وأنت وصديقاتك لا تعرفن إلا أغاني الحب الفرنسية.

وحقًّا ما قالته فاطمة؛ إذ إنني في تلك الآونة في العقد الثالث من عمري، لم أكن من هواة الاستماع إلى أغاني أم كلثوم التي عشقتها في مرحلة متقدمة من عمري بعد أن أدركت معاني أغانيها. والأمر نفسه حدث بالنسبة لأغاني عبد الوهاب وأسمهان، وهي أغاني عشقتها فاطمة.

من الأماكن المفضلة أيضًا التي اعتدنا الجلوس فيها، مقهى "الأمريكين" الذي يقع في نهاية شارع فؤاد. فكثيرًا ما كنا نجلس فيه أثناء تسوقنا في وسط البلد، لشرب الشاي وتناول الآيس كريم.

وفي أيام العطلات، لاسيما الجمعة والأحد، كنا نؤثر تناول وجبة الغداء بحديقة "الأزبكية"، إذ كان بها مطعم راقٍ، كثيرًا ما أحبته فاطمة، كما كان بها مكان مخصص لممارسة رياضة التزحلق على الأرض "Roller Skating"، وفضلاً عن وجود فرقة موسيقية بها، تعزف مقطوعات من السيمفونيات العالمية. ورغم رقي مطعم هذه الحديقة، فإن ما يدفعه الفرد مقابل تناول وجبة الغداء، لا يتعدى أربعة قروش، وكان من أحب الأطباق إلى قلب فاطمة، لحم الريش بالخضار المسلوق.

وأحيانًا ما كنا نذهب إلى حديقة الأزبكية لتناول وجبة العشاء، حيث كانت توجد شاشة سينمائية كبيرة لعرض الأفلام الأجنبية في الهواء الطلق. وكانت فاطمة تفضل مشاهدة مسرحيات يوسف بك وهبي التي كانت تعرض بمسرح يقع في شارع عماد الدين.

والذهاب إلى المسرح، كان يُعد آنذاك جزءًا أساسيًا من ثقافة الفرد، بيد أنني كنت أختلف عن فاطمة، حيث كانت أفضل سهراتي، الذهاب إلى كازينو "Night Club" الكيت كات، وهو من أرقى الكازينوهات، يسهر فيه الملك فاروق شخصيًا، ويضم صفوة طبقات المجتمع المصري. ومن ثم كنت أسهر فيه مع عمي سعيد وبصحبة صديقاتي. ولم أقدر حينئذٍ مدى تضرر عمي من مرافقتي في كازينو الكيت كات، نتيجة للفارق العمري بيننا وتباين الاهتمامات ورغم تضرره، فإنه كان يوافقني نزولاً على رغبتي الملحة، وإيمانًا منه أن لكل مرحلة عمرية احتياجاتها الخاصة التي ينبغي إشباعها، شريطة أن تكون محاطة بالرعاية. وإبان إقامتي في بريطانيا في عقد الستينات

أدركت حب عمنا لنا وحرصه علينا، فقد اضطررت مرارًا إلى مرافقة أولادي سالم وسيف وسمية وسميحة في أماكن لا تروق لاهتماماتي العمرية، وعلمت حينها أن التاريخ يعيد نفسه.

أما بخصوص التسوق، فقد كان بوسط القاهرة "وسط البلد" أيضًا، في شارع قصر النيل، وشارع فؤاد وشارع محمد فريد، وشارع عماد الدين، وشارع عدلي يكن باشا، حيث كنا نقطعها سيرًا على الأقدام، لنشتري مستلزماتنا من ملابس وأحذية وعطور... إلخ، من محلات بعينها كانت ملكًا للجالية اليهودية في مصر، وتستورد مبيعاتها من باريس. من هذه المحلات: "جاتينيو" بشارع محمد فريد، و "عمر أفندي" بميدان التحرير، و "الصالون الأخضر"، و "هانو" بشارع قصر النيل، و "صيدناوي" بميدان العتبة. وهذه المحلات الفخمة كانت مجالاً للتسوق بالنسبة لطبقات اجتماعية بعينها. والأعم الأغلب منها كان مقسمًا إلى عدة طوابق، اختص كل منها ببيع بضائع بعينها.

إن أختي فاطمة لم تكن تؤمن في شبابها، وطول حياتها، بمبدأ الشراء من أجل الشراء، فقد كانت تشتري ما تحتاجه فقط وما يلائم ذوقها، وإن كان ذوقها مكلفًا للغاية. ولها شعارها الذي كثيرًا ما كانت تتغنى به في شبابها وكنت أمازحها به حتى في شيخوختها وهو: "أنا لا ألبس الكثير ولا الرخيص". وذوقها في الملابس كان أميل إلى الطابع الكلاسيكي، وأفضل ألوانها الهادئة مثل: البني، الأزرق، الرصاصي، الرمادي، بدرجاتها المختلفة، ولم أرها قط ترتدي سروالاً "البنطلون" في حياتها. وقد كانت كل فساتينها تتسم بالاحتشام، بيد أنها لم تكن محجبة في فترة شبابها، إذ لم يكن مفهوم الحجاب معروفًا ولا واردًا بين جيلنا ولا في الطبقات الاجتماعية الأرستقراطية التي كنا نعيش بينها، وأكثر ما كان يزعجها الملابس الضيقة، والقصيرة، وذات الألوان الصارخة، أما بخصوص عطورها، فجميعها كانت فرنسية الصنع، وإن لم تؤثر عطرًا بعينه، فالعبرة عندها أن يلائم ذوقها، بخلاف أحذيتها وحقائبها التي لابد أن تكون من ماركة بالي "Bally" الفرنسية، التي كان لها فرع بشارع فؤاد، متخصص في بيع منتجاتها.

تلك هي القاهرة التي قضينا - أنا وفاطمة - فيها طوريْ الطفولة والشباب. وقد تركتُها في نهاية أربعينات القرن العشرين، ولم أعد إليها إلا في منتصف الستينات، لزيارة فاطمة إبان عطلة صيف، حيث أفجعني زحامها وما حدث بها من تغيّر، ولم أعد إليها منذ ذلك الحين. أما فاطمة فقد ظلت بها حتى بدايات السبعينات.

- حياة فاطمة سالم الخاصة.

كانت فاطمة تتمتع بعلاقات اجتماعية واسعة النطاق، سواء في مجال الصداقة أو الزمالة أو الحياة العامة، بيد أنني لا أستطيع الجزم بوجود رجل بعينه في حياتها الخاصة، أحبته أو أحبها. ذلك أنها لم تَبُح لي بذلك، ولكن بوسعي التأكيد أن مفهوم الحب لم يكن مرفوضًا عندها. وآية ذلك أن أختنا الصغرى سميرة رحمة الله عليها - والتي كانت بالنسبة لفاطمة أختًا وصديقة - كانت تحكي لفاطمة أخص خصوصيات حياتها، وتستشيرها في كل أمورها، حتى إنها أخذت بمشورتها في زواجها من السيد: سعود بن أحمد البوسعيدي في زنجبار عام 1949م، وهو زواج سبقته قصة حب عرفها الجميع. كما أخذت بمشورتها حين أحبت وتزوجت من صاحب السمو السيد: فهر بن تيمور آل سعيد بعُمان. كل ذلك يجعلني استنبط أن فكرة الحب أو الزواج لم تكن مرفوضة لدى فاطمة. ودليل ذلك أنها لم تنهر سميرة قط في هذا المفهوم، رغم الفارق العمري بينهما (12 عامًا)، بل على العكس من ذلك، كانت الناصح الأمين لها. كما أود أن أقول: إن قوة شخصية فاطمة، بكل ما توحي به من جدية وصرامة واعتداد بالنفس، ربما وقفت حائلاً دون اقتراب الرجل منها، رغم ما تفيض به داخليًا من رقة وطيبة وحنان مقرون بالرومانسية، الأمر الذي أستطيع الجزم به، لمعرفتي اللصيقة بها وقربي منها. وأضيف أنه كان لها أصدقاء، كثيرًا ما ارتبطت بهم، لاسيما حين بدأت عملها بالجامعة عام 1942م أذكر منهم حمدي، وهو مصري يتمتع بشخصية مرحة، أتذكره جيدًا، نتيجة زياراته المتكررة لنا في بيت الجيزة. ففي إحدى هذه الزيارات قالت له فاطمة، سنغدق عليك اليوم بالكرم العُماني، حيث قدمت له شوربة اللوبيا المطبوخة بالسكر، فضلاً عن الطعمية العُمانية التي يطلق عليها اسم "بَديّة"، المكونة من دقيق "طحين" الحمص والبصل والبقدونس. وبعد أن تُقلى تُقدم ساخنة مع صوص "خليط" التمر هندي الممزوج بالليمون والملح. كما قدمت له خليطاً آخر يسمى "شَتْنِه" وهو عبارة عن جوز الهند المبشور، مضافًا إليه الماء والليمون والشطة والخل. فقالت له فاطمة: قبل أن تتذوق لابد أن أخبرك بمكونات هذه الأكلات، وأضافت معتزة بنفسها كعادتها: بعد أن تتذوق هذا الطعام العُماني لن تأكل أصابع يديك - كما تقولون بالعامية المصرية حين التلذذ بالطعام - ولكن ستأكل معها أيضًا أصابع قدميك. ولما تذوق حمدي ما قُدِم له، علق بقوله مازحاً: هو لبن سمك تمرهندي، لكنه لذيذ الطعم فضحكنا جميعًا، إذ إن عبارة "لبن سمك تمرهندي" تطلق في اللهجة العامية المصرية على المواقف أو الأشياء التي لا يجمعها التوافق، وإنما يشتتها التنافر.

- فاطمة سالم والأحزان.

اتسمت شخصية أختي فاطمة بالمرح إلى أن صدمت العائلة برمتها، بموت أختنا عواطف في كينيا "مومباسا" عام 1952م، أثناء وضعها مولودها الأول. ذلك أنها كانت منذ صغرها، تعاني من روماتيزم في القلب. وبعد تخرجها وحصولها على ليسانس دار العلوم في تخصص اللغة العربية تزوجت من ابن خالها، بركات سليمان بن محمد بن ناصر اللمكي، الذي تخرج في كلية العلوم، جامعة القاهرة.

وبركات – الذي قضى كل مراحل تعليمه بالقاهرة - كان يعيش معنا في بيت المنيرة، ومن ثم نشأ الحب بينه وبين عواطف منذ الصبا.

وموت عواطف رحمة الله عليها، قد أوجد جُرحًا داميًا، داخل فاطمة، نجم عنه موقف نفسي تجاه كل من بيبي هوبو وأخيها الشيخ محمد بن ناصر اللمكي. فرغم حبها الشديد لهما، فإن هذا الموقف قد لازمها سنوات طويلة، لإحساسها أنهما لم يكونا حازمين إزاء زواج عواطف، قدر حزمهما إزاء زيجة زكية من قبل.

فالمانع - في تقدير فاطمة - بالنسبة لزجية زكية كان ثانويًا لتعلقه بمسألة التعليم وجنسية الزوج، بينما المانع بالنسبة لزيجة عواطف يتعلق بحياتها في زمن لم يكن بمقدور الطب التصدي لمرضها، فضلاً عن اعتقادها أن التهاون في هذه الزيجة، راجع إلى كون بركات ابن خال عواطف.

مات الجميع، رحمهم الله، بيد أنني أرى - في تقديري الشخصي - أن فاطمة آلمت نفسها كثيرًا من جراء هذا الموقف الذي تلاشى بداخلها، فصفت نفسُها باندمال الجراح، وصفحت عمن تسبب في إيلامها، وفي يقيني أنها برومانسيتها وفرط حساسيتها، حملت نفسها فوق طاقتها، لأن الزواج والموت من الأمور القدرية التي ليس بوسع الإنسان التحكم فيها.

توالت الأحزان على فاطمة. فبموت سميرة في ديسمبر 1986م، إثر سكتة قلبية مفاجئة، شعرت فاطمة وكأن جزءًا من كيانها قد سُحِبَ منها أو أنها قد شطرت بسكين؛ إذ كما أسلفتُ لم تكن سميرة أختًا لفاطمة، بل كانت كل حياتها. وفي يونيو 1992م مات محمد، وتبعته زكية في ديسمبر 1994م، رحمة الله عليهما. ثم كان موت ناصر، الطبيب في يونيو 2001م. ورغم أن موت الأخير وهو أصغرنا جميعًا، قد واكب مرض فاطمة المقرون بتذبذب الذاكرة بين الغياب والحضور، فإنني شعرت أنه من واجبي إبلاغ فاطمة مع يقيني أنها لن تدرك ما أقوله، وكانت المفاجأة حين ذرفت الدمع فور إبلاغها.

- فاطمة سالم ولحظة انكسار.

أود أن أنهي حديثي عن أختي فاطمة، التي أحببتها كل الحب، بهذا الموقف الذي أسترجعه بوضوح، لما له من أثر في نفسي، فقد كنا بصحبة أبنائنا وأحفادنا، نحتفي بعيد ميلاد فاطمة الخامس والسبعين (1986م). وبعد انقضاء الاحتفال بضجيجه، وفي لحظة من لحظات الصفاء الشديد بيننا قالت لي فاطمة على انفراد جملة لا يزال رنينها في أذني: "لقد عشتُ طوال حياتي أُسأَل وأعطي، ولم يسألني أحد منكم عما أريده". لم أعلق، وأصابني الذهول وأنا ألمح لأول مرة نظرة انكسار في عينيها، وأقول: إنها انكسار وليست حزنًا، لأنها تختلف عن نظرات الحزن التي طالما خبرتها، وسألت نفسي، تُرى أكان هذا الانكسار ملازمًا لها طوال حياتها، رغم قوة شخصيتها، دون أن نعلم عنه شيئًا!؟



ليلى بنت محمد بن سيف البوسعيدي.

حاصلة على الشهادة الابتدائية من إحدى مدارس القاهرة، من مواليد زنجبار في 1 يناير 1930م (76 عامًا)، وهي ابنة رية، الأخت الكبرى لفاطمة سالم من الأم، تم جمع أقوالها بمسقط في يوم الثلاثاء الموافق 11 أبريل 2006م.

- فاطمة سالم الغائب الحاضر.

التقيتُ بخالتي لأول مرة في عام 1938م حين أُرسلتُ إلى القاهرة للدراسة، وحينها كانت خالتي في السابعة والعشرين، أقمت معها في شقة الجيزة مع أختي عزة، وجدتنا خديجة بنت عبد الله البوسعيدي، رحمة الله عليهن أجمعين، وذلك حتى عام 1944م، حيث تم تسفيرنا أنا وأختي إلى زنجبار، إثر وقوع الحرب العالمية الثانية، وخالتي إذ ذاك في سن الثالثة والثلاثين.

ألحقتنا خالتنا فاطمة - أنا وأختي عزة - بمدرسة ابتدائية حكومية، التدريس فيها باللغة العربية، إذ إن خالتنا فاطمة كانت تؤمن دائمًا بضرورة الاهتمام باللغة العربية، باعتبارها اللغة الأم، ونظرًا لصعوبتها فإنه ينبغي تعلمها منذ الصغر، ولا بأس في تعلم اللغات الأخرى فيما بعد، وهو ما انطبق عليَّ، حيث تعلمتُ العربية بمصر ثم تعلمتُ الإنجليزية بعد ذلك.

ولما تواكبت السنوات الست التي أمضيناها مع خالتنا بالقاهرة، مع بداية بناء مستقبلها العلمي، مما نتج عنه انشغالها بالتدريس بالجامعة ومباشرة مسؤولياتها الأكاديمية، فضلاً عن

انتقالها المتكرر بين القاهرة والإسكندرية، فإنها اضطرت إلى إحضار مدرسين بالبيت لتعليمنا والإشراف على واجباتنا المدرسية. بيد أن المفارقة العجيبة تكمن في إحساسنا الدائم بحضورها في البيت، رغم مشاغلها وغيابها المتكرر، فقد كانت ولي أمرنا، الآمر الناهي في كل شؤوننا، ولم يغب عنها أي شيء كبر أو صغر.

وقد امتزج حنوها علينا وحبها لنا، بحزم مفرط، فهناك أمور بالنسبة لها لا تحتمل التهاون، في مقدمتها: الأخلاقيات الحميدة والواجبات المدرسية.

لم تتخذ الضرب أسلوبًا للتربية، إلا في حالات نادرة للغاية، وكان لها نظرة خاصة نعرف منها أننا قد تجاوزنا الحدود. وعادة ما يتلو هذه النظرة كلمة آداب، لدرجة أننا - أنا وعزة - كنا نسميها فيما بيننا بالخالة آداب "Aunt Adaab" فقد كان من دأبها التنبيه على الخطأ، بعبارات بعينها مثل:آداب المائدة عقب طرقها المائدة، في حالة كسر أية قاعدة من قواعد تناول الطعام، وآداب البسملة والحمدلة، في حالة نسيانهما، وآداب الحمد والشكر، حال تذمرنا إزاء طعام لا يروق لنا، وآداب الخُلق، إذا نسينا كلمة من فضلك أو كلمة شكرًا، حال طلبنا لشيء أو عقب حصولنا عليه، لاسيما بالنسبة للخادمة. وآداب السلام، إذا لم نسلم على الضيف باهتمام. وآداب الحب، حين ننسى أن نقبلها قبل الذهاب للنوم... إلخ.

إن الحياة مع خالتنا كانت سلسلة متصلة الحلقات من التعليمات الحازمة، ومع ذلك لم تغفل مرة الوفاء باحتياجاتنا، بوصفنا أطفالاً، فكثيرًا ما صحبتنا إلى حديقة الحيوان بالجيزة التي كانت وقتها حديقة رائعة وجميلة، وإن كنت لا أعرف ما آلت إليه الآن. كما كانت تصحبنا - صيفًا - إلى شقتها بالإسكندرية، حيث كنا نذهب إلى البحر للسباحة، بينما تكتفي بمراقبتنا على الشاطئ. ولم نعهد فيها قط النزول إلى الماء، وفي تقديري أنها لم تكن تحب السباحة، وآية ذلك أنها - وبعد مرور عدة سنوات "في منتصف الثمانينات" - قدمت لزيارتي في بيتي المطل على البحر في مومباسا، وبصحبتها ابنتي علية وأحفادي، ولم أرها قط تميل للسباحة.

- الإفهام قبل العقاب.

كما أسلفت، لم تلجأ خالتنا فاطمة إلى استخدام أسلوب الضرب، عقابًا على ارتكاب خطأ، إلا في حالات نادرة. وعليه لم تُعاقَب أختي عزة بالضرب قط. أما أنا، فقد عوقبتُ بالضرب مرة واحدة في موقف لا تزال ملابساته راسخة في ذهني إلى يومنا هذا. فقد كانت خالتي في الإسكندرية، وأتت المُدرسة إلى البيت لتعليمنا كالعادة. بيد أنني امتنعت عن تلقي الدرس،

وأخرجتُ للمُدرسة لساني في سخرية ثم فررتُ غاربة عن وجهها، وكنت إذ ذاك في العاشرة من عمري. ولما رجعت خالتي، وعلمت بما صدر مني، أجلستني بجوارها، محاورة إياي وكأنني امرأة ناضجة، ومصرحة أنها ستعاقبني بالضرب، وهو أمر لا تحبذه، بيد أنني ارتكبت خطأً فادحًا يستأهل الضرب. واستطردت قائلة: إن المُدرسة حين تأتي إلى البيت لتُدَرِس لنا، فإنها تؤدي رسالتها وتقتطع من وقتها الثمين وتضحي من أجلنا، وعليه فإن عملها لابد أن يقابل بالشكر والتقدير، لا بقلة الحياء. وإلى هذه اللحظة ما كنت أصدق - ببراءة الطفولة - أنها ستعاقبني بالضرب، إذ لم نعتد ذلك منها. بيد أنني فوجئت بها تضجعني على فخذيها وتوجعني ضربًا على فخذيَّ ومؤخرتي بالنعال "الشبشب البلاستيك". وكان لخالتي، رحمة الله عليها، مواقفها الفريدة التي لا تنسى. فأنا شخصيًا مدينة لها بالفضل، لأنها قامت على تربيتي ثم تربية ابنتي علية من بعدي ثم تربية أحفادي، وقد آلمها كثيرًا أنني وأختي عزة لم نكمل تعليمنا، بل أدهى من ذلك تم تزويجنا ولم نتجاوز الثامنة عشرة.

وكثيرًا ما كانت تردد على مسامعي - بعدما بلغتُ مرحلة النضج - أنها لم تقتنع قط بما تذرع به أبوانا من خوف علينا نتيجة اندلاع الحرب، وطلبا تسفيرنا من القاهرة إلى زنجبار، وهو ما اعتبرته خطأً فادحًا ارتكب في حقنا وجهلاً صارخًا من جانب أهلنا.

- طرفًا من سمات فاطمة سالم.

إن خالتي التي عايشتُها في سنوات شبابها، وعرفتها عن قرب، أثناء قضاء إجازاتي بعُمان، حيث كانت في السبعين من عمرها، وظللت أراها بهذه الطريقة حتى انتقلتْ إلى الرفيق الأعلى، أستطيع وصفها بأنها شخصية كلاسيكية للغاية، قلبًا وقالبًا وأن أهم ما يميزها الجدية والحزم، وأن العِلم والثقافة يأتيان في مقدمة اهتماماتها، كما أنها بطبيعتها معطاءة للقريب والغريب، وواضحة وصريحة في تعاملاتها مع الآخر، إلى حد يجعله يعتقد أنها حادة الطبع. كما كانت بمثابة كتاب مفتوح، واجتماعية في حدود ما تسمح به هي؛ فعندما لا تشعر بالارتياح تجاه شخص ما - قريبًا كان أم غريبًا - تستبعده فورًا من دائرة اجتماعياتها، دون أن تجد في ذلك أدنى حرج، إذ كان لها فراستها وفلسفتها الخاصة في الحكم على الآخر. ومن أكثر ما كان يزعجها فضول هذا الآخر لاسيما إذا اقترن بأسئلة تخترق خصوصياتها، فيتولد لديها إحساس بالقلق والارتباك والشك فيه. وبالتالي فإنها تحدد مساحات بعينها لتدخل الآخر في حياتها. وكان من دأبها مقت الثرثرة والموضوعات السخيفة، ومن ثم فإنها كثيرًا ما كانت تردد قولها: "إن لم تجد البشرية موضوعًا مفيدًا للحديث عنه، فمن الأفضل أن تلتزم الصمت". وكانت سميرة أكثر أخواتها قربًا منها،

نظرًا لما بينهما من توافق نفسي وفكري. كما كانت أ.د. سهير القلماوي - رحمة الله عليها - من أفضل زميلاتها بالجامعة، حيث كانت دائمة الذكر لها بالخير.

اتسمت خالتي بسعة الأُفق، والفهم العميق للمواقف وتحليلها، واعتادت إسداء النصح لكل مَنْ تعرفه، بإخلاص ونقاء سريرة، ومن ثم لم يشعر أحد تجاهها بأية غضاضة.

- الرجل في حياة فاطمة سالم.

الحقيقة التي نعلمها جميعًا أن خالتي فاطمة لم تتزوج قط. وتبرر العائلة ذلك بأن قوة شخصيتها، وإثقال كاهلها بمختلف المسؤوليات منذ صغرها، حال دون اقتراب الرجل منها. بيد أن لي منطقي الخاص في الحكم على الأمور، وهو منطق نابع من خلاصة تجاربي في الحياة، ولذا أقول وأنا في هذا العمر (76 عامًا): إن خالتي التي عاشت طيلة حياتها، تعطي وتغدق علينا جميعًا بالحب والحنان، فضلاً عما يعتمل بداخلها من رومانسية مفعمة، لمسناها جميعًا بشتى الطرق، لابد أن تكون قد أحبت رجلاً أو أحبها رجل أو على أقل تقدير شعر أحدهما تجاه الآخر بإعجاب أو استلطاف، وهو أمر بوسعي الجزم به، رغم عدم إفصاحها عنه، ذلك أن خالتي امرأة لها أحاسيسها - شأنها شأن أية امرأة - بغض النظر عن أستاذيتها ومكانتها العلمية والأدبية والاجتماعية.



محمد بن علي بن محسن البرواني.

حاصل على بكالوريوس الهندسة، من جامعة القاهرة، وهو من مواليد زنجبار في 19 فبراير 1946م (60 عامًا)، مهندس بترول سابقًا، ورجل أعمال حاليًا، وهو حفيد رية الأخت الكبرى لفاطمة سالم، إذ إنه ابن ابنتها عزة، تم جمع أقواله بمسقط في يومي الأحد والاثنين 7 و8 مايو 2006م.

- فاطمة سالم أم لم تلد.

ماما فاطمة. هذا ما كنت أنادي به أخت جدتي منذ لقائي بها لأول مرة، حتى وفاتها.

كان هذا اللقاء في عام 1956م، حين أرسلني أهلي للدراسة بمصر، وعمري وقتها عشر سنوات،

وعمر ماما فاطمة خمس وأربعون، حيث أقمت معها بالإسكندرية على نحو متواصل حتى عام 1958م، وبعدها انتقلت إلى القاهرة للإقامة مع عمتي.

والشقة التي أقمتُ بها بالإسكندرية مع ماما فاطمة هي الشقة رقم (1)، بالعقار رقم (18) بشارع هيرودوت بحي الشاطبي، وكانت بصحبتنا علية ابنة خالتي ليلى.وهذه الشقة الواقعة بالدور الأول، تتكون من غرفتين للنوم، وصالة وصالون "مجلس" ومطبخ ذي مساحة معقولة، وحمامين.

ورغم بساطة الأثاث الخشبي في شقة الشاطبي، فإن ماما فاطمة كانت لها لمساتها الجمالية التي يستشعرها الإنسان بمجرد دخوله، سواء فيما يتعلق بمزهريات الكريستال أو قطع المفروشات الصغيرة المطرزة يدويًا أو أحواض الزرع النحاسية اللامعة، التي يتم تنظيفها بصفة دورية، وخلاف ذلك.

لقد كانت النظافة، سمة أساسية في حياة ماما فاطمة. وقد هالني فرط حساسيتها إزاء نظافة البيت، ولا أتذكر أنني لمحتُ يومًا حشرة فيه. فالبيت بالنسبة لها جزء أساسي من كيانها. ولم يقتصر اهتمامها بالبيت على العناية بنظافته فحسب، بل إنها كانت دائمة التأكد من أن جوه صحي يروق لنا جميعًا، ومن ثم كانت في كل صباح تشرع في فتح نوافذه لتجديد هوائه، وضمانًا لدخول أشعة الشمس في أركانه.

ونظرًا لارتباط ماما فاطمة ببيتها، ارتباطًا نفسيًا شديدًا، فإنها لم تكن تطمئن إلى تنظيف الخادمة، ومن ثم تباشر بنفسها نظافة البيت. أما الطبخ فلم تتركه لخادمة قط، ناهيك أن الطبخ كان يوميًا لأنها لم تحبذ أكل ما تبقى من مأكولات محفوظة بالثلاجة. وعليه كان من عادتها الاستيقاظ مبكرًا للطبخ، في الأيام التي تذهب فيها إلى الجامعة. وكانت تضع في اعتبارها دومًا احتواء الوجبات على مختلف المكونات الغذائية التي يحتاجها الجسم.

لم تقتصر اللمسات الجمالية لدى ماما فاطمة على بيتها ومتعلقاته، بل امتدت لتشمل مظهرها الخارجي؛ فقد كانت أنيقة، محترمة، لا تميل إلى البهرجة في ملابسها. وفي طريقة ارتدائها للملابس، ما ينم عن أنها شخصية تتمتع بوقار وهيبة تليق بمكانتها الاجتماعية، بوصفها أستاذة جامعية. وأكثر ما كان يميز هيئتها، تسريحة شعرها، إذ كانت تلفه خلف رأسها وتعصبه بواسطة شبكة بلاستيكية في أعلاها ريشة، فضلاً عن ارتدائها في فصل الشتاء، معطفًا من الصوف، طويلاً، أسود.

أما بالنسبة لدراستنا، فقد كانت تؤمن بمبدأ الإشراف العام على واجباتنا المدرسية. وحين تلمس ضعفًا ملحوظًا في مادة بعينها، فإنها كانت تدرسها لنا، بشيء من التركيز، على هيئة درس خصوصي.

لقد شكلت المواد الاجتماعية واللغة الإنجليزية، عقبة أمامي. وكان لأسلوب ماما فاطمة المتميز في التدريس أثره البالغ في تحسين مستواي واجتياز الصعاب، لاسيما في اللغة الإنجليزية التي لم أدر كيف ولا متى تحسنت فيها.

كانت نظرة ماما فاطمة إلى التعليم، أبعد وأشمل من مواد التخصص، ومن ثم كونت لنا - أنا وعلية - مكتبة خاصة بنا، تحوي مختلف الكتب والمجلات والموسوعات والقصص التي تفي بالمتطلبات التثقيفية لمرحلتنا العمرية، لدرجة أنني لم أكن أتجاوز الحادية عشرة من عمري، حين قرأت مجموعة كامل الكيلاني برمتها، وأتذكر أن مكتبتنا بالبيت كانت أكبر من مكتبة الفصل بالمدرسة.

كما كان لها أسلوبها الخاص للتأكد من أن الكتب التي تزود بها مكتبتنا، قد تم قراءتها، وهو أسلوب كثيرًا ما شعرنا بثقل وطأته، إذ تجبرنا عقب قراءة أي كتاب، على تلخيص مضمونه وأفكاره والتعبير عنها وتقديمها لها. ولم أدرك وقتها مدى أهمية ما كانت تكلفنا به، إذ اكتشفت فيما بعد أن الغرض منه التدريب على التعبير ومعرفة سبل التلخيص، وترتيب الأفكار.

ولم تخلُ رحلة التنزه من درس ثقيل في التثقيف. ففي أيام العطلات كنا نزور أحد المعالم الأثرية بالإسكندرية مثل: قلعة قايتباي، عمود السواري، المتحف اليوناني، المسرح الروماني المفتوح، وتماثيل ميادين الإسكندرية... إلخ، وفي العطلات الطويلة كان الدرس التثقيفي يمتد إلى زيارة آثار القاهرة، سواء الفرعونية أو القبطية أو الإسلامية. وخلاصة ما أريد قوله أنه لا مجال لإضاعة الوقت مع ماما فاطمة حتى في العطلات، بل إنها كانت تضع شرطًا قاسيًا، مؤداه أن الذهاب إلى أي مكان ترفيهي، سواء أكان سينما أو مطعم أو مقهى أو حتى الشاطئ، لابد أن يكون مسبوقًا بنزهة تثقيفية. ولما كان تناول الآيس كريم بمقهى (تريانون) بمحطة الرمل، وكذا تناول الوجبات في المطاعم اليونانية الراقية بالإسكندرية - والتي اندثر معظمها فيما بعد - يمثل أفضل خياراتنا في تلك المرحلة العمرية، فقد كنا نسارع في الانصياع لأوامر ماما فاطمة الصارمة، ضمانًا للظفر بارتياد تلك الأماكن.

- حكاية الكيس البني.

إن مفردات اللامبالاة والإهمال والنسيان لا تنتمي إلى قاموس ماما فاطمة. وأتذكر أننا ذهبنا في بداية العام الدراسي، معها إلى إحدى المكتبات القرطاسية لشراء مستلزماتنا المدرسية "أقلام، مساطر، أدوات هندسية...إلخ".

ولما لم نجد جميع احتياجاتنا في تلك المكتبة، اضطررنا إلى الذهاب إلى أخرى، بعد أن تم وضع ما اشتريناه من المكتبة الأولى، في كيس بني، حملته بأمر من ماما فاطمة بعد أن أكدت بشدة ألا أفرط فيه، لكن بمجرد وصولنا إلى المكتبة الأخرى وضعتُ الكيس على الطاولة الزجاجية. فإذا بي أفاجَأ بمحاضرة من قِبلها، تنهمر كلماتها عليَّ كالسيل، متضمنة كل مفردات الانضباط والالتزام والإحساس بالمسؤولية، وموضحة العواقب الناجمة عن آفة النسيان، مما أذهل صاحب المكتبة الذي أشفق عليَّ، ظنًا منه أن الموقف لا يستحق كل هذا التضخيم، فأخذ يهدئ من روعها بقوله: حصل خير يا حاجة، إنه شيء بسيط، فإذا بها تزجره قائلة: "إذا كان ينسى في هذا السن، ولا يستطيع تحمل مسؤولية كيس بسيط فماذا هو فاعل مستقبلاً؟ وعليك ألا تدافع عنه، بل عليك أيضًا أن تربي أولادك على تحمل المسؤولية".

- حكاية الباص.

لم تفرّق ماما فاطمة قط في التربية، بين ولد وبنت. فكانت تربيتها لي ولعلية بدرجة واحدة من الشدة والحزم، الممزوجين بالحنان والحب. بيد أنها في مواقف معينة، كانت تصر على معاملتي بقسوة متعمدة، ليقينها بما سينجم عنها مستقبلاً من مردود إيجابي، على اعتبار أنني سأصير يومًا ما رجلاً أتحمل المسؤولية.

ويحضرني موقف لا أنساه البتة. فأثناء زيارة علي البوسعيدي بالإسكندرية، حيث اعتاد المجيء من القاهرة لزيارتنا مرتين كل شهر أثناء العطلات الأسبوعية، وكنا وقتها نقيم في فيلا مطلة على البحر بمنطقة لوران، قالت لي ماما فاطمة: خذ علي "وهو أحد أقربائنا وينتمي إلى مرحلتي العمرية" إلى منطقة المنتزه، وارجعا بالأوتوبيس "الباص" نفسه الذي أقلكما إلى تلك المنطقة. فهمت أن العبارة كناية عن عدم التأخير. ومن ثم ذهبنا إلى منطقة المنتزه، وتمشينا فيها، مستمتعين بمنظر قصر الملك فاروق، والحدائق الغناءة، لاسيما أنها المرة الأولى التي يرى فيها علي هذه المنطقة، ومر علينا الوقت دون أن ندري. وعند الرجوع، فوجئنا بماما فاطمة تقف في انتظارنا عند محطة الباص وقد انتابها القلق. وبمجرد نزولنا من الباص، تلقفتني وانهالت

عليَّ ضربًا وسط الناس. ساءني الموقف كثيرًا، لاسيما أنه لم يكن من دأبها الضرب، ناهيك عن ضربها لي على الملأ، إذ إنني اعتقدت أنه كان بوسعها الانتظار حتى ندخل الفيلا.

ولما كان من الصعوبة بمكان نسيان هذا الموقف، فقد سألتها، وأنا في مرحلة عمرية متقدمة وأكثر نضجًا، لماذا عاجلتيني بالضرب على الملأ، ولم تنتظري حتى نكون في البيت؟ فقالت معللة: إنني كنت أعي تمامًا ما فعلته، متعمدة إياه، لأنك كنت وقتها في الثانية عشرة من عمرك "سن البلوغ" ولا يوجد شيء يؤلم الولد في هذه المرحلة سوى التدليل أو الضرب من جانب أهله على الملأ، إذ يشعر بأن كرامته قد امتهنت، لاعتقاده أنه صار رجلاً. ومن ثم أردت أن ألقنك درسًا في الالتزام والانضباط، عبر موقف لا تنساه طوال حياتك.

- ابن البواب ودرس الحساب.

أثناء إقامتنا بشقة الشاطبي، كان ابن حارس العمارة في مرحلتي العمرية، بل وفي الصف الدراسي نفسه، وإن لم نكن في مدرسة واحدة. وكثيرًا ما كان يلعب معنا، وتتابع ماما فاطمة مستواه الدراسي بالاطلاع على درجاته في الامتحانات الشهرية. وقد لاحظت ضعفه الشديد في مادة الحساب، ومن ثم أرسلته إلى مدرس خصوصي لتقويته، وتكفلت بكافة المصاريف، إيمانًا منها، بأحقيته في التعليم، وأخذ فرصته في الحياة. وظلّت تتابع مسيرته الدراسية حتى بعد انتقالنا إلى لوران. بيد أن المفجع في الأمر بالنسبة لي حينئذٍ، هو إجبار ماما فاطمة لي على الذهاب معه لتلقي الدرس، وإصرارها على موقفها، إذ تعين عليَّ اصطحابه في كل مرة وأخذ الدرس معه رغم أنني لم أكن احتاج إلى درس في مادة الحساب، ومبررها في ذلك خشيتها ألا يحظى بالقدر الكافي من اهتمام المدرس لأنه فقير وابن حارس العمارة، فضلاً عن أن ذلك لن يكون فيه ضرر لي، بل سينطوي على مزيد من الفائدة. وأنه ينبغي عليَّ تعلم سبل مساعدة الآخر، وألا أكون أنانيًا.

- التعليم بالمداعبة.

حينما قدمت علية، ابنة خالتي، من زنجبار، لم تكن تعرف كلمة واحدة باللغة العربية، فابتكرت لها ماما فاطمة وسيلة لتعليمها مفردات اللغة قبل إلحاقها بإحدى المدارس، تمثلت في تعليمها مفردات اللغة الخاصة بالخضروات والفواكه ومتعلقات البيت... إلخ، عبر مداعبتها بقذف الكرة إليها وتلقيها منها، بحيث تقول ماما فاطمة الكلمة حال قذفها الكرة، وترددها علية حين تلقفها. ومن الطبيعي أن تخطئ تلقف الكرة لصغر سنها، فتقع بين يديها، فترشدها ماما

فاطمة إلى نطق الكلمة أكثر من مرة قبل قذف الكرة. وهكذا كانت ماما فاطمة - بذكائها التربوي - تنزل من كرسي الأستاذية إلى مستوى الطفلة، ضمانًا لتوصيل المعلومة.

- Miss Seif والإنجليز.

من المفردات التي آمنت بها ماما فاطمة التحدي، الذي كثيرًا ما كانت تردد علينا، كيف غُرِسَ بداخلها. وثمة واقعة لا تنساها، حين تم ابتعاثها لنيل درجة الدكتوراه من لندن وهي في التاسعة والثلاثين. فرغم دراستها للغة اللاتينية في مرحلتيْ الليسانس والماجستير، فإنها بذلت في رسالة الدكتوراه، جهدًا مضاعفًا قياسًا بزملائها الإنجليز، الذين كانوا يصغرونها، فضلاً عن دراستهم للاتينية منذ تعليمهم الثانوي، بيد أن الأستاذ الإنجليزي المشرف على رسالتها، شعر أن في مقدورها بذل المزيد من الجهد. وحين طلب منها ذلك رجته أن يراعي ظروفها الخاصة، فهي لم تدرس اللاتينية في تعليمها الثانوي، وهي تكبر زملاءها الإنجليز سنًا، فضلاً عن أنها امرأة في غربة تعاني اختلاف الثقافات. فما كان من أستاذها الممتلئ الجسد، إلا أن هب واقف قائلاً لها: **Miss Seif**، إذا كنت تريدين الحصول على الدكتوراه من عندنا، فلابد أن تدرسي وفق شروطنا، ونحن لا نعير الظروف الخاصة اهتمامًا.

راقت كلمات الأستاذ الإنجليزي، لماما فاطمة، ومنذ ذلك الحين وهي تبدي - مرارًا - إعجابها الشديد به؛ إذ كان له الفضل في محو أي ضعف بداخلها. وكثيرًا ما أعربت عن امتعاضها واستيائها إزاء الطلاب العُمانيين الذين يأتون من زنجبار أو غيرهم مِمَن يأتون من بلاد غير ناطقة بالعربية، الذين راق لهم استثناء الحكومة المصرية لهم - آنذاك - بإعفائهم من تعلم اللغة العربية أو على أقصى تقدير النجاح فيها بنسبة 25 %.

وكانت - رحمها الله - ترى في هذا الاستثناء تهاونًا من قبل الجهات المعنية، إذ كان ينبغي أن يسري على الوافدين ما يسري على المصريين.

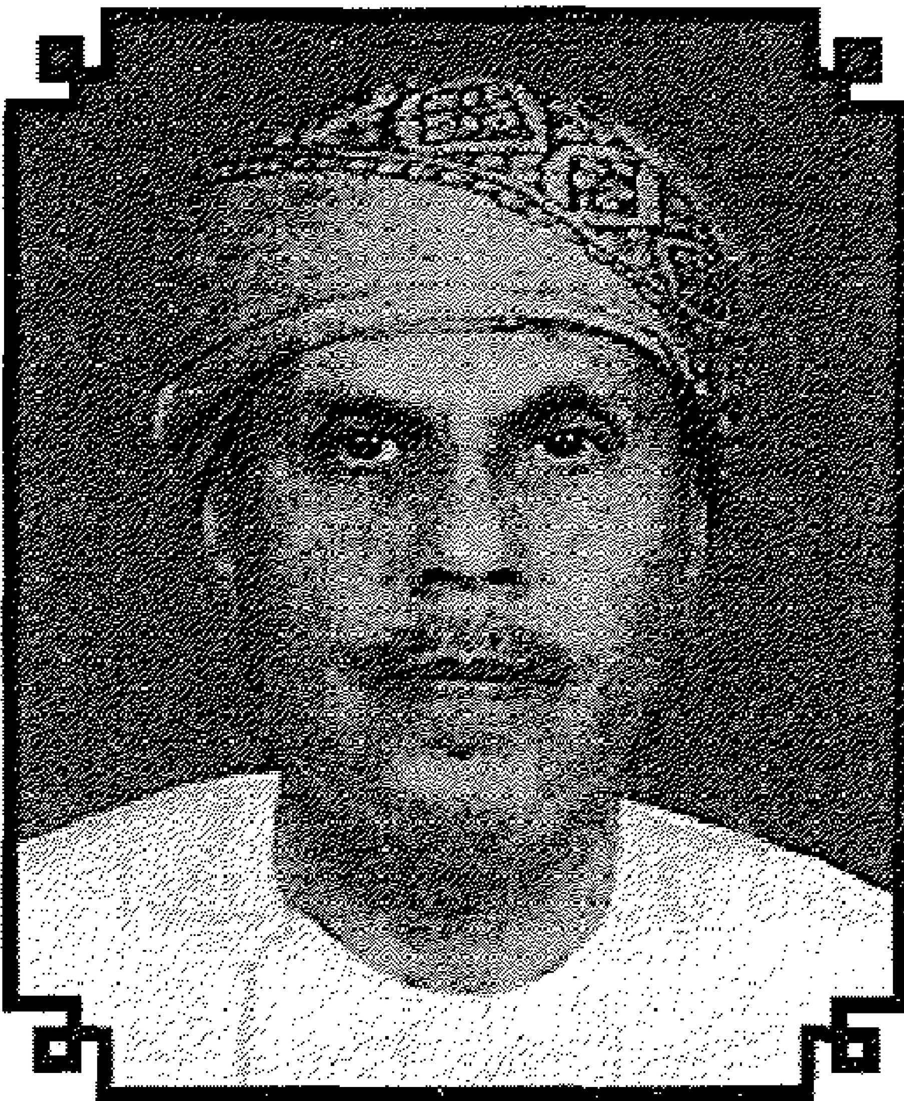
كانت تلك بعض المواقف التي لا أنساها بخصوص ماما فاطمة، التي ظلت علاقتي بها مستمرة، حتى بعد انتقالي إلى القاهرة لإتمام دراستي فيها. وحين أتت والدتي عزة - رحمة الله عليها - من زنجبار، للإقامة معنا بالقاهرة، لم تتوقف تعليمات ماما فاطمة الصارمة حال التزاور بيننا، كما كان لهذه التعليمات حضور دائم من خلال متابعتها لسير العملية التعليمية بالنسبة لي ولإخوتي وأخواتي.

- فاطمة سالم الأم الصديقة.

لم أتمتع بصداقة ماما فاطمة في أية مرحلة من حياتها قدر تمتعي بها في شيخوختها. فبعد تخرجي وزواجي وصيروتي أبًا وممارسة عملي بعُمان، كنت أزور ماما فاطمة - مرارًا - في بيتها، فيدور بيننا نقاش وجدال في موضوعات مختلفة وجادة، وحينئذٍ، أناديها - لا شعوريًا - بلقب الدكتورة.

وحين يطول النقاش، وتضيق ذرعًا بوجهة نظري، تقرر الانسلاخ من أستاذيتها وتعاود ممارسة سطوتها عليَّ بوصفها أمًا، منهية الموضوع في ديكتاتورية ساخرة، بقولها: ما أعلمك أنت، يا ابن البارحة؟ فأعلم مباشرة أن النقاش قد انتهى بتصميمها على رأيها، فأجيبها مطيعًا: طيّب يا ماما.

وأخيرًا أختم كلماتي عنها، بأنني تعلمت منها الحزم والجدية، وهو ما أطبقه في تربية أولادي الأربعة. وأهم ما غرسته بداخلي، الثقة بالنفس، فلا حرج في السؤال أو تكراره إزاء أمر أجهله، تفاديًا لأي لبس في الفهم، أو ادعاء معرفة ما لا أعرفه. لقد طبعت - رحمة الله عليها - بداخل كل منا، بصمة من بصماتها. وأشعر اليوم وأنا في الستين من عمري، كم كنا جميعًا - أفراد عائلتها - في غاية الأنانية، حين سلبناها سنوات عمرها، وجعلناها حقًا مكتسبًا لتربيتنا وتعليمنا.



علي بن محمد بن سعيد البوسعيدي.

حاصل على بكالوريوس الهندسة، جامعة القاهرة، من مواليد مومباسا في 11 يونيو 1946م (60 عامًا). هو حفيد خالة فاطمة سالم "عائشة بنت عبدلله بن حمد البوسعيدي"، شقيقة "خديجة بنت عبد الله بن حمد البوسعيدي"؛ أم فاطمة سالم، تم جمع أقواله بمسقط في يوم الأربعاء الموافق 17 مايو 2006م.

- لمحة من تحدى الأنا.

ترجع معرفتي بالدكتورة فاطمة - تحديدًا - إلى الأول من شهر فبراير عام 1958م، حين أرسلتني جدتي لوالدي، من زنجبار، للدراسة بالقاهرة، وكنت إذ ذاك في الحادية عشرة والنصف من عمري. أتت الدكتورة فاطمة سالم - التي لم يكن لي سابق معرفة بها - من الإسكندرية إلى مطار ألماظة لاستقبالي، وعرفتني بنفسها قائلة:أنا ماما فاطمة. ومنذ ذلك الحين وحتى وفاتها - رحمة الله عليها - وأنا ألقبها باللقب ذاته. وتولت أموري حتى بلغت السادسة عشرة من عمري، حيث أتى بعض أقربائي إلى القاهرة قادمين من زنجبار فتولوا شأني.

مكثت مع ماما فاطمة بالقاهرة يومين، إذ استطاعت بواسطة علاقاتها ومكانتها الأدبية إلحاقي بالقسم الداخلي بمدرسة الشرق الخاصة، بشارع البرازيل بحي الزمالك، حيث كانت المدرسة ملكًا لياسين سراج الدين. ورغم أنني لم أكمل الصف الخامس بالمدرسة العربية بزنجبار، فضلاً عن ضعفي الواضح في اللغة العربية، فقد أصرت ماما فاطمة على إلحاقي بالصف الأول الإعدادي، متحدية إدارة المدرسة ومعارضة لرفضها، حيث إن جميع المواد يتم تدريسها باللغة العربية.

لن أنسىَ هذا الموقف. فقد سمعتُ من ماما فاطمة ولأول مرة، كلمات بنبرة حادة لم أعهدها من قبل، حيث إنني حفيد مدلل، قادم لتوي من مومباسا، تاركًا حضن جدتي بدفئه وحنانه، حيث قالت لي: سوف تقيم بالقسم الداخلي بالمدرسة، وسأوفر لك مدرسين خصوصيين في جميع المواد، أريدك أن تتحدى إدارة المدرسة، وتتحداني وقبلنا جميعًا تتحدى ضعفك، وتقول لنفسك وأنت تنظر إلى المرآة: بمقدوري النجاح، لأنني علي، وابن ماما فاطمة، وأنهت كلماتها مؤكدة بقولها: وابن فاطمة سالم لا يرسب.

وقد كان، فرغم أنني بدأت الدراسة عقب عطلة منتصف العام الدراسي "شهر فبراير"، فإنني اجتزت وبنجاح امتحانات نهاية العام "شهر مايو".

مثل الموقف برمته قفزة لي، لا على المستوى الدراسي فحسب، بل على المستوى النفسي أيضًا، وتعلمتُ منه أنه لا شيء مع الإصرار مستحيل في الحياة.

- حساسية مفرطة.

اعتدتُ زيارة ماما فاطمة في عطلة نهاية الأسبوع، مرتين في الشهر، حيث يأتي "عم جابر" حارس فيلتها بحي لوران بالإسكندرية، ليأخذني بالقطار ثم يعود بي إلى القاهرة مساء يوم الجمعة. واستمر الحال هكذا، على مدار خمس سنوات، والإقامة في تلك العطلات مع ماما فاطمة، وبصحبة محمد وعلية، كانت تريحني نفسيًا، لاسيما في ظل إحساسي بالغربة وإقامتي بالقسم الداخلي بالمدرسة.

بيد أنني لم أكن قد تعودت في تلك الآونة على الأكلات المصرية، التي كانت ماما فاطمة تفضل طبخها بالبيت. كما لم أكن بطبعي أكولاً منذ طفولتي، الأمر الذي كثيرًا ما أغضبها نظرًا لحساسيتها المفرطة، واعتقادها أن قلة أكلي راجعة إلى خجلي، وإيمانها أن الولد لابد أن يتغذى

جيدًا، لاسيما إذا كان في مرحلة المراهقة، ومن ثم فإنها كثيرًا ما كانت تردد على مسامعي وبنبرة مشوبة بالغضب: "لا تجعلني أشعر وكأنني لست أمينة عليك، خاصة وأن أهلك يتكفلون بنفقاتك الشهرية، فإذا كنت لا تحب الأكل المصري، ادخل معي المطبخ واطبخ لنفسك ما تشاء".

وحقيقة الأمر أن جملتها الأخيرة لم تأت من فراغ، فكثيرًا ما كانت تلاحظ بخبرتها التربوية أنني على النقيض من محمد، أتابع باهتمام ما تفعله حال وجودها في المطبخ. وعليه أقول: إنها لمحتْ فيَّ ميلي للطبخ، وأرادت أن تنميه بداخلي.

في البداية كنت مرتبكًا، لصغر سني، ومجهولية مجال الطبخ بالنسبة لي، ولكن تعليماتها وتوجيهاتها غرست الثقة في نفسي، وأحسست بالزهو، وهي تشجعني بقولها: شد حيلك، وابتكر في الأكلات، أريدك أن تكون أمهر من أشهر شيف "طباخ" في سويسرا.

وكان لها ما أرادت، إذ تعلمت الطبخ وأحببته، وأجدته وابتكرت فيه إلى الحد الذي جعلني أمازح زوجتي دومًا بقولي: لن تنافسيني في الطبخ، لأنني تدربت وتعلمت على يد أساتذة جامعية.

ولم يكن الطبخ الشيء الوحيد الذي تعلمته من ماما فاطمة، بل ثمة أشياء كثيرة من أبرزها تحمل الأمانة. وأتذكر جيدًا أنني، حين سافرت بصحبتها إلى أهلي بزنجبار، لقضاء عطلة الصيف، فوجئت في صباح اليوم الأول، بمناداتها لي للجلوس بجوارها وهي تفتح أمامي مجموعة من الأوراق، مدونة تفصيلاً بكل ماله علاقة بنفقاتي الشهرية مثل: أجر عم جابر، وثمن تذكرة القطار وثمن المجلة. حتى ثمن قالب "باكو" البسكويت كان مدونًا. وكم أزعجني هذا الموقف، إذ كان تفكيري منصبًا على الانطلاق والمرح واللعب.

كانت ماما فاطمة تتمتع بذكاء خارق، وقدرة رهيبة في جذب انتباه الآخر إليها. فحين شعرتْ بأن تفكيري واهتمامي منصبان على جانب آخر، أجادت حقًا انتقاء الكلمات الموحية التي شدت انتباهي بوصفي مراهقًا. وعليه لا أنسى إحساسي بأهمية شأني، وهي تقول بنبرة فخر: أنت الآن رجل ناضج في الثالثة عشرة من عمرك، ومسؤول عن نفسك، ولابد أن تعرف أوجه صرف نفقاتك الشهرية من خلال هذه الأوراق، وقد تكرّر منها هذا الموقف، بيد أنني لم أكتشف أن وراءه درسًا غير مباشر في كيفية تحمل الأمانة، وهو أمر أبعد ما يكون عن إحساسي بالسعادة إزاء صيرورتي رجلاً.

- كلمات حديدية وقلب قطني.

في صيف عام 1958م، سافر محمد وعلية إلى زنجبار؛ إذ تعودنا السفر مرة كل عامين، الأمر الذي أشعرني بوحدة رهيبة لوجودي مع ماما فاطمة بمفردنا في فيلا لوران، أثناء عطلة الصيف. ولما تزامنت زيارتي الأولى للإسكندرية مع ضرب ماما فاطمة محمدًا على الملأ، فضلاً عن حدة كلماتها وتكرارها حال غضبها، فقد تولّد لديَّ إحساس باللبس الممزوج بالرهبة منها، لاسيما أن وعيي في تلك المرحلة العمرية، لم يرق إلى إدراك طيبة قلبها. وعليه لم أفطن إلى الطريقة المثلى للتعامل معها. وكان كل همي تفادي أي موقف قد يثير غضبها.

ولمحدودية تفكيري إزاء كيفية تفادي تلك المواقف، فإنني ظننت أن إخفاء ملابسي اليومية متسخة، داخل الدولاب "الخزانة"، قد يخفف عنها عبء الغسيل، إذ تعودت غسل ملابسنا بيديها يوميًا. وعندما فتحت الدولاب الخاص بي، فوجئت بتل من ملابسي المتسخة، فأمطرتني بوابل من كلمات اللوم الحادة، وظلت ترددها وهي تغسل الملابس منذ الصباح وحتى الظهيرة. وأثناء نشرها فوجئنا بزيارة صديقتها الأستاذة الدكتورة نعيمة الأيوبي، وإذ بها تنسى موضوع الغسيل برمته، وتنهمك في أداء واجب الضيافة لصديقتها. وكانت المفاجأة حين اقترحت الدكتورة نعيمة الأيوبي أن نرافقها في سفرها إلى القاهرة والإسماعيلية والمنصورة، فرحبت ماما فاطمة بالفكرة، رغم مشاغلها حتى أنعم برفقة ولديْ الدكتورة نعيمة: شهرزاد وعلاء، وبصفة خاصة الأخير الذي كان يساويني في العمر.

من هذا الموقف، اكتشفت كم كان وعيي قاصرًا في فهم طبيعية ماما فاطمة. فرهبتي منها لم تكن في محلها، لاسيما أن الضرب لم يكن من دأبها، إذ لم أره إلا مرة واحدة. بيد أن ثورة غضبها المقرونة بتكرار كلماتها الحادة، سرعان ما يعقبها هدوء ملحوظ، ونسيان تام للموقف، وكأن شيئًا لم يكن. ليس هذا فحسب، بل إنني اكتشفت في مرحلة عمرية أكثر نضجًا أنها لم تضمر أية بغضاء أو حقد لأحد، ولم يكن الانتقام من طبعها، بل كان نسيان السيئات والصفح والعفو من أهم سماتها. لذا أقول إنها رحمة الله عليها، كانت امرأة كلماتها حديدية وقلبها قطني.



علية بنت سالم بن سعود البوسعيدي.

حاصلة على بكالوريوس زراعة من جامعة القاهرة، من مواليد زنجبار في 7 ديسمبر 1948م (57 عامًا)، مهندسة زراعية "سابقًا" بوزارة الزراعة والثروة السمكية بالسلطنة، وهي حفيدة رية؛ الأخت الكبرى غير الشقيقة لفاطمة سالم، ذلك أنها ابنة ليلى ابنة رية. تم جمع أقوالها بمسقط في يوم الأحد الموافق 9 إبريل 2006م.

- السمات المظهرية لفاطمة سالم.

لازمت جدتي، التي طالما ناديتها بماما فاطمة ستًا وأربعين سنة متواصلة، في مصر وفي عُمان، حتى فارقت الحياة. وقد بدأت معايشتي لها تحديدًا عام 1956م، حين أرسلني أهلي للدراسة بمصر، وعمري حينئذ لم يتجاوز الثامنة، بينما كان عمرها خمسة وأربعين عامًا، وعليه فإن بوسعي وصف شخصيتها من كل الجوانب.

كانت ماما فاطمة قمحاوية اللون، فبشرتها أمْيَل إلى السمرة، وعيناها ذات لون بني غامق. تتسم ملامح وجهها بالجدية والصرامة. شعرها المموج بني اللون غامق في درجته، لم تظهر عليه بوادر الشيب، إلا في منتصف الخمسينات من عمرها. أما طولها فكان 165سم، ووزنها تراوح بين 60 و63 كجم، ولم ينخفض إلا في رحلة مرضها الطويلة.

- فاطمة سالم في علاقتها بالكتب.

كانت كلاسيكية الطبع، شديدة التنمق في ذاتها وفي كل ما يتعلق بها، لاسيما كتبها، التي عشقتها على نحو منقطع النظير، لإيمانها أنها لا تعوض بثمن. من ثم كانت تقسمها إلى مجموعات، منها ما تضعه في مكتبتها الخاصة بالبيت، على نحو مرتب للغاية، وهي الكتب التي تستخدمها بشكل دوري، ومنها ما تضعه في صناديق خاصة ترقمها بنفسها وتلصق على كل منها ورقة مدونة بخط يدها، تتضمن عناوين ما بداخله من كتب. وعادة ما كانت تحفظ في الصناديق المصادر اللاتينية النادرة التي اقتنتها خلال فترة دراستها ببريطانيا، وتحتفظ بهذه الصناديق في الصندلة، خوفًا من أن نعبث بها في طفولتنا. والصندلة عبارة عن حجرة علوية على هيئة سقف معلق،

بباب، يتم الصعود إليه عادة بواسطة سلم. وعند الحاجة لمحتويات أي صندوق لإعداد بحث فإنها كانت تنزله ويظل أرضًا حتى الانتهاء من البحث.

وقد كان لها أسلوب خاص في التعامل مع الكتاب. فأكثر ما كان يزعجها الكتابة على صفحاته، أو ثنيها، ومن ثم كان لها فواصل مختلفة الألوان والأشكال تقطعها من الورق الملون، لتستخدمها للفصل بين صفحات الكتاب. وكثيرًا ما كانت تردد قولها: "الكتاب ينبغي أن يعامل باحترام".

أما من حيث ساعات عملها، فإنها حين كانت تُعد بحثًا، فعادة ما تستيقظ في الساعة الثانية عشرة أو الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل، لتواصل إعداد البحوث حتى الفجر، لأنه لم يكن لديها الوقت نهارًا، نظرًا لانشغالها برعايتنا، فضلاً عن مسؤولياتها الأخرى، ولم يكن لها طاولة، بل كانت من عادتها الانبطاح أرضًا بحجرة نومها، وكتبها وأوراقها مفروشة حولها، مع عدد لا حصر له من أقلام الرصاص والمحايات، إذ كانت تؤثر دومًا الكتابة بهذه الأقلام.

في تلك الأثناء، نعلم أن ثمة حالة طوارئ في البيت، ويحظر علينا وعلى الخادمة الاقتراب من حجرة نومها، إذ كان من عادتها النوم سويعات بعد صلاة الفجر ثم الذهاب إلى الجامعة، تاركة كتبها وأوراقها على هيئتها، محذرة من الاقتراب منها أو ترتيبها.

وتفرض علينا حالة الحظر أيضًا أثناء وضعها أسئلة الامتحانات أو تصحيحها كراسات الإجابة.

- فاطمة سالم ومقتنياتها.

ثمة علاقة شديدة الخصوصية، تربط بين ماما فاطمة ومقتنياتها، فقد كانت شديدة التعلق ببيتها من شتى الجوانب، لدرجة أن أثاث البيت بشقة الشاطبي وفيلا لوران هو نفسه الذي نقلته من بيت المنيرة إلى شقة الجيزة. وحين كنا نطلب منها تغيير أي شيء فيه، تسخر منا بقولها: هذا الأثاث الخشبي من الطراز الإنجليزي، فهو مميز، شأنه شأن الإنجليز. وكل ما في الأمر أنها كانت تعيد تنجيده "أي تجديد حشوه وكسوته الخارجية" كل سنتين أو ثلاث. أما البيانو ذو اللون الأسود، الذي هو أقدم من عمر ماما فاطمة، فإنه حين انتقلنا إلى فيلا لوران - ورقمها (421) بطريق الجيش، وهي أكبر مساحة من شقة الشاطبي، إذ احتوت على ثلاث غرف نوم وصالة وصالون وحمامين - قررت وضعه في الصالون "المجلس" وأتت بأستاذة جامعية، ألمانية الجنسية، متخصصة في آلة البيانو، وزوجة زميلها الأستاذ الدكتور فوزي الفخراني، لكي تعلمنا كيفية العزف، اعتقادًا منها أن وجود أستاذة متخصصة في هذا المجال ربما يفك نحس العائلة

في عدم قدرتها على العزف. بيد أن المحاولة - رغم إصرار ماما فاطمة - باءت أيضًا بالفشل. وعليه فإنها كثيرًا ما كانت تمزح متسائلة: لا أعلم أين يكمن الغباء، فينا أم في البيانو؟

- المطبخ والطعام بالنسبة لفاطمة سالم.

كانت ماما فاطمة شديدة التعلق بالمطبخ، ومسائل الطبخ، إذ كانت تتفنن في صنوف الطعام، ونظرًا لقلقها المفرط إزاء مسألة النظافة، فإنها لم تكن تعهد بالطبخ لأية خادمة. وأفضل أكلاتها كانت الأكلات المصرية، وبصفة خاصة الملوخية، والأرز المحمّر بالشعرية، والأرز بالطماطم، وصينية البطاطس بالفراخ المشوية، فضلاً عن الحمَام واللحم المشوي الذي كثيرًا ما كانت تتفنن في كيفية إخلائه من الدهن عبر مصفى خاص. أضف إلى ذلك الخضار المسلوق والسلطات، بيد أن هناك أنواعًا من الخضروات لم تحبها، تناولتها وفرضتها علينا فرضًا، لحاجة الجسم إليها، مثل السبانخ والخرشوف، وكانت مواعيد الوجبات محددة. فالإفطار عادة ما يكون في السادسة صباحًا، لاسيما في أيام المدارس. ووجبة إفطارها تتكون من فنجان من الشاي بالحليب والحبهان وقليل من السكر، وساندوتش تفضله بالجبن الأبيض. ولم أرها تشرب القهوة التركية إلا لمامًا، إذ كانت تؤثر دومًا القهوة العُمانية. أما فنجان الشاي الثاني فتشربه بدون حليب، ومحلى بقليل من السكر، الساعة الخامسة مساءً بعد استيقاظها من القيلولة، ولم يكن لها ميل إلى المشروبات الغازية، بل فضلت عليها العصائر الطازجة أو الماء.

أما وجبة الغداء فكانت تفضل تناولها في تمام الثانية والنصف ظهرًا، إذا لم يحل عملها في الجامعة دون ذلك. وكانت تستخدم الشوك والسكين في الأكل، إلا إذا اقتضى نوع الطعام - كالحمام مثلاً - استخدام يدها. ولم تجد لذة في الحلويات بصفة عامة، وفضلت عليها الفواكه الطبيعية، لاسيما البرتقال والموز.

ولم يكن لها وجبة عشاء، بالمعنى الدقيق للكلمة إذا اقتصر طعامها على علبة زبادي "الروب" مع برتقال أو ثمرة موز. كما لم يكن من طبعها تناول أي شيء بين الوجبات.

- طرائف في حياة فاطمة سالم.

كان من دأب ماما فاطمة - كما أسلفت - شرب الشاي في فنجان. بيد أنها كانت تفاجئنا - أحيانًا - بعد القيلولة، بقولها: أريد أن أكون الآن مصرية بحتة، فتعدُّ لنفسها كوبًا من الشاي الكشري "يوضع الشاي والسكر في كوب زجاجي ويصب عليه الماء المغلى ويقلب"، فنمازحها

بقولنا: الأستاذة الكلاسيكية قررت أن تكون امرأة شعبية مصرية، فلابد أن يكون هناك قمر أزرق كامل في السماء (مثل إنجليزي يطلق حال النوادر).

ومن بين المواقف الطريفة التي كثيرًا ما كانت تحكيها، ما وقع من الساعي بالجامعة وسخرية زملائها منها. فقد كان من عادتها شراء صينية وفنجان بطبق، وملعقتين صغيرتين وسُكارية لاستخدامها الشخصي، لأنفتها الشديدة، كما كان من عادتها تنبيه الساعي إلى ضرورة غسل الأدوات جيدًا قبل تقديم الشاي إليها وضرورة وضع إحدى الملعقتين في السُكارية والأخرى على طبق الفنجان. وفي حالة حدوث أي شرخ - ولو بسيط - بالفنجان، قاصدة بالطبع الفنجان أو الطبق، فعليه إبلاغها لشراء البديل. بيد أنها فوجئت ذات يوم بالساعي يقدم لها الشاي في فنجان بلا طبق، واضعًا الملعقة على الصينية، وحين نهرته مستنكرة: كيف تقدم لي فنجان الشاي بلا طبق؟ وكيف تضع الملعقة على الصينية؟ ألم أنبهك إلى كيفية التقديم؟

فرد عليها الساعي متعجبًا: حضرتك قلتِ لي أن أخبرك عند كسر الفنجان، وهو سليم كما ترين، والمكسور هو الطبق. فضحك زملاؤها ساخرين منها، ومعلقين بقولهم: في البعثة الدراسية القادمة سنرسل الساعي إلى بريطانيا للحصول على دكتوراه في كيفية تقديم الشاي.

اتسمت ماما فاطمة بشدة الكرم، وأكثر ما كانت تمقته وقوع الظلم على أي شخص. وأتذكر أنه إبان فترة الستينات في مصر، وبعد وقوع الثورة في زنجبار عام 1964م، غادرت عدة عائلات عُمانية زنجبار للإقامة في مصر. ولما كان استيراد السلع من الخارج محظورًا في مصر، فإن ماما فاطمة كانت توزع كل ما ترسله لها أختها اعتدال من لندن من حلويات وشاي وأنواع جبن بعينها، حتى ملابسها على تلك العائلات، نظرًا لإحساسها بما وقع عليهم من ظلم وما يكابدونه من حرمان. وكانت أثناء التوزيع تجلس القرفصاء، فأتندر عليها بقولي: انظروا، هاهو حاتم الطائي يشرع في كرمه. فترد عليَّ مستنكرة: إذا كان حاتم الطائي قد عُرِف يومًا بكرمه، فإن الله أكرم، وكانت محقة في قولها. ففي الوقت الذي كنت ألومها على عدم إبقاء شيء - مما توزعه - لنفسها، أجد أنه لا تمر أيام قليلة حتى يعوضها الله سبحانه وتعالى بالمزيد.

وفي مقابل هذا السخاء، يغلبك الضحك وأنت تراها تحاسب الآخر على بيسة (قرش واحد)، لمجرّد إحساسها أنه يحاول استغلال طيبة قلبها، مفترضًا الغباء فيها.

ومن الطرائف في حياتها أيضًا. أنه رغم تنمقها في ملابسها الكلاسيكية، التي اعتادت شراءها - منذ شبابها - من محلات بعينها، وتمسكها بوضع ريشة بلاستيكية في مؤخرة شعرها وارتداءها معطفًا من الصوف، أسود اللون، في فصل الشتاء، فإن ما يبعث على الضحك أن أحد ذراعيْ

نظارتها المخصصة للقراءة، غير موجود بصفة دائمة، وعبثًا حاولت إصلاح الذراع بدبوس أو خلافه، إذ سرعان ما يختفي نظرًا لانهماكها في القراءة، وإلقائها النظارة في أي مكان دونما اكتراث... إلخ، وكذا عدم اهتمامها بتنظيف العدسات. ولما قمتُ يومًا بتنظيفها، لم تلحظ أن وضوح الرؤية ناجم عن ذلك وقالت: كنت أنوي مراجعة الطبيب لقياس النظر وتغيير النظارة، بيد أنني أرى الآن بوضوح، فيبدو أن نظري لم يزد ضعفًا.

ومن الطرائف التي لا تنسى، قدوم الأستاذ الدكتور محمد محمود السلاموني، رحمة الله عليه - الذي كان صديقًا لماما فاطمة وزميلاً لها - إلى بيتنا بالإسكندرية مرتين، أثناء فترة الامتحانات، إحداهما لمشاركتها في وضع أسئلة امتحان اليوناني واللاتيني، والأخرى لمشاركتها في التصحيح ورصد الدرجات. وحينها كنت في الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة من عمري. وكم كانت متعتي وأنا أسمعهما يتجادلان بصوت مرتفع أثناء وضع الأسئلة، وطباعتها بطريقة الاستنسل، وكان محظورًا عليَّ الاقتراب من الحجرة الموجودين بها. وبعد الانتهاء من عملية الطباعة تقوم ماما فاطمة بنفسها بحرق مسودة وورقة الأسئلة بحرص تام، رغم أنه لم يكن بالبيت أحد سواي، وأنا لا أعرف وقتها - ولا حتى الآن - شيئًا عن اللغتين اليونانية واللاتينية.

أما المرة الأخرى التي استمتعت فيها وأنا أتابع مشهد الجدل السنوي المتكرر، فكانت أثناء تصحيح كراسات الإجابة ورصد الدرجات. فكلما طلب منها الدكتور السلاموني إضافة درجة أو نصف درجة يحتاجها الطالب للنجاح في المادة، ترفض بإصرار، معللة بأنها تبذل مع طلابها قصارى جهدها، بيد أنهم لا يكترثون ومن ثم لا يستحقون العطف، بل يستحقون الرسوب. ويستمر الجدل بينهما طويلاً: الاستعطاف من جانبه والرفض من جانبها. وبعد طول عنائه توافقه على ما يريد، فيقول لها: لماذا كل هذا التعب في كل مرة، حقًا إنكِ من الصعيد الزنجباري، "مقتديًا في ذلك بجملة من الصعيد الجواني؛ أي أقصى الصعيد، التي يطلقها المصريون في حالات العناد الشديد".

- فاطمة سالم ومسلكها التربوي.

من أهم ما يميز أسلوب ماما فاطمة في التربية أنها لم تفرق قط بين ولد وبنت. بيد أنها - وبصفة استثنائية - كانت أكثر تشددًا مع محمد، الذي عاقبته بالضرب مرة واحدة. وأتذكر أنها كانت تدللني في مرحلة طفولتي لدرجة تنزل فيها إلى مستواي الفكري حال اللعب معي أو حين مساعدتي في دروسي، وإن كان هذا لم يمنع حزمها تجاهي، عبر نظرة خاصة ألمحها في عينيها، حال ارتكابي خطأً ما.

وكان لها أسلوب خاص في ترسيخ المعلومة، لاسيما إذا ارتبطت بكلمة تسمعها مني لأول مرة. وأتذكر أنني سألتها وأنا في السابعة من عمري، ماذا تعني كلمة سينما؟ التي لا أتذكر - حينها - كيف ترامت إلى مسامعي. فما كان منها إلا أن قالت لي: ستعرفين معناها يوم الجمعة. وبالفعل اصطحبتني إلى سينما أمير. وهي آنذاك أرقى سينما بالإسكندرية، حيث شاهدنا فيلمًا للرسومات المتحركة "كرتون"، وبعده، فيلمًا إنجليزيًا، بعنوان: "The King and I"؛ الملك وأنا. ورغم قصور وعيي في فهم موضوع الفيلم، وعدم قدرتي على قراءة الترجمة أو فهم اللغة، فإن وقع وجودي داخل السينما لا يزال محفورًا في ذاكرتي، بكل ما فيه من انبهاري بفخامة السينما، والسجاجيد الحمراء، والكراسي المخملية المتحركة، فضلاً عن مشهد الصورة وهي تتحرك وسط الظلام، بمختلف الألوان.

وحين بلغنا طور المراهقة، وجدناها أكثر حزمًا، وإن لم يخلُ هذا الحزم من أسلوب الحوار. وحزمها تجاهنا يتبلور في مجموعة من الأمور التي لا تقبل النقاش لديها، منها - على سبيل المثال لا الحصر - المذاكرة وإنجاز الواجبات المدرسية، والاستيقاظ مبكرًا حتى في أيام العطلات، فلم تكن تقبل قط توسلنا بأننا في إجازة، وسرعان ما تسمعنا في الصباح الباكر محاضرة عن آفات الكسل وأن الإنسان خلق ليعمل وأن المدرسة ليست كل شيء في الحياة، بل أحد الأشياء الهامة، وهناك أشياء أخرى يجب إنجازها، وعلى أسوأ الفروض، إن لم يوجد شيء، فإن علينا - من وجهة نظرها - تنظيف البيت، ومساعدة حارس العمارة في تنظيف السلم ومدخل البيت... إلخ. المهم أن هذه المحاضرة الصباحية كفيلة بإيقاظ الميت لا الحي فحسب، إذ عادة ما تنتهي بجملة سوداوية مفادها أنه لا مستقبل للكسول.

ومن الأمور التي لا تقبل النقاش عندها أيضًا، رفض أي منا مصدرًا تثقيفيًا، متعلقًا بالقراءة أو زيارة مكان له أهميته، أو الاستماع إلى الموسيقى الكلاسيكية أو مشاهدة المسرحيات العالمية أو عروض الباليه، التي كثيرًا ما اصطحبتنا لمتابعتها، مثل عرض "كارمن" وعرض "دانتي". ولن أنسى إيقاظها لي وأنا في الثامنة عشرة من عمري، لمشاهدة باليه "البجعة" على شاشة التلفاز.

وبوسعي القول أن الالتزام لدى ماما فاطمة، كلمة متشعبة الأبعاد، يتمثل أولها في ضرورة الاهتمام بمظهرنا من حيث النظافة والأناقة والذوق، سواء عند ذهابنا إلى المدرسة أو أي مكان آخر. وآية ذلك أنها جذبتني إلى داخل البيت - ذات مرة - لضبط رباط عنقي قبل ذهابي إلى

المدرسة، لمجرد رؤيتها أنه لم يكن مربوطًا كما ينبغي، وقالت لي: إن الآخر يكوِّن حكمه على جوهرك مما يتولد لديه من انطباع أولي عند رؤيته مظهرك. وكلها أمور، لم نعرف قيمتها، إلا حين كبرنا وأنجبنا وتحملنا المسؤولية.

أما عن حوارها معنا، فعادة ما يبدأ بإصغائها باهتمام إلى كل ما نقوله أو نحكيه، خاصة عما وقع أثناء خروجنا بمفردنا. فإذا لفت انتباهها كلمة وراءها موقف ما، يحاول أي منا إخفاءه، فإنها، بذكائها التربوي الفريد، تستدرجه بصورة غير مباشرة للحكي عنه. وإذا أحست أن أحدنا يراوغ أو يمتنع عن حكي شيء ما، لا تضغط عليه، بل تتركه حتى موقف آخر، وتحصل منه على ما تريد، بطريقتها الخاصة. وبإيجاز أقول: إن الحياة معها لا مجال فيها للكذب أو المراوغة. ومن أثقل الأمور على نفسها، أن يلقى أحدنا مسؤولية خطئه على غيره، فهو عذر غير مقبول لديها بالمرة، ودائمًا ما كانت تقول: لقد ربيت كل واحد منكم على أساس أن يسوس نفسه لا أن يسوسه غيره.

لقد ضحت - رحمة الله عليها - بالكثير من أجلنا، حتى إنها آثرت الانتقال في عام 1958م من حي الشاطبي، القريب من الجامعة؛ إذ كانت تذهب إليها في بضع دقائق سيرًا على الأقدام، إلى حي لوران لنكون - أنا ومحمد - على مقربة من مدارسنا، وتجشمت هي عناء ركوب سيارات الأجرة ذهابًا وإيابًا، نظرًا لبعد البيت عن الجامعة.

ورغم أن أهلنا كانوا يرسلون نفقاتنا الشهرية، فإنني أجزم أن ما كان يُرسَل لا يساوي ثُمن ما كانت تنفقه علينا من مالها الخاص، إذ لم تحرمنا من شيء.

- المرض والرحيل.

لم تَشْكُ ماما فاطمة من أي مرض حتى بلغت ستًا وخمسين سنة. ففي عام 1967م، وأثناء وجودها بفيلا "الوفاء" بالمهندسين، ارتفع ضغطها بشكل فجائي، وعولجت بالبيت، وحذرها الطبيب من تناول أية أطعمة مملحة. ورغم كونها أكاديمية ملتزمة، فإنها لم تكن مريضة ملتزمة، إذ كان من عادتها الالتزام بتعليمات الطبيب بضعة أشهر حتى تتحسن صحتها ثم لا تلبث أن تخالف التعليمات، قائلة: الأطباء يبالغون... فكيف للإنسان أن يحيا بطعام بلا ملح؟

وفي عام 1979م، أصيبت بذبحة صدرية، في القرم، بمسقط، ترتب عليها ضعف في عضلة القلب، كما صرح بذلك أخوها الطبيب ناصر المعمري، حين أخذها للعلاج بالمستشفى. ثم

تحسنت حالتها، لتصاب في عام 1981م مرة أخرى بارتفاع مفاجئ في الضغط، إثر تناولها السردين المملح، وأُدخلت المستشفى للعلاج.

وفي عام 1982م، أصيبت بكسر في الحوض أعلى الفخذ الأيسر إثر تعثرها وسقوطها على الأرض حال إسراعها لإنقاذ ابنتي أميمة التي أوشكت على السقوط من الشرفة، وكانت النتيجة إنقاذ الخادمة حياة أميمة وإصابة ماما فاطمة. ونظرًا لعنادها فقد أخفت ما تحس به من آلام، إلى أن بلغ الألم ذروته بعد فترة، فاضطررتُ إلى الاتصال بأختها سميرة التي أتت فورًا ومعها سيارة الإسعاف، ولن أنسى مشهد دخولها علينا في هلع، ذارفة الدمع، ومعنفة إيانا بقولها: أختي تصاب بكسر منذ ساعات، ولا أحد يبلغني، كل هذا منكِ ومن أولادكِ. وتم نقلها إلى مستشفى "خولة" بالوطية "مسقط".

وفي عام 1993م أصيبت بكسر آخر أعلى الفخذ الأيمن، فنقلت إلى المستشفى ذاته، وبعد فترة خرجت وهي تمشي بشكل طبيعي نسبيًا.

وفي يناير عام 1995م فوجئنا: بجمعها أفراد عائلتها، لتخبرهم أنها قد كتبت وصيتها الشرعية، فمازحناها جميعًا، تخفيفًا عنها بقولنا: حتى المظروف الذي يحوي وصيتك كتبتِ عليه بخطك الجميل، المعتاد "وصية فاطمة سالم".

وفي أكتوبر من العام ذاته أصيبت بجلطة في المخ، الأمر الذي استشعرتُ معه أنها ربما أحست أن هذا العام هو بداية النهاية بالنسبة لها، ومن ثم كتبت وصيتها. وقد تسببت الجلطة في حدوث إحساس بخدر مؤقت في يدها اليسرى وقدمها الأيسر، فضلاً عن ضعف الذاكرة لأشياء بعينها مثل أسماء الشخوص والأحداث التي وقعت مؤخرًا... بينما كانت تتذكر بشكل أفضل الذكريات البعيدة.

وبعد علاجها في المستشفى "السلطاني" ببوشر "مسقط"، وخروجها منه، لم تكد تمضي ثلاثة أسابيع، حتى أصيبت بجلطة أخرى أفقدتها القدرة على الكلام، وإن ظل عقلها يقظًا إلى حد كبير. وكانت تطلب ورقة لتكتب عليها ما تريده. وخوفًا من نسيانها كلمات الصلاة، فإنها طلبت مني أن أكتبها لها على ورقة، بينما كان بمقدورها فتح المصحف بيد واحدة والقراءة فيه.

استمرت الحالة هكذا، وكالمعتاد، لم تخل عباراتها المكتوبة، حال انزعاجها من شيء ما، من تعليمات صارمة، حتى جاء عام 2001م، فبدأت حالتها في التدهور السريع، وبدأت الذاكرة

تتذبذب بين الغياب والحضور، فضلاً عن اضطراب الأزمنة والأماكن لديها؛ فكنت ألاحظ حال طلبها قطعة ورق للكتابة عليها، أنها تدون كلمات لا انسجام بينها مثل: الجيزة- القسم- الإسكندرية- أميمة، ثم تُوقع عليها، فأعلم وقتها أنها في حالة اضطراب فكري وتداخل بين الذكريات.

وقبل وفاتها بشهرين، تم نقلها إلى مستشفى (القوات المسلحة) بالخوض (مسقط)، ومكثت بها حتى دخلت في غيبوبة تامة قبل وفاتها بأسبوعين، وإن كنت قد لاحظت من تعبيرات وجهها أنها تتألم أثناء حقنها أو تغيير الأنابيب أو المعدات لها.

وطيلة وجودها بالمستشفى، لم يتركها أقاربها ولا معارفها، الذين كانوا يقرؤون عليها القرآن بصفة مستمرة. ومما أحزنني وزاد من ألمي أنني لم أفارقها ستًا وأربعين سنة، بيد أن القدر جعلني في يوم الاثنين الموافق 8 يوليو 2002م، أترك غرفتها بضع دقائق لأعود في تمام السابعة مساءً، والجميع من حولها يبكون، فأيقنت أنها قد أسلمت الروح لبارئها. ومن رحمة ربي بي أنني لم أرها وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة، لترتاح بعد رحلة معاناة طويلة مع المرض استمرت سبع سنوات، وفي صبيحة اليوم التالي دفنت بمدافن العامرات (مسقط).

طيّب الله ثراها، فقد كانت نعم الأم والرفيقة والإنسان والأستاذة. ولو قدَّر لي أن أعيش قدر عمري خمسين مرة، لما استطعت أن أوفيها جزءًا من أفضالها عليَّ وعلى أولادي.

ثالثاً: أقوال الزملاء والطلاب والجيران.

تم جمعها إبان شهر يوليو 2002م، عقب وفاة فاطمة سالم. وقد ارتبطت هذه الأقوال بأماكن بعينها، بمدينة الإسكندرية، شهد مَنْ فيها ذكرى فاطمة سالم بمختلف المشاهد والصور التي تؤكد أن هذه الشخصية كانت وهج تلك الأماكن وبريق زمانها، وهي: جامعة الإسكندرية، حي الشاطبي، شارع هيرودوت، حي الأزاريطة، شارع بورسعيد، حي سموحة وسيدي بِشر، ميدان علي بن طالب، دار أحمس خليفة للمسنين.



(أ) أقوال الزملاء.

- الأستاذ الدكتور: سامي شنودة.

أستاذ الآثار والحضارة اليونانية والرومانية بجامعة الإسكندرية.

كنت طالبًا لدى أ.د. فاطمة سالم، وزميلاً لها فيما بعد، بقسم الآثار والحضارة اليونانية والرومانية القديمة بكلية الآداب، جامعة الإسكندرية. وقد ألم بي حزن عميق، حين علمت بوفاتها، فرحمة الله عليها، تعني بالنسبة لي كل شيء؛ حياتي برمتها بالإسكندرية، التحاقي بالكلية، ودخولي القسم، ليس هذا فحسب، بل إن إنشاء القسم وتطوره ورحلاته، وكل ما به يرتبط بفاطمة سالم. ومن ثم لا أستطيع ربط اسمها بموقف أو شيء بعينه، نظرًا لارتباط حياتي كلها بها.

وترجع علاقتي بها إلى عام 1940م. وقد استمرت هذه العلاقة حتى رحيلها عن مصر وانقطاع أخبارها، بيد أنها ظلت دومًا في القلب والخاطر.

ويحضرني بخصوصها مواقف كثيرة، تؤكد تفردها، منها حصولها على الدكتوراه من جامعة لندن قبل عام 1956م، ووقتها لم يكن عميد الكلية، ولا مَنْ جاء بعده، حاصلاً على درجة الدكتوراه. وعليه قررت الكلية في ذلك العام استبعاد بعض أساتذة القسم لعدم نيلهم درجة الدكتوراه، وأبقت على الدكاترة: فاطمة سالم، محمد مندور، علي حافظ.

وجدير بالذكر أن تدريس اللغة اللاتينية بالقسم منذ عام 1942م، باعتبارها مقررًا إجباريًا

في السنوات الأربع، كان مقصورًا على أساتذة أجانب، باستثناء د. فاطمة سالم، فهي أول امرأة مصرية عربية تجرؤ على تدريس هذه اللغة. وأقول متعمدًا إنها امرأة مصرية عربية أو عربية مصرية، لعلمي اليقيني بجذورها العربية، إذ تنحدر بأصولها إلى أعرق وأرقى العائلات العربية التي عاشت بزنجبار، ومن ثم كانت تتحدث بجانب العربية والإنجليزية والفرنسية، اللغة السواحلية التي كثيرًا ما كانت تعلمنا مقاطع منها. ورغم يقيني أن فاطمة سالم مصرية الجنسية، فإنني لم أكن أعلم أن أصولها العربية تعود إلى سلطنة عُمان، وأود أن أؤكد أن مسألة الجنسيات في أيامنا، لم تكن موضع اهتمام أو نقاش، إذ كنا نتعامل مع منطلق أننا عائلة واحدة.

وأتذكر أنني في السنة الأولى من دراستي، حصلت على أعلى درجة في اللغة اللاتينية، حيث منحتني أستاذتي الدكتورة فاطمة سالم أربع عشرة درجة من عشرين، وهي تُعد درجة ممتازة، فأقصى ما كان يطمح إليه الطالب في هذه المادة - آنذاك - اثنتا عشرة درجة. وقد تتلمذت على يديها ثلاث سنوات، وكان عددنا إذ ذاك (1942م) لا يتجاوز خمسة طلاب، رغم أن عدد الأساتذة كان سبعة؛ خمسة أجانب واثنين مصريين هما: فاطمة سالم ومحمد مندور.

ولما كانت فاطمة سالم - في تلك الفترة - غير مقيمة بالإسكندرية، الأمر الذي اضطرها إلى السفر من القاهرة، فقد رتب القسم مواعيد محاضراتها في الفترة المسائية. ورغم عناء السفر، فإنها لم تكن تنسى أن تشتري لكل منا قالب "باكو" شوكولاته "كورونا". وليس هذا بمستغرب؛ حيث إنها امرأة تتسم في معاملاتها بالحميمية. وقد كانت تنظر إلينا لا على أننا طلابها فحسب، بل أولادها وإخوتها وأصدقاؤها. وآية ذلك أنها حين استقرت بالإسكندرية، واستأجرت شقة بحي الشاطبي بالقرب من الجامعة، كان من دأبها دعوتنا أثناء فترة الامتحانات لتناول الملوخية بالفراخ، وهي وجبة لذيذة، ومن إعدادها شخصيًا.

إن أ.د. فاطمة سالم لها بصمتها الخاصة في التعامل مع الآخر؛ فلا يشعر معها بتكلف أو جفاء، فهي بطبعها الإنساني، امرأة غاية في الحساسية والحنان، وسرعان ما تلمس احتياج الآخر إليها، فتعطي بلا حدود، ويكفي أن أقول: إنها كانت على أتم الاستعداد لفتح الكتاب والشرح في أي زمان ومكان، طالما توسمت في الطالب الجدية والمثابرة.

وغنى عن القول أن الراحلة تنتمي إلى جيل الرواد من الأساتذة الذين يتمتعون بسمات خاصة، أهمها المعرفة اللصيقة لطلابهم والمتابعة الدقيقة لهم. فعدد الطلاب المحدود في زمن هذا الجيل، عزز رسالة التعليم السامية، باعتبارها رسالة بناءة على كل المستويات التي تربط بين الأستاذ والطالب، ومن ثم لم تقتصر العلاقة بينهما على قاعة المحاضرة فحسب، بل امتدت

إلى ما وراء أسوار الجامعة، بدليل أنه كان يشاركنا في رحلاتنا جميع الأساتذة وعلى رأسهم عميد الكلية. وهذه العلاقة المثالية لا وجود لها في عالم اليوم، لاسيما في ظل الزيادة الرهيبة في أعداد الطلاب.

وحين أسترجع الذكريات البعيدة عن شخصية أستاذتي الراحلة، تستوقفني سمة بارزة فيها، وغالبة عليها، ألا وهي الثبات الذي كان أساسيًا في تكوينها، بمعنى أنها كانت شخصية واحدة في كل المواقف، تمثل لي القيمة والخلق والمثل الأعلى في العِلم والثقافة والجدية والالتزام، فضلاً عن قوة الشخصية، والثقة بالذات في حياتها العملية والإنسانية. وهذا النوع من الشخصيات، بما حباها الله به من قوة وثبات وثقة بالذات، لا يهمها مطلقًا ما يُعرَض عليها من مناصب أو نفوذ؛ إذ كان شغل فاطمة سالم الشاغل، وكذا جيل الرواد برمته، العِلم والبحث لإيمانهم أن مكانة الإنسان لا تُستمد من رئاسته لقسم أكاديمي، أو استحواذه على سلطة ما، بل من سعة علمه وعمق بحوثه.

ولا أملك شيئًا سوى الدموع التي أذرفها مدرارًا لفراقها؛ فقد كانت - رحمة الله عليها - نعم الأستاذة والزميلة والصديقة والأخت والإنسان... إنها حقًا ذكرى لا تنسى.



- الأستاذ الدكتور: لطفي عبد الوهاب يحيى.
أستاذ تاريخ الحضارة بجامعة الإسكندرية.

عاصرت أ.د. فاطمة سالم في مصر، قبل إبتعاثي إلى لندن للحصول على درجة الدكتوراه من جامعة لندن "University College of London" وعرفتها على نحو أكثر قربًا في لندن، فالجامعة التي درست فيها، هي ذاتها التي واصلت فيها دراستها لنيل درجة الدكتوراه. وقبل حصولي على الدكتوراه، في مطلع خمسينات القرن العشرين، كنت أقابلها كثيرًا بالجامعة. ولما كانت الغربة تتيح مساحة أكبر، للاقتراب من الآخر، لمعرفته واكتشاف جوهره، فقد عرفت في لندن أشياء كثيرة، جميلة وطريفة، عن الزميلة فاطمة سالم، لم تتح لي معرفتها في مصر. من هذه الأشياء واقعة لا أنساها، لغرابتها وطرفتها، فقد كان لنا - أنا وفاطمة - صديق مشترك كيني الأصل يدعى "جوزيف مورمبي"، وكان إذ ذاك نائبًا لرئيس الاتحاد الأفريقي، وأصبح فيما بعد نائبًا لرئيس جمهورية كينيا بعد استقلالها. ولصلتي الحميمة به فقد كنت أدعوه لإلقاء المحاضرات في الندوات المقامة بجامعة

لندن بصدد قضية استقلال كينيا. وذات يوم اصطحبته لتناول وجبة الغداء بكافتريا الجامعة. وبمحض المصادفة قابلنا فاطمة سالم، وفوجئتُ أثناء جلوسنا أنها تتكلم مع صديقي الكيني، بلغة لا أفهمها، وعلمتُ حينئذ أنها اللغة السواحلية، وأن زميلتي فاطمة رغم جنسيها المصرية، تمتد جذورها العائلية إلى جزيرة زنجبار، وأنها من مواليد هذه الجزيرة. أسعدتني المفاجأة وفي الوقت ذاته أدهشتني وأضحكتني، إذ كنت أحسب أن فاطمة سالم مصرية خالصة.

لم أتتلمذ مباشرة على يد أ.د. فاطمة سالم، رحمة الله عليها، بيد أنني أعدها من جيل أساتذتي، إذ تعلمت منها الكثير، عبر مواقف مختلفة، منها على سبيل المثال، قيامها - في منتصف الستينات - بأعباء رئاسة القسم، خلفًا للدكتور علي حافظ. وكم كانت رئاستها محبوبة لدينا جميعًا، لاتسامها بالحكمة، والاتزان، والعدل. من ثم لا أستطيع نسيان شخصيتها الراسخة في ذهني، وهي شخصية جبارة بطبعها، وإن كانت متواضعة للغاية، رغم علو مكانتها وعظمة أستاذيتها. وآية تواضعها أنه رغم يقيني ومعرفتي قَدْري وضآلة حجمي العلمي مقارنةً بها، فإنها كثيرًا ما كانت تشعرني أنني في مستواها العلمي، ليس هذا فحسب، بل كان في مقدورها إقناعي بذلك. وغالبًا ما كانت تأخذ رأيي في موضوع علمي، لا بغرض التقييم من حيث الخطأ أو الصواب، وإنما بغية المشاركة في الرأي العلمي. وقد كنت - ولا أزال - أرى في ذلك قمة الثقة بالذات، وسعة أفق في التعامل الأكاديمي، وتفرد في الشخصية. ذلك التفرد الذي كان سمة متأصلة فيها، لا على المستوى العلمي فحسب، بل على المستوى الاجتماعي أيضًا. ويحضرني أنه حينما كنا في لندن، كانت دائمة السؤال عن الزملاء حين عدم رؤيتها لهم فترة طويلة. وأشعر من نبرة صوتها وطريقة سؤالها أن ذلك لم يكن بدافع الفضول، بل انطلاقًا من رغبتها الصادقة في الاطمئنان عليهم.

ومما لا ريب فيه أن هذه الصفات كانت من القوة والوضوح، بحيث تجعل الصورة راسخة في ذهني تجاه جيل الرواد ومنهم فاطمة سالم بالطبع، وهو جيل محل تقديري الدائم، ومحط توقيري المستمر ذلك أن المنتمين إليهم كانوا مستغرقين في العِلم، ويجيدون ما يفعلون، دون تظاهر أو ادعاء. فالجدية وحب المعرفة من أبرز سماتهم. ولإيمانهم العميق أن المعرفة هي البصمة المميزة والعلامة الحقيقية للأستاذية، فإنهم لم يجعلوا الحصول على الدرجات الأكاديمية: مدرس، أستاذ مساعد، أستاذ، كل غايتهم، إذ كانوا على يقين من بلوغها بمجهودهم العلمي، دون أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث عنها أو السعي وراءها. ومن ثم حين أحاول مقارنة جيلهم بالجيل الحالي، لا أجد وجهًا للمقارنة.

وحين أتذكر أستاذتي فاطمة سالم وغيرها من أساتذة جيل الرواد، ممن رحلوا عن دنيانا، أقف لهم جميعًا - في قرارة نفسي - وقفة إجلال واحترام، فالأستاذية لديهم، لم تكن وظيفة، بقدر ما كانت رسالة سامية تستحق كل التضحية.

إنني حزين، وأتمزق ألمًا، لرحيل أستاذتي، لاسيما حين أتذكر مواقفها الكثيرة ولمساتها الخاصة؛ إذ يُستشف من كل منها مبدأ وحكمة وفلسفة في الحياة. وحتى لا تبدو كلماتي مبالغ فيها، فإنني أسترجع موقفين من تلك المواقف؛ أحدهما وقع خلال الستينات، حين تغير اسم قسم الآثار اليونانية والرومانية إلى قسم الحضارة اليونانية والرومانية، وضُم إليه قسم الدراسات الأوروبية القديمة (قسم الكلاسيك)، ثم ضم إليه قسم الآثار. وفي تلك الأثناء، كان رئيس القسم هو الدكتور عواد. ونظرًا لسفره خارج مصر، معارًا فقد كان من المفترض أن تصبح أ.د. فاطمة سالم رئيسةً للقسم، بيد أنها رفضت بشدة، وتنازلت عن هذه الرئاسة، رغم إلحاح الجميع عليها.

وحدث ما لم أكن أتوقعه، إذ أصرت أن أكون رئيسًا للقسم، رغم أنني لم أكن وقتها أستاذًا، بل أستاذًا مساعداً فقط. وحين حاولت جاهداً، وبوصفي تلميذاً لها، إقناعها بضرورة توليها رئاسة القسم لأن ذلك حقها الطبيعي، أبت بشدة، ولن أنسى كلماتها التي أدهشتني، حيث قالت: أكون رئيسة للقسم أكثر من مرة! كفى حتى أعطي الفرصة لغيري.

وحين التأمل في هذا الموقف الذي يندر حدوثه حاليًا، أراه ينطوي على معانٍ كثيرة، منها أن أ.د. فاطمة سالم كانت ذات نظرة ثاقبة فاحصة، وبمقدورها سبر أغوار الآخر، لاكتشاف قدراته ونواحي كفاءته. فمن وجهة نظرها أن الكفاءة لا ترتبط بالضرورة - بدرجة أكاديمية معينة - فالدرجات الأكاديمية مجرد شكليات وأن رئاسة القسم تحتاج إلى الكفاءة الإدارية في المقام الأول لا إلى درجة الأستاذية.

من هذه المعاني أيضًا أن تنازل فاطمة سالم وهي الأستاذة، عن رئاسة القسم، يؤكد اتجاهها الفكري ومنهجها السلوكي، من حيث عدم اكتراثها بالمناصب، إذ تراها مجرد مسؤوليات. فسواء ترأست القسم مرة أو مرتين أو لم تترأسه على الإطلاق، ففاطمة سالم في قرارة نفسها هي فاطمة سالم، رمز من الرموز الشامخة التي لا تنسى.

أما الموقف الآخر، فيتمثل - كما أسلفت - في أنها امرأة ذات لمسات خاصة، أتذكر منها أنه حينما عدتُ من بعثتي الدراسية سكنت وزوجتي بفيلا صغيرة بالإسكندرية، وزارتنا فاطمة سالم لتهنئتنا بسلامة العودة. ولما كانت هذه هي زيارتها الأولى لنا في فيلتنا الجديدة، فإنني لا أنسى هديتها اللاتقليدية؛ إذ أحضرت لنا قطعة ديكور لتزيين شرفة الفيلا، وهي عبارة عن فانوس

صغير، جميل، غالي الثمن. وحين أتأمل طبيعة الهدية، أجدها تعكس فكر فاطمة سالم الذي يرمى دائمًا إلى الأمام. فحتى في هذا الموقف البسيط، أرادت أن نتذكرها بشيء جميل، نافع ومستديم، خلافًا لما يقدمه السواد الأعظم من الناس، من هدايا سرعان ما تستهلك مثل باقة ورد أو علبة شوكولاته، وكم كانت - رحمة الله عليها - ذات نظرة مستقبلية ثاقبة، إذ رغم رحيلها عنا ظل الفانوس في بيتنا ذكرى جميلة منها.

- الأستاذ الدكتور: مصطفى عبد الحميد العبادي.
أستاذ الدراسات الكلاسيكية بجامعة الإسكندرية.



اسم فاطمة سالم عزيز جدًا على نفسي، ولولاه ما تسنى لي معرفة التراث اليوناني والروماني. فقد التحقتُ بكلية الآداب جامعة الإسكندرية عام 1947م. ولما كان نظام الدراسة بالفرقة الأولى بالكلية، يسمح باختيار إحدى المواد التكميلية التي تمت بصلة لمجال التخصص، فقد وقع اختياري على مادة اللغة اللاتينية، نظرًا لرغبتي في دراسة التاريخ اليوناني والروماني. وكانت أ.د. فاطمة سالم أول مَنْ علمني اللغة اللاتينية. ومنذ ذلك الحين، بدأت معرفتي بأستاذتي، واستمرت إلى أن علمت بوفاتها. وأنا مدين لها بمعرفتي اللغة اللاتينية، باعتبارها لغة جديدة وغريبة عليَّ آنذاك.

وحقيقة الأمر أن معرفتي بأستاذتي رحمها الله، توطدت بمحدودية عددنا، إذ لم يتجاوز اثني عشر طالبًا من مختلف أقسام الكلية، وتدريسها لنا مادة اللغة اللاتينية وآدابها، أربع مرات أسبوعيًا، فضلاً عن سابق معرفتها بوالدي في جامعة القاهرة، إذ كانا يعملان بها قبل انتقالهما للعمل بجامعة الإسكندرية، حيث عمل والدي أستاذًا بقسم التاريخ بكلية الآداب، ثم عميدًا لها. وكان والدي دائم الحديث عن الدكتورة فاطمة سالم. فمنه عرفت أنها من أوليات خريجات جامعة القاهرة، وأنها كانت طالبة مقربة جدًا من أ.د. طه حسين، رحمه الله، الذي وجهها نحو التخصص في الدراسات الأدبية القديمة (لاتيني ويوناني).

وحين تعرفتُ على أستاذتي كانت تؤكد لي كل ما سمعتُه من والدي. وعلمت منها أنها لم تكن طالبة مباشرة للدكتور طه حسين؛ ففي الفترة التي التحقتُ فيها بجامعة القاهرة (1929م)، كان طه حسين أستاذًا للأدب العربي وعميدًا لكلية الآداب، ومعروفًا باهتماماته في مجال التاريخ اليوناني، حتى إنه حين تأسست جامعة فؤاد الأول (القاهرة حاليًا) في عام 1925م، قام

بتدريس التاريخ اليوناني، وهي المادة نفسها التي كان يدرسها فور عودته من البعثة الدراسية في بداية العشرينات. ومن ثم كان تشجيعه الدائم لفاطمة سالم كي تتخصص في مجال الدراسات اليونانية والرومانية القديمة، أو ما يطلق عليها الدراسات الكلاسيكية، وبذا توطدت الصلة بين فاطمة سالم وطه حسين.

كان والدي أ.د. عبدالحميد العبادي يعمل بجامعة القاهرة منذ عام 1925م، وظل بها إلى أن نال درجة الأستاذية في التاريخ الإسلامي. وعندما تأسست جامعة الإسكندرية في عام 1942م، وصار الدكتور طه حسين رئيسًا لها، آثر والدي الانتقال إليها، حيث أصبح أول عميد لكلية الآداب. وفي تلك الأثناء، اتفق الدكتور طه حسين مع والدي على أن تتميز الجامعة بقسم يختص بالدراسات اليونانية والرومانية. وكان اسم فاطمة سالم أول الأسماء المقترحة للتدريس بهذا القسم، إذ رأى فيها طه حسين كفاءة نادرة وتميزًا لا نظير له في تخصصها، لاسيما أنها حصلت في عام 1942م على درجة الماجستير في الدراسات اليونانية واللاتينية من جامعة القاهرة. وبالفعل تم انتدابها في السنة ذاتها، مدرسًا بكلية الآداب - جامعة الإسكندرية.

ومنذ عام 1947م بدأت معرفتي بأستاذتي الدكتورة فاطمة سالم، وتوطدت لتتطور إلى صداقة حميمة، جمعتنا بها، أنا وزوجتي الدكتورة عزة كرارة. واستمرت هذه الصداقة أكثر من خمسة وخمسين عامًا. وكان آخر لقاء لنا بها في عام 1979م، حين جاءت إلى الإسكندرية في زيارة خاطفة، وحاولنا قدر المستطاع إقناعها بالبقاء في الإسكندرية، مقترحين عليها وبإلحاح شديد، أن يعاد تعيينها أستاذًا بقسم الدراسات اليونانية والرومانية، تقديرًا لها واعترافًا بفضلها، بيد أنها رفضت وبشدة.

وحين أتذكرها - رحمة الله عليها - أمد يدي إلى مكتبتي المكتظة بمختلف المراجع والكتب، والحاوية لأكثر من بحث لها، وأعاود قراءتها؛ فهي أبحاث تتميز بالعمق والجدية والدقة الأكاديمية، وأجمل هذه الأبحاث - من وجهة نظري - وأقربها إلى قلبي، بحث مطول بعنوان: (أندريا ترنتيوس).

وأتمنى أن يمن الله على الأجيال الجديدة في جامعات مصر والعالم العربي، بشخصية مثل الراحلة أ.د. فاطمة سالم، تعطي مثلما أعطت، فعطاؤها باقٍ، ولن ننسى أبدًا أنها - رحمة الله عليها - ربتنا وعلمتنا وكان لها فضل كبير علينا.

- الأستاذة الدكتورة: عزة كرارة.
أستاذة الأدب الإنجليزي بجامعة الإسكندرية.



ترجع بداية معرفتي بالأستاذة الدكتورة فاطمة سالم، إلى عام 1946م، حين كنت طالبة بقسم اللغة الإنجليزية، بكلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ولما كانت اللغة اللاتينية مادة إجبارية على طلاب قسم اللغة الإنجليزية، فقد درستْ لي الدكتورة فاطمة سالم هذه اللغة، عامين متتاليين (1946-1948م). بيد أن صلتها بنا أنا وزوجي أ.د. مصطفى العبادي توطدت في لندن، إذ كنا في بعثة دراسية، بجامعة كمبريدج "Cambridge"، وكانت هي في جامعة لندن، لنيل درجة دكتوراه فلسفة الأدب "Ph.D" في مجال اللغة اللاتينية، وأتذكر جيدًا أن موضوع رسالتها في الدكتوراه كان عن فن الساتورا "Satura" وبالإنجليزية "Satires" وتعني فن الهجاء عند الرومان. وهو فن يشبه في الأدب العربي فن التهكم الموجود في أدب المقامات مثل مقامات الهمذاني والحريري وغيرها، التي تنطوي - عادة - على النقد الاجتماعي، فضلاً عن الإسقاطات الأخرى، والتخصص الدقيق لفاطمة سالم هو فن الهجاء عند الشاعر الروماني جوفيناليس "Juvenalis" وبالإنجليزية "Juvenal" الذي عاش في القرن الأول الميلادي.

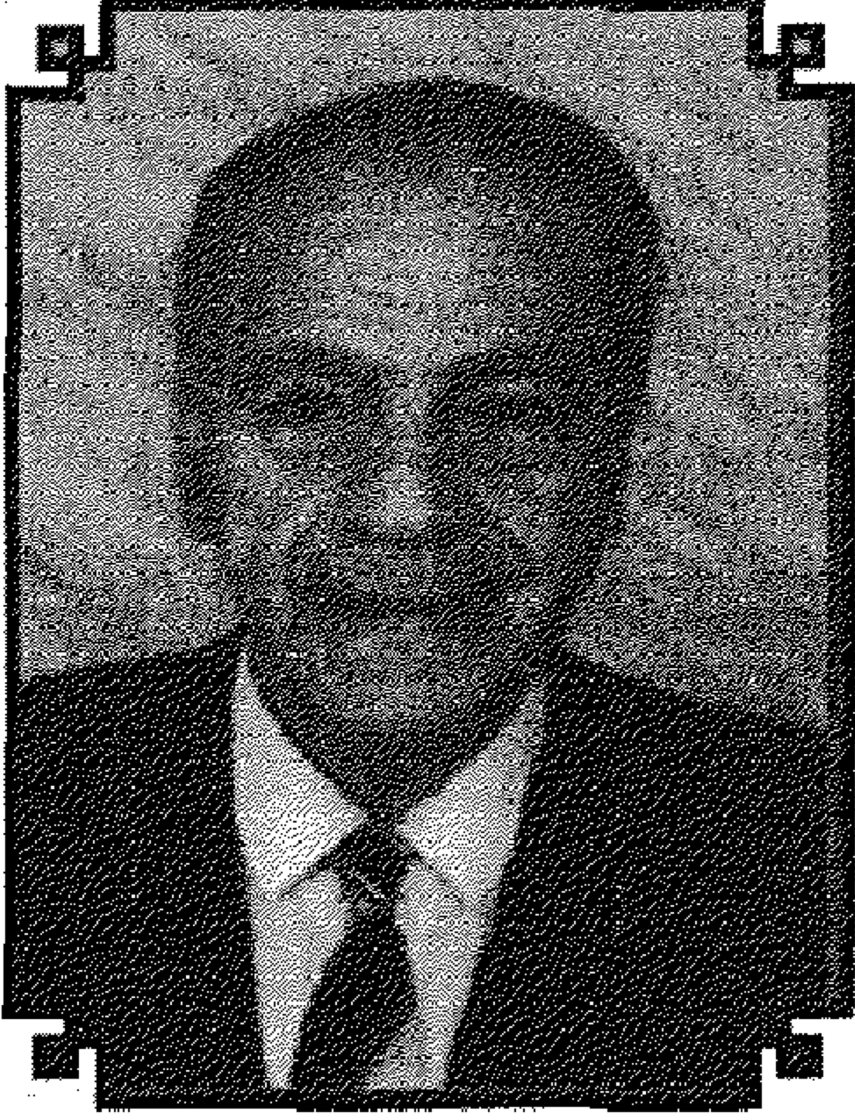
إن صلتي بها توطدت في لندن، إذ قمتُ في تلك الأثناء بترجمة مقالات ومقاطع من مراجع مكتوبة باللغة الألمانية، تخص بحوثها، لاسيما فيما يتعلق بالشاعر "جوفينال". وبما أن الدكتورة فاطمة سالم لم تكن على دراية تامة باللغة الألمانية، فإننا كنا نجتمع مرارًا في جلسات عمل مطولة، في كل من لندن وكمبريدج، وقد توطدت الصداقة بيننا لدرجة أننا أصبحنا وكأننا عائلة واحدة. واستمرت جلسات العمل بيننا ولكن مع زوجي؛ إذ بعد حصولها على الدكتوراه، كثيرًا ما كانا يجتمعان لقراءة خطب شيشرون وتبادل الرأي فيها، لاسيما خطبه ضد كاتيلينا.

وما أود تأكيده أن صلتنا - أنا وزوجي - بفاطمة سالم لم تكن صلة تلمذة ثم زمالة فحسب، بل كانت صلة واسعة وحميمة على كل مستويات الحياة، تضمنت مواقف كثيرة، منها أنني منذ عام 1956م وحتى اليوم أحتفظ بهديتها لي، وهي عبارة عن قطعتي قماش قطن؛ "تعني الليسو" أتت بهما من زنجبار، وشرحت لنا أن هذا النوع من القماش، عادة ما يستخدم في الصلاة، بوصفه غطاءً للرأس والجسم، فضلاً عن استخدامه في الأغراض المنزلية الأخرى.

من هذه المواقف أيضًا، ما وقع بعد عودتنا من البعثة الدراسية. فأثناء العدوان الثلاثي على مصر عام 1956م، تعرضت الإسكندرية للقصف، وكان حفيدا فاطمة سالم (علية ومحمد) يعيشان معها، ويروعهما أصوات القصف. ولما حدثتني الدكتورة فاطمة في هذا الأمر، عرضت عليها الإقامة معنا بحي سموحة، فوافقت، وعشنا سويًا عيشة أسرية، لمست فيها مدى لطفها ورقتها، لاسيما أثناء حكيها لنا عن جزيرة زنجبار وجمالها وعن عائلتها، وأمور أخرى لم أكن أعلمها.

ورغم ما لديَّ من فكرة بسيطة عن العلاقة السياسية والتاريخية بين زنجبار وسلطنة عُمان، ورغم حكي فاطمة سالم عن أسرتها العربية في زنجبار، فإنني لم أعتقد يومًا أن كونها عربية مولودة في جزيرة زنجبار، يعني أنها عُمانية الأصل، لاسيما أنني علمتُ مؤخرًا أن سلطنة عُمان وزنجبار كانتا دولة واحدة لفترة تاريخية طويلة، إلا أنه يحضرني الآن وأنا أجتر الذكريات البعيدة، أن الدكتورة فاطمة سالم في زيارتها الأخيرة للإسكندرية، في نهاية السبعينات ذكرت - في معرض حديثها معنا - أنها استقرت بموطنها الأصلي سلطنة عُمان منذ أكثر من عشر سنوات، لكن تقدم السن بي، وكثرة الذكريات وبعد المسافة الزمنية جعل الأمور تختلط وتتداخل.

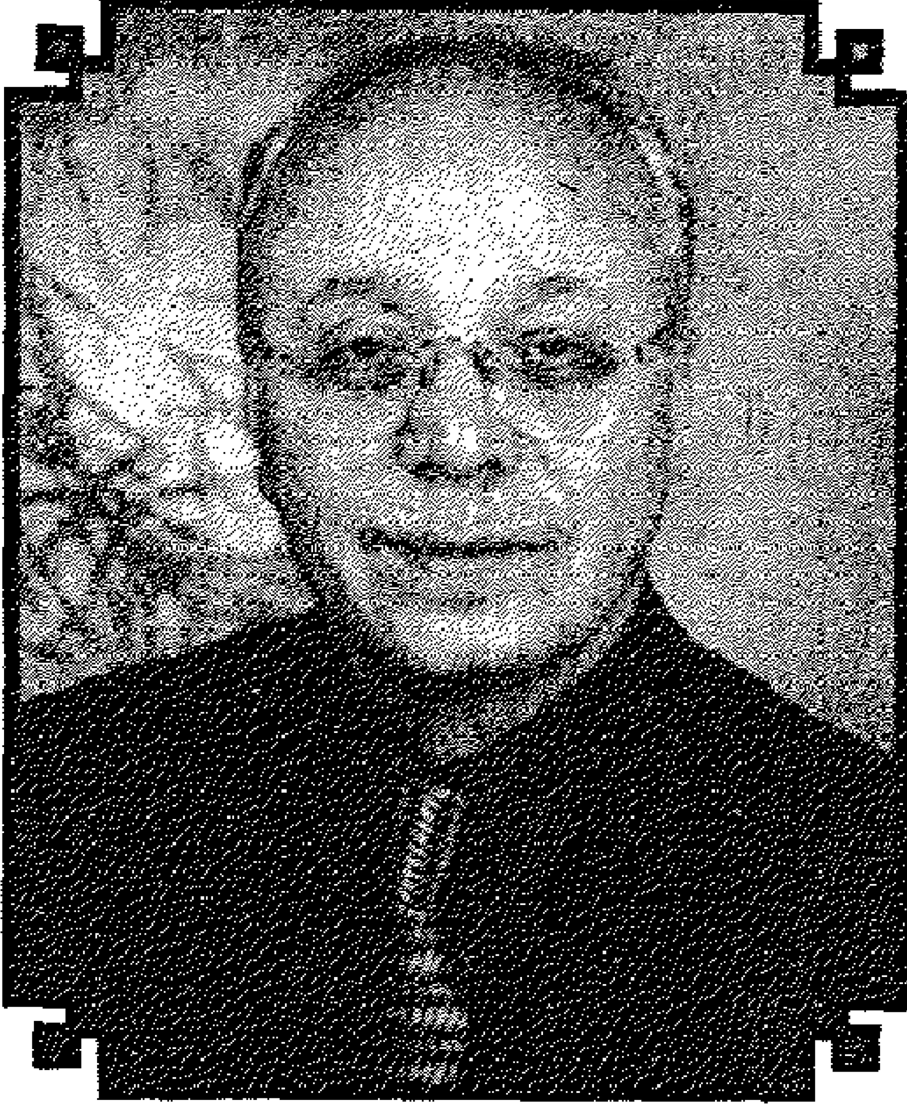
رحم الله فاطمة سالم رحمة واسعة، فقد كانت واقعًا جميلاً، وأصبحت الآن ذكرى عزيزة علينا جميعًا. فحين نتذكرها، نسترجع مختلف مراحل عمرنا ودراستنا في الجامعة، ولا أستطيع أن أصف مدى حبي لها واعتزازي بها، فعلاقتنا بها كانت من أجمل العلاقات، نظرًا لطبيعة شخصيتها، وقلة عدد طلابها، مما أدى إلى وجود صداقة بينها وبينهم. وحين أقول صداقة، لا أعني أنها كانت متساهلة معهم أثناء المحاضرة، إذ كانت الصرامة سمة أساسية في شخصيتها، فضلاً عن الشدة في المواقف التي تقتضي ذلك. وفي المقابل كان لديها بعد إنساني في الحالات التي تستأهل الإنسانية. ومن ثم أقول: إنها كانت شخصية مميزة بسمات عدة، أبرزها قوة الملاحظة والدقة، إذ كانت تتابع كل واحد منا أثناء المحاضرة، في حركة دائبة دون الجلوس قط. كما تمتعت بحضور قوي وهيبة ملحوظة. تلك الهيبة التي كانت سمة أساسية ودائمة في شخصيتها، فهي بطبعها شخصية قوية وقيادية جبارة، لا يستعصى عليها شيء. فإذا أرادت شيئًا، قهرت المستحيل وصولاً إليه.



- الأستاذ الدكتور: فوزي عبدالرحمن الفخراني.
أستاذ الآثار اليونانية والرومانية بجامعة الإسكندرية.

أحزنني كثيرًا فراق زميلتي أ.د. فاطمة سالم. فرغم أني قعيد الشيخوخة والمرض والألم، بهذه الدار "دار أحمس خليفة للمسنين بسموحة"، ورغم ما ألم بي من عناء الكهولة، فإن ذاكرتي تسترجع ذكريات الماضي البعيد، مع زميلتي فاطمة التي لا أتصور أن أحدًا بكلية الآداب، جامعة الإسكندرية، أو بمنطقة الشاطبي أو سموحة أو حي لوران لم يعرفها، إذ كانت شخصية لها حضور طاغٍ، وبعد اجتماعي، فضلاً عن طيبة قلب ملحوظة. وأول معرفتي بها كانت بكلية الآداب جامعة الإسكندرية، في بداية الأربعينات، وإن كنت لا أتذكر السنة تحديدًا، بيد أنني أتذكر أنها كانت منتدبة من جامعة القاهرة، للتدريس بجامعة الإسكندرية أسبوعيًا. وفي أثناء البعثة الدراسية ببريطانيا، توطدت الصلة بيننا، وكان ذلك في مطلع الخمسينات.

وثمة عدة مواقف ربطتني بها، بيد أن ظروفي الصحية وكبر سني يحولان دون حكيها برمتها، وإن كنت أود ذكر موقف محدد، لأنه يعود بي إلى زمن تلاشى تمامًا، وأصبح وجوده مستحيلا .فقد عُينتْ فاطمة سالم مدرسًا مساعدًا بجامعة الإسكندرية، نظرًا لحصولها على درجة الماجستير، وكنت وقتها معيدًا لم أحصل بعد على هذه الدرجة. ولما كانت فاطمة سالم تجيد الإنجليزية والفرنسية والعربية كتابةً وقراءة وترجمة، فإن عدم إلمامها باللغة الألمانية، حال دون قراءة كتاب مكتوب بهذه اللغة للشاعر الروماني جوفنيال، فطلبت مني أن أشتري الكتاب وأترجمه لها من الألمانية إلى العربية. وبالفعل اشتريت الكتاب وأعطيتها إياه، معتذرًا بشدة عن عدم ترجمته. ذلك أنني شعرت بحرج شديد - رغم أن الفارق العمري بيننا لم يكن كبيرًا - على اعتبار أنها في مرتبة علمية أعلى مني. ومن ثم كنت أعدها في مصاف أساتذتي، لاسيما أنها درست لي اللغة اللاتينية عامًا دراسيا كاملاً. ففي أيامنا كانت هناك قواعد نتعامل بها مع أساتذتنا، مبجلين إياهم. وحين أسترجع تلك الأيام، اشعر بأسى عميق على زمن ولى، حين كانت الجامعة بحق جامعة أخلاق وعلم.



- الأستاذ الدكتور: ماهر عبدالقادر محمد علي.

وكيل كلية الآداب جامعة الإسكندرية لشؤون الدراسات العُليا والبحوث (سابقًا)، وأستاذ تاريخ العلوم وعميد كلية السياحة والفنادق بالجامعة ذاتها.

كنت واحدًا من الفريق المكلف بقراءة مجموعة من البحوث لعدد من الأساتذة، بغية اختيار أفضلها، تمهيدًا لنشرها في كتاب تذكاري أعدته كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، بمناسبة افتتاح مكتبة الإسكندرية في السادس والعشرين من أكتوبر عام 2002م. وعليه وقع الاختيار على بحث بعنوان (فن الشعر لهوراتيوس: النقد الأدبي) للأستاذة الدكتورة فاطمة سالم، ليعاد نشره بهذا الكتاب، حتى يتسنى للعلماء والمثقفين بمختلف مستوياتهم، الإطلاع عليه.

وبمقدوري إبداء مجموعة من الأسباب، تم بموجبها اختيار هذا البحث، لعل من أهمها أن الأستاذة الدكتورة فاطمة سالم عَلم من الأعلام الهامة في جامعة الإسكندرية بصفة عامة وكلية الآداب بصفة خاصة، فقد واكبت الراحلة - رحمة الله عليها - واحدة من الفترات الزاهرة في تاريخ الكلية والجامعة. ولما كانت بحوثها العديدة متميزة ولها إضافات علمية وإسهامات فكرية في مجال الدراسات الكلاسيكية، فقد قررنا - احتفاءً بافتتاح مكتبة الإسكندرية - إصدار كتاب تذكاري، يضم بحوثًا عن مدينة الإسكندرية خلال أحقاب تاريخية متنوعة، يتكون من خمسة مجلدات، ثلاثة منها باللغة العربية، واثنين بالإنجليزية. على أن يكون بحث الدكتورة فاطمة سالم مضمناً في المجلد الأول.

وجدير بالذكر أن بحث (فن الشعر لهوراتيوس: النقد الأدبي) بحث قديم للدكتورة فاطمة سالم، منشور عام 1965م بالعدد التاسع عشر من مجلة كلية الآداب المُحَكمة بجامعة الإسكندرية.

ورغم أنني خريج قسم الفلسفة بكلية الآداب فإنني أعلم أن الراحلة العظيمة قد ترأست قسم الكلاسيك خلال فترة الستينات، وكان لها اهتمام بالغ بالدراسات القديمة "الكلاسيكيات" وأعدت فيها بحوثًا، يتبين منها حال الإطلاع عليها أن فاطمة سالم قد تناولتها بروح فلسفية تهيمن على كل بحوثها، وتُعد أهم ميزة لها.

وترجع أهمية بحث "فن الشعر لهوراتيوس: النقد الأدبي" إلى أنه بحث في الكلاسيكيات التي كانت شغل فاطمة سالم الشاغل، وأنه يحوي أحد موضوعات الأدب، تناولته الراحلة بنظرة

نقدية غير تقليدية، بمعنى أن هذه النظرة مقرونة بنظرة فلسفية شاملة للموضوع، ومن ثم اتسم نقدها بموضوعية شديدة، تؤكدها مجموعة المصادر والمراجع التي وظفتها في تحليل أفكار البحث.

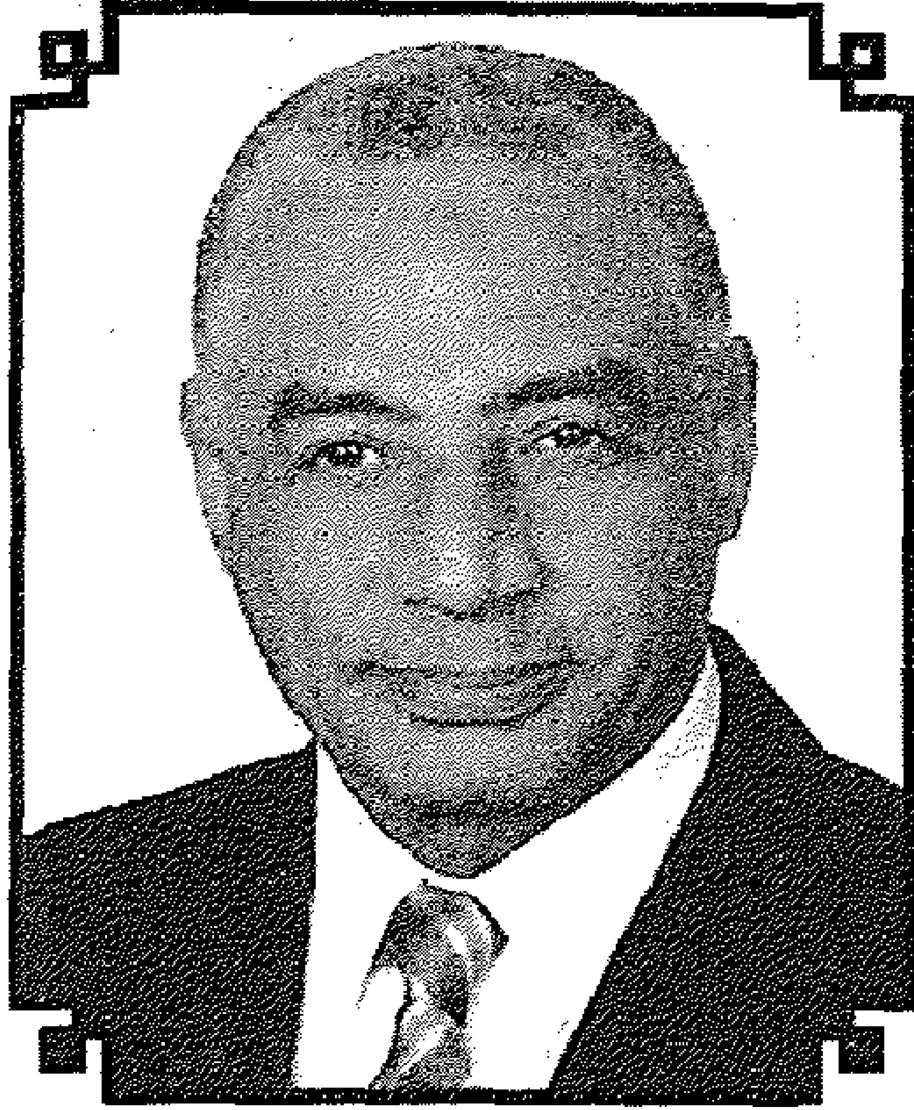
ومن وجهة نظري أن هذا النوع من النقد، يُستقى منه الهدف العام، متمثلاً في عدة اتجاهات أبرزتها الراحلة في أجزاء البحث. فالمقدمة - مثلاً - اتسمت بنظرة نقدية عامة أضفت على الموضوع وطريقة التحليل قدرًا كبيرًا من الموضوعية التي لا تخلو من رؤية ذاتية، تجلى منها مدى اهتمام فاطمة سالم بالأطر الفلسفية والميتافيزيقية، التي اتخذتها أساسًا لتناول الموضوع ككل. هذا فضلاً عن تقييمها لعمل هوراتيوس، وهو تقييم يعبر عن رؤيتها الخاصة بكل ما فيها من جانب فلسفي وأدبي.

وباستعراض موضوع البحث، يتضح اهتمامها البالغ في عرض الاتجاهات المختلفة في تعريف النقد الأدبي، قديمها وحديثها. وقد خلصت فاطمة سالم إلى أن نظريات النقد عند القدماء بصفة خاصة، جاءت لتكشف مدى إحساسهم بالجمال وتقديرهم له، وأن اختيارها لتحليل نص فن الشعر لهوراتيوس كان الهدف منه إبراز مكانة الفلسفة في ذلك الوقت، من خلال نص أدبي، يُعد نموذجًا للكلاسيكيات القديمة. كما نوّهت إلى أن كتاب فن الشعر لهوراتيوس، الذي كتب فيما بين عامي 8 و23 قبل الميلاد، حوى وجهات نظر متباينة، أدرجتها الراحلة في بحثها، واعتبرتها بمثابة اجتهادات من جانب قدماء المفكرين، توصلت من خلالها إلى أن العصر (المتأغرق) لم يشتهر بنظرية أدبية محددة، نظرًا لضياع وثائقه، ولم ينتج عنه نظرية أدبية جادة، يمكن أن تقارن في جديتها بنظريات القرن الرابع في أثينا.

كما أن هذا العصر لم ينتج عنه أي فن أدبي، يمكن مقارنته بالفنون في عصر "بيركليس" أو بفن "هوميروس"، وإن اشتهر هذا العصر بالدراسات التاريخية الجادة والتكنولوجيا، وظهور المذاهب الجمالية المغالى فيها، وهي أمور وجهت مفكريه نحو الاهتمام بالبحث العلمي، والدراسات المتعلقة بمكتبة الإسكندرية، لاسيما الفهارس المكتبية، كما وجهت كُتَّابه نحو نشر نصوص "هوميروس" ونقدها. وعليه نشأ الخلاف في وجهات النظر بين القديم والحديث.

للأسباب السابقة، وما يندرج تحتها من أفكار وتفاصيل، قررنا اختيار بحث أ.د. فاطمة سالم، باعتباره نصًا معبرًا عن روح الكتابة في العصر المتأغرق، الذي يمثل من وجهة نظرها، مرحلة هامة من مراحل الحياة الفكرية وتطورها بمكتبة الإسكندرية القديمة. وهذا البحث يُعد من وجهة نظري، تعبيرًا أصيلاً عن فترة من فترات الإنتاج العلمي والفكري في مصر خاصة وفي تاريخ الحضارة عامة، وهو إنتاج ساهمت فيه الدكتورة فاطمة سالم، بصورة أساسية من خلال بحوثها العديدة.

(ب) الطلاب.



- سيد حسن أبو راس.
يعمل بقطاع السياحة بالإسكندرية.

ولدتُ بمنطقة النوبة بصعيد مصر، وأتيت إلى الإسكندرية عام 1964م، حيث التحقتُ بقسم الدراسات اليونانية واللاتينية بكلية الآداب جامعة الإسكندرية. ومن ثم تتلمذت على يد أ.د فاطمة سالم، التي لم تكن أستاذة فحسب، بل مثلاً أعلى يُحتذى به في جميع مواقف الحياة.

وحين أتذكر شخصية أستاذتي - رحمها الله -، لابد أن تمر تفاصيل المواقف عبر الذاكرة، بدقة متناهية فالراحلة مثال للتفاني، لديها قدرة فائقة في جعل طلابها - وأنا واحد منهم بالطبع - يطرحون رهبة الأستاذية جانبًا حال التعامل معها؛ إذ كانت في مواقف كثيرة أختًا كبرى لنا أكثر منها أستاذة، قريبة إلى طلابها الذين يتراوح عددهم بين ثلاثة وثمانية، وهم الذين دأبت على غرس روح البحث العلمي فيهم. تلك الروح التي كانت متأصلة فيها، وفي زملائها من أساتذة ينتمون إلى جيلها، ومن ثم كنا نتعامل مع المادة العِلمية بوصفنا باحثين لا متلقين للمعلومات فحسب.

ورغم قلة عدد المتخصصين في مجال الدراسات اليونانية واللاتينية، نظرًا لصعوبة الدراسة بوجه عام، وعلى اعتبار أن اللغة اللاتينية لغة صعبة وميتة بوجه خاص، فإن الدكتورة فاطمة سالم استطاعت - بأسلوبها المتميز في التدريس - أن تشوقنا لدراسة هذه اللغة، بجعلها لغة سلسلة حية مع كل طلابها، سواء في مرحلة الليسانس أو الدراسات العُليا. ولست مبالغًا إذا قلت: إن تفوقي في اللغة اللاتينية إنما هو ثمرة مجهودها وأسلوبها في التدريس، وهو أسلوب أعده أفضل الأساليب، إذ تعلمت منها كيفية التعامل مع العِلم بعمق وحب، وهو أمر - من وجهة نظري - أهم من التعامل مع مواد التخصص باعتبارها مواد منهجية فقط.

وبالإضافة إلى العِلم، تعلمتُ من أستاذتي أشياء كثيرة، منها ضرورة تواضع الإنسان مهما بلغ من مكانة، وعدم تنصله من السمات الإنسانية. وفي هذا المقام تحضرني واقعة من الصعب نسيانها، رغم مرور عشرات السنين عليها. فحين كنت طالبًا بالفرقة الأولى، انقطعتُ عن الذهاب إلى الكلية أسبوعًا كاملاً بسبب مرضي. وإذ بي أفاجأ بقدوم الأستاذة الجليلة ورئيسة القسم

الدكتورة فاطمة سالم، لزيارتي بالبيت نظرًا لقلقها عليَّ، حيث كنت أحد طلابها. وعلمتُ فيما بعد أنها أتت بعنواني من إدارة شؤون الطلاب بالكلية.

ومهما قلت، أو حاولت وصف وقع هذه الزيارة على نفسي، لا أستطيع أن أوفيها حقها، إذ غرستْ في نفسي أثرًا عميقًا، أدركت معه معنى التواضع والإنسانية، فلا يعقل في زماننا هذا أن يزور أستاذ جليل طالبًا بسيطًا مثلي.

من ثم أقول: إن أستاذتي الراحلة كان لها أسلوبها الخاص في التدريس وفي التعامل مع الآخرين، حيث كانت معطاءة على كل المستويات، ويشهد لها الجميع بذلك. ومن أبرز سماتها الدقة المتناهية، والمطالبة دومًا بأن تكون الأمور كما ينبغي. وأكثر ما كان يزعجها الخطأ وعدم الانضباط وقلة النظام، وعادة ما كان انزعاجها بمثابة المؤشر لنا لمعرفة نمط مزاجها؛ من حيث ارتفاع صوتها أثناء سيرها بممرات الكلية أو عدمه، قبل دخولها قاعة المحاضرة، فنعلم حينها أهي عصبية غاضبة؟ أم أن مزاجها هادئ؟

وإذا مر أسبوع دون عصبية أو انزعاج من جانبها، نفتقد صوتها العالي وإرشاداتها في الأمر والنهي والتوجيه، ومن ثم نتعمد إلقاء قصاصات الورق في الممرات حتى نتلذذ بسماع جملتها المعتادة حال دخولها قاعة المحاضرات: الحضارة اليونانية حضارة عريقة، واللغة اللاتينية لغة الشعوب المتحضرة، فكيف لي أن أدرسها لكم، وأنتم تفتقرون إلى أبسط قواعد التحضر؛ النظافة؟!

وأود أن أؤكد أن أستاذتي تنتمي إلى جيل الرواد الأوائل، وهي إحدى فتيات الدفعة الأولى التي تخرجت في جامعة القاهرة، وذلك في بداية الثلاثينات، وهي دفعة تلتها دفعة أخرى ضمت الرائدة الدكتورة سهير القلماوي رحمها الله. وقد تركت فينا رائدات القرن الماضي بصمات، تبرهن عليها طبيعة شخصياتهن وجدية بحوثهن وعمقها. ولا زلت أحتفظ بمكتبتي في القاهرة ببحث جاد للأستاذة الدكتورة فاطمة سالم، أعدته في الستينات، وهو عبارة عن كتاب يحوي ما ترجمته من الخطب الكتيلينية لشيشرون.

وأقول لروحها العطرة، ولكل أبناء جيلها مِمَنْ رحلوا عن دنيانا، أنهم كانوا بحق أساتذة؛ فجامعة الإسكندرية في زمانهم كانت جامعة بكل معاني الكلمة، أما الآن، فلا تعليق.



(ج) الجيران.

- شوقية محمد محفوظ.
ربة بيت وحرم اللواء عبد الحميد علي جامع.

إنني الآن في العقد السابع من عمري. عرفتُ أ.د. فاطمة سالم بهذه العمارة العتيقة بشارع هيرودوت؛ حيث كانت تسكن بالدور الأول، شقة رقم (1). ولم تكن علاقتي بها علاقة جيرة وسُكْنى فحسب، بل صداقة قوية بدأت منذ أكثر من خمسة وأربعين عامًا، واستمرت حتى رحيلها عن الإسكندرية. لذا يعتصرني الألم ويغمرني الحزن منذ سمعتُ بوفاتها. فالذكريات التي جمعتنا من الكثرة بحيث لا أبالغ إذا قلت إنها بعدد شعر رأسي.

وقبل أن أحكي بعضًا من هذه الذكريات، أود أن أصرح بأن الأستاذة الدكتورة فاطمة سالم كانت - ولا تزال - صاحبة فضل عظيم عليَّ وعلى أولادي. فقد كانت دائمة الرعاية لأبنائي بمتابعتها لمستواهم الدراسي وتعليمها إياهم اللغتين الإنجليزية والفرنسية، وهي التي ألحقتهم بمدرسة فيكتوريا للغات (Victoria College). ولا أنسى لها موقفها في إلحاق أولادي بالمدرسة. فقد طلبتُ من زوجي رحمه الله أن يقدم للأولاد بنفسه، نظرًا لأن تعليمي محدود ولا أعرف لا أنا ولا زوجي لغات أجنبية، فقال لي: إذا ذهبنا إلى المدرسة، لن يقبلوا الأولاد، فشرط القبول في مثل هذه المدارس أن يكون أحد الأبوين ملمًا بلغتين أو على أقل تقدير لغة أجنبية واحدة، فاطلبي من جارتنا الدكتورة القيام بهذه المهمة، وهو ما حدث بالفعل. ومن ثم يعود إليها الفضل في تعليم أبنائي الإنجليزية والفرنسية، الذين كانوا يحبونها كثيرًا، إذ كانت دومًا تلاعبهم.

وكانت المعاملة بيننا وبين الدكتورة فاطمة سالم حسنة ومتينة، ومبنية على الثقة المتبادلة، لدرجة أنها حين كانت تسافر إلى القاهرة ثلاثة أيام أسبوعيًا، تترك معي أحفادها (محمد وعلية). واستمرت هذه العلاقة الطيّبة بيننا حتى بعد انتقالها للإقامة بفيلا صغيرة بحي لوران المقابل للبحر. فرغم بُعد المسافة بين لوران والشاطبي، فإنني كنت أذهب مرارًا بصحبة أولادي لزيارتها.

إن أفضالها علينا كثيرة، وتعلمت منها الكثير، فهي لم تكن أستاذة جامعية فحسب، بل أستاذة في شؤون الحياة. وأتذكر أنني حين تزوجت لم أكن أعلم كيفية التعامل مع أمور كثيرة، فعلمتني. وأكرر أن الفضل لله أولاً ثم لها في النهوض بأولادي علميًا، فقد علمتهم إلى أن أصبح أكبرهم طيّارًا، وأوسطهم مهندسًا بإحدى شركات النفط، وأصغرهم مترجمًا. لذا أشعر في قرارة نفسي أنني مهما قلت، ومهما كُتب عنها، فلن نستطيع أن نوفيها حقها، فقد كانت - رحمة الله عليها - امرأة فاضلة، تفعل الخير دائمًا، عظيمة، معطاءة، عرف عنها سخاء اليد، واستفاد منها الكثيرون. فكم من أولاد علمتهم بلا مقابل، ومنهم - بالطبع - أولادي. وأنا وزوجي لم يكن لنا اختلاط بأحد سواها، نظرًا لأخلاقها الحميدة التي لم نجدها في غيرها. لقد كانت معرفتها معرفة فخر وخير ومحل ثقة ليس لنا فحسب، بل للجميع. وأسأل الله أن يسكنها فسيح جناته.

رسالة حب.

الإسكندرية، لوران، صيف 2006م.

جدتي، يا مهجة قلبي، فارقت دنيانا، ومرتْ سنون على رحيلك، بيد أن القلب لم يوصد بَعْدُ أبوابه منذ تعلقه بعينيك، ويعيد الآن قراءة سِفر رحيلك مؤكدًا أن مَنْ هم مثلك ترحل أبدانهم دون أرواحهم، حيث تظل في الأفق محلقة، حينئذ لا نملك إزاء مَنْ نحب سوى قلب يعشق ذكراهم.

ورغم عجز قلمي عن فعل البوح، فإنني عبر أثير المودة والحب، أؤكد لروحك العطرة أنك لم تتركيني قلبًا يعشق ذكراك فحسب، بل عقلاً يبجل إرثك، فألف تحية وتحية أرفعها إليك. تحية للسيرة الفريدة التي أرسيتيها بثبات الخطى، وتحية لبصمة تاريخ استحالت إلى رمز فخار واعتزاز، وتحية لكينونة حضور ترسخت بالريادة، وتحية لسيرورة تحققت بالبحث العلمي.

جدتي الغالية أعلم جيدًا أن الحوار بيننا بات مستحيلاً، وأن الصمت قد أطبق واستحكم، ولكن ما جدوى الكلام طالما أن الكلمات لم تكن السبيل الأوحد للحديث بيننا؟ ألم نتحاور - قبلاً - حوار الأرواح؟ ألم يكن النقاء والتلاقي الروحي بيننا بما فيه من لحظات صمت كافيًا لترجمة جموح أحاسيسي تجاهك؟ وعليه فإنني عبر بساط الصمت ذاته أرسل إليك أنيني، شجني، همساتي وأقول لروحك: إنني لا زلت على عتبات الصمت أترقب نداءك، وأتلمس حنو يدك على رأسي وأنت تكشفين لي خبايا الأقدار بكل ما فيها، فلولا وجودك ما كان بمقدوري استيعاب مضامينها، أو الوقوف على دروب فلسفتها.

يا توأم الروح، إن ذاكرة الطفولة لا تزال تختزن كل الذكريات معك، تستدعي إحدى المشاهد تفصيلاً حين كنت في السابعة من عمري وأنتِ تتخطين معي بهو الظلام إلى شرفة الضياء، لِتُلَوِّني مخيلتي بالسرد الجميل لألف حكاية وحكاية، حكايات تشع بالفكر وتطرد كل شائبة خوف أو هلع من نفس طفلة لتغرس بدلاً منهما الثقة بالذات والطمأنينة للغائب والمجهول، فحين أخلو إلى نفسي يحضرني جميعها بتحليلاتك ونظرياتك وآرائك. أتدرين أني أسترجع الآن - وأنا مستلقية على شرفة مطلة على بحر الإسكندرية وأشعة الشمس تهيمن في الأفق - حكاية الإنسان الذي حاول جاهدًا أن يجمع حزمة ضوء في باطن كفه، فحين أطبقها ونظر في ثغرها وجدها مظلمة.

فالذاكرة حُبلى بسردك الذي يتسم بالعمق، ويشرع كل نوافذ الأسئلة؛ أسئلة طرحتها عليك وأخرى سألتيها لي ليشكل كلاهما مساحات حوار فريدة من نوعها جمعت بين جدة في الستين من عمرها وحفيدة؛ ابنة السابعة.

لا يزال مشهد الأستاذة الجليلة ورئيسة القسم وهي تنزل من كرسيها الجامعي ماثلاً في خيالي وكأنه يقع آنيًا، حين استعصى عليَّ فهم كلمتي الرصيف والمشاة في درس المطالعة، فما كان منكِ، أيتها القديرة، إلا أن احتضنت كفى بتواضع العلماء وذكاء المربين مصطحبة إياي إلى الشارع العام حيث سُبابتك مرفوعة تُعين الرصيف وتشير إلى المشاة.

اتضح الدرس وترسخت الفكرة؛ (النظرية والتطبيق) إلى الأبد، لتصبح منهاجًا لي وأسلوب حياتي فيما بعد.

جدتي أتعلمين أنني حين أرنو - الآن - إلى قصر الزعيم مصطفى كامل بكورنيش الإسكندرية، يقفز إلى ذهني ذكريات التاسعة من عمري، حيث بكائي المستمر عقب زيارة طبيب الأسنان.

أتذكر التفاصيل جميعها حين كنتُ بصحبتك في منطقة وسط القاهرة وتحديدًا عند ميدان مصطفى كامل. وحيث إنكِ كُنتِ على دراية تامة بميولي النفسية واهتماماتي الفنية منذ الصغر، وجذبًا لانتباهي بعيدًا عن ألم الضروس والبكاء، فاجأتيني بسؤال: لِمَنْ هذا التمثال؟ لا أعلم. جدتي ما معنى كلمة تمثال؟

عبرتُ بصحبتك الطريق، وعلى القاعدة المحيطة بالتمثال، أجلستيني بمنتهى الاسترخاء والأريحية وكأن الدنيا في عصر ذلك اليوم الربيعي خلت من كل شيء سوانا؛ إذ بلا اكتراث لأي شيء حولك، شرعتِ توضحين لي مَنْ هو مصطفى كامل، وما هي معاني كلمات :الزعيم، والتمثال، والفن والنحت. حتى فلسفة التضارب بين الحياة واليأس نوهتِ إليها من خلال جملة "لا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس" المنحوتة أسفل التمثال.

جدتي، صارت القاهرة خانقة بازدحامها وضجيجها؛ فلا مجال فيها - اليوم - لتلقي دروس التاريخ واللغة والفن على قارعة الطريق، بيد أنني كلما قطعت شوارع وسط البلد سيرًا على الأقدام، ومررتُ بتمثال مصطفى كامل أترحم عليكِ وعلى أيامي معكِ.

يقيناً أن مواقفك معي وكلماتك لي في كثير من الأحايين كانت أكبر من استيعابي لها بوصفي طفلة حينئذ، بيد أن الفريد فيها أن كلاً منها لن يخلو من درس ترسخ في الذهن بشكل أو بآخر.

حواراتك معي مُؤَثِرة للغاية وممتلئة بلحظات جديرة أن يسطرها قلمي، صوت الموج الآن

يجعلني أسترجع نغمات صوتك وأنتِ تنشدين لي أغنية "سنة حلوة يا جميل" باللغة اللاتينية. كم كنت رائعة ومدهشة وأنت تشرحين لحفيدتك ابنة التاسعة، أن اللاتينية هي أساس اللغات الأوروبية الحية.

قلمي يعجز عن سرد كل المواقف والذكريات معك، نسيم بحر الإسكندرية يعيدني إلى نسيم يوم الجمعة حيث الاستمتاع بمذاق الإجازة والرحلة الطويلة من حي جاردن سيتي إلى حي المهندسين، الذي تغطيه المساحات الخضراء ببيوته المحدودة للغاية، وفيلا الوفاء تقبع وسط المزارع، صور شتى تقفز إلى مخيلتي الآن، بعضها باهت وآخر واضح، كتلك التي تختزنها الذاكرة لمشهد فيلا الوفاء من الداخل حيث هيمنة الأثاث الخشبي على غرف النوم والصالة والصالون. من كل ذلك أتذكر بوضوح المكتبة الخشبية البنية اللون وأرففها المكتظة بالكتب، جزء منها اختنق على الأرفف فتناثر على الأرض والأريكة بحثًا عن متنفس لها.

لا أعلم لماذا منظر المكتبة بالذات يحضرني بوضوح، وكأنني أراها ماثلة أمامي، ربما لضآلة حجمي إزاءها إذ ذاك، أو ربما لالتصاقها بحدث لم ولن أنساه.

حين قرر أخي - منتهزاً انشغالك بالمطبخ - أن يبنى من الكتب المنثورة على الأرض جسرًا عاليًا كي نخطو عليه ونقفز فوقه، وكان من نتيجة السباق على الفوز تمزق أحد الكتب، كتاب أتذكره جيدًا بغلافه الأخضر القوي وبأبجديته الأجنبية المذهبة التي بدت لي طلاسم حينها.

أدرك أخي الذي يكبرني فداحة ما اقترفناه، وفور سماعه نهرك وأنت آتية من المطبخ مسرعة، فر من البيت، تاركًا إياي أواجه وحدي مصير العقاب. لن أنسى اللسعة الشرارية على فَخْذَيَّ حين نزل النعال "الشبشب البلاستيك" راسمًا عليهما نوتة موسيقية حوت دندنة الشرق ونغمات الغرب.

ورغم شعوري بالألم حينئذ والفاصل الزمني بيني وبين تلك الواقعة فإن صوتك لا يزال يطرق أُذُنَيَّ وأنت تقولين في زجر: أُلفت الكتب للقراءة والاستفادة منها، لا لتمزيقها والوطء عليها ما هذا الجهل والتخلف؟

رسخ الموقف بكل مكنونه لاسيما كلمتي الجهل والتخلف، رسخ لأعلم مدى الحياة أن الكتاب هو مصدر المعرفة وأول سبل الحوار مع الآخر، وأن احترام فكره يعد أول أسس الحوار معه.

وكبرت الطفلة وتخرجت في الجامعة، فكان أول هدية استلمتها قطعة قماش حريرية أهديتِني إياها ووعدتك حينئذ أن تكون أول فستان أرتديه فور استلامي العمل، لا أزال أتذكر ابتسامتك وأنت في بيتنا بالقرم حين مازحتك بقولي: جدتي كان من المفترض أن تهديني مع

قطعة القماش نعال بلاستيك، حتى أبدأ في تعلم كيفية استخدامه في الضرب وبذا أواصل خطاك في العِلم والعقاب، ضحكنا جميعًا وأنا أؤكد لكِ سأحمل في المستقبل شهادتين: دكتوراه في الأدب وأخرى في استعمال النعال البلاستيك حيث المهارة في إتقان حرقة اللسعة، دون عواقب مبرحة.

جدتي لئن طال الزمان بعض هداياك، فإنه انهزم إزاء حكمك وتحليلاتك وآرائك. إذ مع مرور الأيام تعلمت منك كيفية السؤال وأدركت من خلالك أنه ليست ثمة لغة واحدة للحوار، بل لغات ومن ثم تعمقت مستويات الحوار بيننا، وأسترجع الآن سؤالي لك: لماذا يختنق التواصل مع الآخر وتتقيد مساحات الكلام معه رغم تعلمه؟

للمرة الألف يستقيم الموقف بقولك لأنه قد تعلّم فقط، والحوار ساحة تتجاوز حدود العِلم، تشكلها مفردات الاحتكاك وتعمقها سعة الأفق والقدرة على استيعاب الثقافات بمختلف أنواعها، وجميعها أمور قد تكتسب بالمجهود الذاتي في حالة الرغبة فيها، بيد أنها في الأساس تنمي بالتربية وتتوارث عبر أجيال العِلم والثقافة. فحين نفتقد مساحات الحوار مع الآخر فمرجعه أنه يحمل شهادة على هيئة قشة قابلة للكسر أو قبعة آيلة للسقوط في أي وقت.

ما أكثر المواقف التي تعثرت معي واستقامت بمساندتك لي ووجودك معي، منها: خطة الماجستير التي يستعصى عليَّ وضعها أيامًا وأسابيع، وأعلم علم اليقين أن في وسعك اختصار الزمن واستئصال الجهد لي، ومع ذلك تركتِني لأسابيع أغرق في المحاولة وحين بلغت قمة عجزي تأتينني وأوراقي مبعثرة أمامي سائلة: أهذا هو أقصى جهدك؟ نعم. وبجرة قلم أسرع من لمح البصر تضعين لي خطة لدراسة تاريخ الطبري. ليرسخ الدرس - بكل رسالته التربوية والتعليمية -إلى الأبد؛ لا مساعدة إلا بعد اجتهاد ذاتي.

وأجمل خاتمة ختمت بها هذا الموقف يا مهجة قلبي، رفضك حضور يوم المناقشة - وأنت رائدة من رائدات القرن العشرين، وعلم من أعلام جامعتيْ القاهرة والإسكندرية - معللة أنك تريدين لي تقديرًا علميًا أستحقه بوصفي باحثة جادة لا بوصفي حفيدة فاطمة سالم. كم كنتِ فريدة وعظيمة في قرارك لاسيما ونحن نعيش في زمن تزحف فيه أفعى الوسائط.

حواراتي معكِ كانت دومًا تمثل لي لحظات عنان للفكر والتأمل؛ إذ هي أعمق من أغوار النفس الإنسانية وأقدر على تجسيد مواقف أرى بعضها قابلاً للتلخيص، وأغلبها أرحب من كل الأسئلة والدلالات.

عليه لا غرو أن أقول: إن حياتي معكِ لم تكن سوى دروس مُستفادة أسترجع بعضها عن قصد حين أحتاج إليه ويحضرني أغلبها لا إراديًا عبر مختلف مواقف الحياة. أتدرين يا جدتي أن

هاجس التعثر والتشتت الفكري ينتابني مع كل ولوج في أي بحث جديد، ويكاد يقتلني قلقًا من حيث الشعور بالتوتر والخوف من عدم استطاعتي إنجاز ما بين يديْ كما يجب أو على النحو الذي أبتغيه. حينئذ تحضرني كلماتك:إنه إحساس صحي وطبيعي، بل جميل وبناء، ويُعد السبيل الحقيقي إلى جدية البحث العلمي.

يا غاليتي لقد كنتِ دائمًا سراجًا وهاجًا في أعين الرجال بمجتمعك فاتسعت آفاقهم واقتنع فكرهم بأن المرأة موضع تبجيل وتقدير، بل قد تُصبح مثالاً يُحاكى: أي رمزًا.

وكم كنتِ فريدة وأنت تُخْرجين بنات عائلتك - مبكرًا - من أسر البيوت وجهل المطابخ إلى شراع العِلم وتألق المكانة، وكم كنت عظيمة وأنت تُصرين على غرس قواعد العِلم وأسس الثقافة في نفوس أبنائك وأحفادك، فنعم الغرس ونعم الحرث إذ قافلة التحصيل العلمي، لاسيما الدكتوراه تتواصل لتصل إلى بنات أحفادك وأولادهم.

يا صاحبة السيرة الخالدة لن أنسى رفضك حوارًا إعلاميًا وحزمات ضوء مجانية حين هممت لإجراء لقاء معكِ فما أجمل كلماتكِ وأنت تؤكدين لي: إن الحديث عن الذات يقلل من شأنها فدعي الآخر يتحدث عنها، ويحكم عليها واتركي مجالاً للتاريخ كي ينطق بكلماته.

مواقفك معي أكبر من أن توصف وإنني أعجز عن وضعها في قالب بعينه لاسيما تواضعك الجم حين أوصيت باستلامي شهاداتكِ وأوراقكِ وبحوثكِ، من ثم عجلتُ بكتابة سيرتكِ إبان حياتك اعتقادًا مني أن قراءتك لسيرتك أمر سيبهجك، بيد أنني فوجئت بكلماتكِ وأنت تفصحين لي أنك أوصيت باستلامي شهاداتك وأوراقك وبحوثك لشعورك أنني أولى الناس بها وإن كان هذا لا يعني أن أترك رسالة الماجستير وأنشغل بكتابة سيرتك، إذ إن ثمة مَنْ سيدون هذه السيرة - سواء كنت أنا أم غيري - حتى بعد قرن من وفاتك فلأدع القلق جانبًا، حيث إنك بصمة من بصمات التاريخ من الصعب محوها.

أما الآن وقد رحلت عني ولا أملك منكِ سوى ذكريات تجسدها أوراقكِ وتحييها بحوثكِ أشعر أنه ليس بمقدوري أن أوفيك نزرًا يسيرًا من حقك لأنك كنت ولا تزالين رمزًا يستحق أن يُحاكى في كل الآونة، وأن يُبعث في زمننا المكتظ بالنكرات والمدعين والمتسلقين.

جدتي إنني لا أعلم أستبقتُ زمني المُقبل في عينيك؟ أم قرأت طالعي بكفيك؟ أم أنكِ قررتِ بصورة أو بأخرى أن أكون نسخة منكِ؟ أم أنني رغبت وبشكل لا إرادي في أن أشكل من ذاتي فاطمة سالم أخرى؟

إنني لست بصدد الخوض في تداعيات الذات ولا أعلم إجابات محددة لكل تلك الأسئلة، لكني أعلم علم اليقين أن القدر شاء لي أن أماثلك في مكان ميلادك جزيرة زنجبار، وفي شهر

ميلادك؛ مارس وأنتمي مثلك إلى مواليد برج الحوت ،بل وأسافر إلى القاهرة وأنا ابنة السابعة لأقضي بها مراحل طفولتي ومراهقتي وشبابي، وأتعلم بالمدرسة ذاتها التي تعلمت فيها (السنية)، وأنوي التخصص - بعد الثانوية العامة - في الأدب الإنجليزي بيد أنني أتنازل عن رغبتي لأتخصص في اللغة العربية وآدابها إرضاءً لك ولأمي، كما تنازلت أنت عن رغبتك في التخصص في اللغة العربية وآدابها إلى اللغة اللاتينية وآدابها إرضاءً لرغبة أستاذكِ طه حسين.

تُرى هل التاريخ يعيد نفسه؟! إذ قُدِّرَ لي أن أدرس بجامعة القاهرة لأنال منها شهاداتي كما فعلتِ أنتِ من قبل وأن أعمل مُدرّسة للغة العربية بعد نيلي شهادة الليسانس لعدم إفتتاح جامعة السلطان قابوس حينئذ، تمامًا كما عملت أنت مدرسة للغة الإنجليزية قبل تعيينك بجامعة القاهرة، كما شاء لي القدر أن أنقل خدماتي من وزارة التربية والتعليم إلى كلية الآداب بجامعة السلطان قابوس، كما انتقلت أنت بخدماتك من وزارة المعارف العمومية إلى كلية الآداب بجامعة القاهرة.

إنني مشيت على الخطى التي رسمتيها لي راضية ومقتنعة بأنها السبيل الحقيقي إلى النجاح، ورغم أن عضال مرضك قبل وفاتك قد حال دون معرفتك بأنني أنفذ كل وصاياك، فإنني بحق صلوات الرحمة التي أبسطها لك على أكف الدعاء أقول لك: اطمئني وأنت في مثواكِ الأخير إنني لا أفارق مكتبتي والبحوث العلمية والأكاديمية تُعد جزءًا أساسيًا من حياتي، وإن قلمي لم يقتصر على مجالي النقد والأدب العربي، بل امتد ليشمل مجالات النقد في شتى الفنون وآية ذلك بحوثي ومقالاتي.

جدتي أحاول قدر المستطاع أن أكون صورة لامرأة فُضلى مثلكِ، وعليه أنفذ وصيتكِ في أن أكون عضوًا فعالاً وبناءً للمجتمع في كل لحظة من لحظات حياتي. فكم دعوت لي أن أعيش الحياة الأكاديمية وأن أنكب على البحوث العلمية كي أصل إلى مرحلة أتلذذ فيها صعوبة الفكرة في البحث وهو ما أطلقت عليه عبارتكِ العميقة، (اللذة البناءة).

واليوم وبعد رحيلكِ يا مهجة القلب أقول لروحكِ الطاهرة: إن المولى القدير قد استجاب لدعائك. إذ حظيتُ بشرف الأمر السامي من قبل صاحب الجلالة السلطان قابوس - حفظه الله ورعاه - بنقل خدماتي إلى مجلس البحث العلمي، لأصبح في عقر البحوث .

وفي ختام رسالتي إليكِ يا حبيبة القلب ويا توأم الروح لا أقول لكِ وداعًا، بل إلى لقاء فكري في الفصل القادم يناقش بحوثكِ، وإليكِ ألف تحية وتحية أيتها الخالدة.

حفيدتكِ: آسية البوعلي

الفصل الثالث:

قراءات في بحوث أ.د فاطمة سالم

قراءة في بحث: "كيكرو: الخطب الكتيلينية"

تمهيد.

قبل الشروع في تقديم هذه القراءة، يلزم التنويه إلى أن بحث "كيكرو: الخطب الكتيلينية" للأستاذة الدكتورة فاطمة سالم يُعد باكورة إنتاجها العلمي، كما أسلفنا(*) في المقدمة.

وهو عبارة عن كتاب يقع في مائة وثماني وأربعين صفحة، يتضمن ترجمة باللغة العربية لأربع خطب لاتينية للخطيب الروماني كيكرو "Cicero" مع الاستعانة بالترجمتين الإنجليزية والفرنسية للنص اللاتيني، كما يتضح من الإحالات المرجعية المضمنة في هوامش البحث. وهذه الخطب المترجمة إلى العربية، تتمحور حول بلاغة كيكرو؛ أي "شيشرون" باللغة العربية، وفاعلية توظيف الكلمة وتأثيرها في عملية الخطابة، وتتضمن من وقائع وأحداث تؤكد أن التاريخ بمجرياته يعيد ذاته، وأن القائد - رغم كل ما يتمتع به من سمات القيادة - مشوب بهواجس الإنسان العادي ومتناقضاته، بكل ما فيها من ازدواجية، وهذه الأمور جميعها وطيدة الصلة بمجال تخصصي الأكاديمي في علاقته بالبلاغة والنقد في الأدب العربي بعامة والرواية بخاصة، لاسيما ما يتعلق منها بعنصر الشخصية.

وفيما يلي عرض وتحليل لأهم ما توصلنا إليه من أفكار منبثقة من قراءتنا للبحث المشار إليه:

من هو "كيكرو"؟

كيكرو هو (ماركُبس توليس)، وهو روماني الأصل، ينتمي إلى طبقة الفرسان، وُلد عام 106 ق.م وتوفي عام 43 ق.م(**)، واشتهر باسم كيكرو "Cicero" وهو اسم أحد أجداده ويعني "أبو حمصة"، وقد تمسك الحفيد بهذا الاسم رغم نصح الكثيرين له بتغييره عند تقلده أول منصب عام، مما ينم عن ازدرائه للمظاهر وابتعاده عن الإسفاف الفكري وتمسكه بجوهر الأشياء[1].

(*) لاحظ أن المقصود من استخدام (نا) الدالة على الفاعلين أسلوب أكاديمي في الكتابة.

(**) لاحظ أن العد بالنسبة لسنوات ما قبل الميلاد يكون تنازليًا عكس سنوات ما بعد الميلاد.

1 - راجع: فاطمة سالم سيف. كيكرو: الخطب الكتيلينية، القاهرة، المطبعة العالمية (16 شارع ضريح سعد)، 1956م، ص ص 5، 7، 8.

وكيكرو شخصية متعددة الجوانب، فقد كانت له اهتمامات أدبية وأخرى فلسفية كما كان خطيبًا، واشتغل بالمحاماة وعمل بالسياسة؛ إذ انتخب قنصلاً.

كيكرو وفن كتابة الرسائل.

في عصر كيكرو شاع تبادل الرسائل بين الساسة وقادة الفكر والرأي، وعُدت كتابة الرسائل فنًا أدبيًا رفيع المستوى، ينم عن موهبة كاتبها وعناية القارئ بها؛ إذ كانت تُقرأ - ما لم تكن ذات طابع سري - في الاجتماعات العامة ومجالس الأصدقاء، فقد كان استرسال أسلوبها وفنيتها وبلاغتها وصدق تعبيرها وبُعدها عن التصنع، مثار إعجاب الناس[2].

وقد برع كيكرو في هذا الفن وتفوق فيه أيما تفوق؛ إذ أجاد في وصف الرجال والحوادث وملابساتها - مدحًا وهجاءً، إكبارًا وازدراءً، فكاهة وسخرية - كما تراها عيناه وبما يعتمل في نفسه من شدة حساسية وجموح عاطفة، قربت رسائله إلى نفوس الآخرين ومن ثم راقت لهم[3].

كيكرو واهتماماته الفلسفية.

يرجع اهتمام كيكرو بالفلسفة إلى مرحلة الشباب، بغرض تنويع معارفه وتوسيعها وإذكاء ملكة الخطابة لديه. ولم يتعامل كيكرو مع الفلسفة بطريقة جدية منظمة، فاشتغاله بالسياسة والمحاماة، جعله ينظر إلى الفلسفة على أنها نوع من الترفيه والراحة لا أكثر، وإن كان هذا لا ينفي إلمامه بأشهر النظريات الفلسفية والمدارس المختلفة التي تهتم بالمعارضات والمقارنات والمجادلات. وحيث إنه لم يصطنع (أي لم يحترف) الفلسفة إلا باعتبارها وسيلة تعينه في فن الخطابة، فقد اختار من المذاهب الفلسفية ما يفي بهذا الغرض، ومن ثم مال إلى مدرسة الأكاديمية الحديثة التي تطلق العنان للعقل دون التقيد التام بأقوال الفلاسفة كأفلاطون وأرسطو وبذا انبثقت من كيكرو إشراقات وتجليات عقلية جليلة نظرًا لإيثاره التجربة على الأقوال[4].

2 - راجع: السابق. ص20.

3 - راجع: السابق. ص ص 22، 23.

4 - راجع: السابق. ص ص 23- 25.

كيكرو ومنصب القنصل.

لما كان الدستور الروماني يفتح الباب أمام كل الطبقات بنسب محددة للوصول إلى المناصب، مما يتيح الانتقال من طبقة لأخرى حسب درجة الكفاح، فقد تسنى لرجال من أمثال كيكرو التمسك بالنظام الجمهوري باعتباره أصلح النظم، الأمر الذي كفل لكيكرو التفوق في الانتخابات والوصول إلى منصب القنصل، رغم كونه من طبقة الفرسان لا من طبقة الأشراف كخصمه كتيلينا (Catilina) الذي تواطأ مع آخرين لإسقاط كيكرو، واعدًا الناخبين بإسقاط الديون وتقسيم الملكيات[5] .

وإثر فقدان كتيلينا ثروته في اللهو والترف وإخفاقه في الانتخابات وفشله الذريع في بلوغ منصب القنصل، تحول إلى إنسان فوضوي، وانضم إلى حزب سولا (Sulla) الدكتاتوري، أملاً في قلب نظام الحكم والقضاء على النظام الجمهوري الذي كان رمزًا لمجد روما. ويتبلور وصف المؤرخين لكتيلينا في ضيق أفقه واتساع آماله إلى حد خيالي مع عجز في الملكات. بيد أن فاطمة سالم ترى أن هذا الوصف ما هو إلا تقرير للحوادث وتبعاتها على كتيلينا، ومن ثم لا ينبغي أخذ الصورة القاتمة المرسومة له، مقياسًا للحكم عليه بوصفه سياسيًا، وثوريًا لاسيما إذا كان قد منى بالفشل [6] .

وتجدر الإشارة إلى أن تولى كيكرو منصب القنصل عام 63 ق.م، يعد حدثًا فريدًا من نوعه؛ إذ كان المنصب حكرًا على طبقة الأشراف طيلة ثلاثين عامًا، والتي كان أفرادها يتقدمون للانتخابات أكثر من مرة، بيد أنهم أخفقوا رغم انتهاجهم سبلاً ملتوية عزف عنها كيكرو لاستقامته الخلقية، محققًا نجاحًا باهرًا في الانتخابات، رغم تقدمه لمنصب القنصلية لأول مرة، فضلاً عن عدم انتمائه لطبقة الأشراف[7] .

لقد أوجدت مؤامرة كتيلينا وأتباعه لقلب نظام الحكم في روما، الظرف الملائم لكيكرو كي يؤسس حزبه الاعتدالي من طبقة الفرسان التي ينتمي إليها، حيث اجتمع حوله الخائفون من اضطهاد نظام سولا الدكتاتوري، فضلاً عن ذوي المصالح المشتركة من أشراف وأغنياء، وكذا أهل الخير من عامة الناس المحبين للاعتدال والكارهين للتطرف، لاسيما في ظل وجود فجوة طبقية كبيرة في المجتمع الروماني بين الطبقة الأرستقراطية المحتكرة للثروات وطبقة

5- راجع: السابق. ص ص 7-6.

6- راجع: السابق. ص ص 27 - 28.

7- راجع: السابق. ص 6.

العامة الفقيرة المؤلفة من الفلاحين والعبيد. كل هذا جعل الرأي العام يلتف حول كيكرو الرجل العصامي، المشهور باستقامته وحسن رأيه وشغفه بالجمهورية وحرصه على تنفيذ القوانين والتمسك بالسلام، في حين اجتمع حول خصمه كتيلينا زمرة من محبي الفوضى والانتهازيين وحثالة الأحزاب المختلفة، فضلاً عن البؤساء من العامة والأشراف الذين أصابهم الفقر[8].

كيكرو الخطيب.

ثمة مناسبتان ذاع فيهما صيت كيكرو بوصفه خطيبًا، الأولى أثناء اشتغاله بالمحاماة حين انبرى للدفاع عن روسكيوس (S.Roscius) الذي احتج على موقف أحد موالي الدكتاتور سولا، ويدعى خريزوجونس (Chrysogonus). فقد قتل سولا والد روسكيوس وباع أملاكه بثمن بخس لخريزوجونس. ولما احتج روسكيوس، اتهمه خريزوجونس بأنه قاتل أبيه. وخوفًا من بطش سولا، تقاعس القضاة والمحامون في الدفاع عن الحق. بيد أن كيكرو تولى الدفاع بهدف إشعار القضاة وإعلام الناس بضرورة احترام القوانين "وأن العدل المكفول بالدستور أقوى من الطغاة"[9].

أما المناسبة الثانية فكانت إبان حكم قيصر وخليفته أنطونيو، حيث اندثر الحكم الجمهوري وسادت القيصرية والدكتاتورية، وإذا بخطب كيكرو البليغة تسري في روما وتذاع في الأقاليم الإيطالية، داعية إلى سقوط الدكتاتورية وعودة الجمهورية. وبالفعل تحقق لكيكرو هدفه المنشود، حتى إن أكتافيوس (Octavius) - خصم أنطونيو - يناديه بقوله (يا أبتي)، واضعًا جنده في خدمة روما ضد أنطونيو[10].

مما تقدّم، يتضح مدى ما يتسم به كيكرو الخطيب من حنكة وذكاء، وذلك في "اختياره للوقت المناسب وتذرعه بالشجاعة وانفراده بإيقاظ الناس في أحلك الظروف. وكانت هذه الفضيلة سببًا في رفع اسمه وإيمان الناس به" [11]، حتى إنه يُعد أعظم خطيب أنجبته روما بلا منازع.

ومن ملكات كيكرو الخطابية، عدم تحرجه من إظهار مرحه على منبر الخطابة، وهو أمر استساغه معاصروه. وخطبه السياسية المشتملة على المدح والذم، لا يضارعه فيها أحد؛ إذ كان فنانًا في البابين، يميل إلى الإطناب ويحب الطلاوة، ويلجأ إلى الفكاهة والبديهة السريعة الصافية في بعض خطبه التي لم لا تقرر أمرًا من الأمور العامة، بل تقتصر على استثارة الرأي العام لتبرير قرار أو نقده.

8- راجع: السابق. ص ص 35 - 37.

9 - السابق. ص18.

10 - راجع: السابق. ص19.

11 - السابق. ص18.

واشتغال كيكرو بالمحاماة أربعين عامًا، ترك أثرًا فعالاً في شخصيته. ففي مواقف كثيرة بدا كأنه "لا يعتلي منبر الخطابة، وإنما يقف أمام منصة الدفاع، ويحوّل كل المسائل إلى مسائل شخصية، ويكاد ينسى مناقشة الأفكار"[12] ، وهو ما أخذه عليه البعض؛ إذ كان "أميل إلى العبارات الطنانة منه إلى الدخول في صلب الموضوع باللغة الواضحة الدقيقة الضرورية في القضايا العامة... (و) الإكثار من الصور البلاغية في شيء من الفلسفة ... (و) تضخيم في الوصف وتحدث إلى الشعور... فينسى الموضوع الأصلي...، (و) يدفنه وسط المحسنات البلاغية"[13] .

دوافع فاطمة سالم وراء ترجمة الخطب الكتيلينية الأربع.

ترجع ترجمة فاطمة سالم لهذه الخطب - التي ألقاها كيكرو وهو في الرابعة والأربعين من عمره، في أواخر عام 63 ق.م حين تولى منصب القنصلية - إلى أسباب منها "التعريف بنوع من أنواع البلاغة التي أنتجتها الحضارات القديمة اليونانية والرومانية، والتعريف بركن من أركان الأدب القديم وهو كيكرو الروماني"[14]، ومنها: أن هذه الخطب المعروفة باسم الخطب الكتيلينية تعد عنوانًا على بلاغة كيكرو الخطابية فقد كانت نبرة الصدق فيها، وقوة تأثير كلماتها السلاح الذي قضى به كيكرو على مؤامرة كتيلينا وأنصاره لقلب نظام الحكم في روما. بحجة الإصلاح الاجتماعي. وقد أخمد كيكرو هذه الفتنة في مهدها، منقذًا العاصمة روما من ويلات حرب أهلية دامية، "كل ذلك دون أن يجرد سيفًا إلا سيف بلاغته"[15]، ودون أن يرفع سلاحًا سوى "سلاح الدستور"[16]. من الأسباب أيضًا أن كيكرو - كما تذهب فاطمة سالم - لو خيّر بين تخليد سائر آثاره وبين خطبه الأربع، لاختار الأخيرة؛ إذ "كان شديد التعلق بها، فهي عنده رمز لحياته السياسية كلها، وهي عنوان النصر الذي توّج جهاده السياسي"[17] .

ذلك الجهاد الذي يُعد صفحة ناصعة في حياته إبان توليه منصب القنصلية، حيث تمثل هذه الفترة قمة حيويته وقدرته وكفاءته السياسية واتجاهاته الحزبية، وهي فترة "تمنى كيكرو أن يذكرها معاصروه وأن تحفظ الأجيال ذكرى ما أتمه فيها"[18] .

12 - السابق. ص17.
13 - السابق. ص16.
14 - السابق. ص5.
15 - السابق. ص3.
16 - السابق. ص27.
17 - السابق. ص4.
18 - السابق. ص5.

أوجه البلاغة في الخطب الكتيلينية.

إن كيكرو خطيب بارع، وأعظم خطيب أنجبته روما بلا منازع؛ فقد كان قادرًا على "أن يُلزم جموع الشعب الإصغاء، ويعرف كيف يحادثهم، ويمتلك زمامهم مهما كانت جامحة، ويملي عليهم ما يشاء من الرأي حتى ما يخالف ميولهم، فيخرجهم من سُباتهم، ويبعث فيهم ولو إلى حين روح الكفاح والوطنية، فبَلَغ بالكلام كل ما يمكن أن يُبلِّغه الكلام"[19]. من ثم آثرنا تفعيل ترجمة أ.د فاطمة سالم لهذه الخطب، بانتقاء جمل وعبارات ومقاطع تبرز ما للكلمة من بلاغة وقوة تأثير، وما لكيكرو من مهارة في توظيفها على نحو يتبدى معه ما لشخصيته من قوة حضور وخصائص. ولتحقيق ذلك، يلجأ كيكرو إلى سبل خطابية، تتمثل فيما يلي:

(أ) الصورة الفنية.

حيث يصف وضع روما عقب قمع مؤامرة كتيلينا وخروجه منها بصحبة أتباعه، بقوله: "يجب أن نشكر الآلهة شكرًا لا آخر له...، لأننا نجونا عدة مرات من وباء يحمل للدولة أشد الاشمئزاز والبشاعة و العداوة"[20]. فالمدينة "تبدو لي أنها سعدت؛ إذ لفظت مثل ذلك الوباء من أحشائها وأبعدته عنها"[21]، كما أنها قد "طهرت من كتيلينا وحده لتبدو منتعشة مرة أخرى" [22]. وكم تكون الدولة محظوظة بخروج "هذه العصابات الأثيمة من الرجال الوقحين" [23]. فالقضاء على النظام الدكتاتوري والدفاع عن سلامة الوطن هو السبيل إلى الحرية التي يُعدها "أعذب ما في الحياة"[24].

(ب) المجاز.

ويلجأ كيكرو إليه للتعبير عن افتضاح أمر كتيلينا وأعوانه، قائلاً له: "ها هي ذي بلادك...، تتجه إليك مباشرة، وتفصح بصمتها عن نوع من الكلام" [25]، "ماذا تنتظر أكثر من ذلك...،

19 - السابق. ص16.
20 - السابق. ص66.
21 - السابق. ص83.
22 - السابق. ص86.
23 - السابق. ص87.
24 - السابق. ص142.
25 - السابق. ص70.

إذا كان الليل غير قادر على أن يخفي اجتماعاتك الآثمة، وإذا عجز منزلك بجدرانه عن أن يحبس أسرار شركائك، وإذا كان كل شيء يتضح، وكل شيء ينضح بما فيه؟" [26]، "ألا ترى أن مؤامراتك قد شلها علم كل هؤلاء الرجال بها؟" [27]، من ثم ينصحه بالكف عن سفك الدماء وإشعال النيران، لأنه محاط من كل جانب، ناعيًا عليه بقوله: "كم مرة انتُزع من يديك خنجرك، وكم مرة أسقطه القدر من يديك وأزْلَقه إلى الأرض، لست أدري... لأي الآلهة... وهبته حتى ترى نفسك ملزمًا بإغماده في جسم قنصل من القناصل." [28]

(ج) افتداء الوطن بالنفس.

وإذا كان كيكرو يتهدده القتل من قبل كتيلينا وأنصاره، فإنه لا يأبه بذلك، فالموت على حد قوله "مصير مشترك للبشر" [29]، معللاً ذلك بقوله: "لديَّ من الشجاعة ما يمنعني من الاستسلام أمام جرأة أي إنسان كائنًا مَنْ كان، بل إن لديَّ من الشجاعة ما يمكنني من أن أحمل دون هوادة على جميع الأشرار...، ولا تشكوا في أنني سأقوم بواجبي إلى النهاية" [30]، مذكرًا شيوخ روما الأجلاء بأن اتحاد طبقة الفرسان والموظفين والعبيد لم يتحقق إلا في زمن قنصليته، ومؤكدًا لهم أنه "لن يحدث فيما بعد أي نزاع أهلي داخلي يؤثر في شيء على الدولة" [31]؛ فلديهم قنصل نجا من عدة أخطار ومن موت محقق لا من أجل حياته بل من أجل سلامتهم وسلامة الدولة[32]، مردفًا ذلك بقوله: "إذا كان مقدرًا لي... أن أبلو كل الأحقاد إلى آخرها، والنكبات والعذاب، فسوف أتحملها لا متجلدًا فقط بل مسرورًا كذلك، ما دام ينجم عن عنائي الشرف والسلامة لكم وللشعب الروماني" [33]، ولإيمانه بموقفه فإنه يقول: "إذا حدث لي حادث بعد ذلك، فسوف أموت بنفس مطمئنة راضية، فلا يمكن أن يكون الموت شأنًا لرجل شجاع ولا سابقًا لأوانه لمن ولي القنصلية، ولا محزنًا بالنسبة للفيلسوف" [34].

26 - السابق. ص62.

27 - السابق. ص59.

28 - السابق. ص69.

29 - السابق. ص 145.

30 - السابق. ص ص 125-126.

31 - السابق. ص141.

32 - راجع: السابق. ص144.

33 - السابق. ص127.

34 - السابق. ص129.

(د) كيكرو وصراحته مع الآخر.

إن كيكرو الذي يرفض كل أوسمة الشرف جزاءً للنصر، يؤكد أن شغله الشاغل هو أن يكون صوته بوصفه قنصلاً أول صوت يؤدي وظيفته في الجمهورية (35)، وأنه كان على استعداد تام لتحطيم كتيلينا بنفسه منذ زمن بعيد، طالما في ذلك دفع الخطر عن الدولة وأنه كان على استعداد لتعريض نفسه للكراهية وتحمل عاصفة البغض القائم على أساس غير عادل (36)، تفاديًا للحرب اللعينة. ذلك أنه يؤمن أن "البغض الصادر عن أداء الواجب مجد وليس ببغض" (37)، مصارحًا مستمعيه أن ثمة مَنْ يغذى آمال كتيلينا بآرائهم اللينة، ويساند المؤامرة بعدم التصديق بوجودها، ولو أنه كان قد عاقب كتيلينا، لقال كثير من الناس من ذوي النفوذ، بدهاء أو سذاجة أنه فعل ذلك "قسوة واستبدادًا" (38)، مفسرًا ذلك في حسرة بقوله: "ما أبأس حالة الذين يدبرون شؤون الدولة ويحافظون عليها، فإذا انتاب الخوف كتيلينا الذي فشل وضعف نتيجة ليقظتي ومجهوداتي، مع تعرضي للأخطار...، وحاد عن مجرى الجريمة والحرب، واتجه نحو الهرب والمنفى، فلن يقال أنه مغامر قد سلبنا منه سلاحه... و لن يقال أيضًا أننا خيبنا رجاءه، وأوقفنا مؤامراته، بل سيقال أنه برئ أدنّاه دون محاكمة...، (و) من الناس مَنْ سينظر إليه على أنه ضحية لا على أنه مجرم، ومَنْ سينظر إليّ لا على أني أكثر القناصل يقظة، بل على أني أكثرهم قسوة وطغيانًا" (39).

(هـ) كيكرو وأساليبه في عرض صورة كتيلينا.

تكمن أهمية هذه الأساليب التي سلكها كيكرو في أنها تجلى شخصية كتيلينا وتظهر حقيقة أمره أمام شعب روما وشيوخها الأجلاء؛ لما لها من تأثير فعّال في إقناعهم، أن "النفي الاختياري"(40) من جانب كتيلينا، برحيله إلى مرسيليا يعد أقل عقوبة تمكنه من تخليص نفسه من عقوبات أخرى عادلة يستحقها (41).

---

35 - راجع: السابق. ص ص 147، 145.

36 - راجع: السابق. ص ص 84، 91.

37 - السابق. ص79.

38 - السابق. الصفحة ذاتها، وفي المعنى نفسه راجع أيضًا: ص ص 137-138.

39 - السابق. ص91.

40 - لاحظ أن النفي كان اختياريًا للشخص قبل صدور الحكم عليه إفلاتًا من العقاب؛ فلم يكن بوسع كيكرو أن يأمر به، راجع: السابق. ص67، حاشية رقم (1).

41 - راجع: السابق. ص72.

فكيكرو يرى أنه (أي كتيلينا) يستحق الموت منذ مدة طويلة، بيد أنه أراد أن يكون رحيمًا به رغم أن قرار السناتو Senate (أي مجلس الشيوخ الروماني) يتيح له قتله[42]، لاسيما أن كيكرو يدين كتيلينا صراحة، مخاطبًا إياه: "إنه منذ سنين لم تقم جريمة إلا بسببك، ولا فاحشة بدونك، فإليك يرجع قتل مواطنين عديدين دون قيد أو عقاب، وإليك وحدك ترجع مضايقة الحلفاء ونهبهم"[43]، كما يدينه بتدبير مؤامرة قتله هو شخصيًا على سريره فجرًا، بيد أن مصيرها كان الفشل[44]، ومن ثم يسخر كيكرو من كتيلينا وأعوانه بقوله: "أرسلتهم ليلقوا عليَّ تحية الصباح!"[45]. ليس هذا فحسب، بل إن كيكرو يدينه بمحاولة قلب نظام الحكم والشروع في تقسيم إيطاليا وتعريضها لأخطار جسيمة قائلاً له: "أنت تهاجم الدولة كلها علنًا، وتقضي بالفناء والتدمير على معابد الآلهة... وعلى مساكن المدنية، وعلى حياة جميع المواطنين"[46]، "وقسمت إيطاليا إلى أجزاء وقررت لكل واحد المكان الذي يجب أن يذهب إليه، واخترت مَنْ تبقيه في روما ومَنْ تأخذه معك، وعينت ما أوجبت (أي حددت ما يجب)، أن يُحرق من أحياء المدينة"[47]. وعليه يتساءل كيكرو مستنكرًا "هل نتحمل ... كتيلينا الذي يريد تدمير العالم بإراقة الدماء وإشعال النار؟"[48]، مقنعًا مستمعيه أن النفي الاختياري أفضل من القتل، لما فيه من سلامة الدولة، ففي قتل كتيلينا بقاء لعصبة من المتآمرين العابثين في الدولة، وفي خروجه تخليص للمدينة منه ومن أقرانه الذين هم على حد قول كيكرو "قاذورات كثيفة تسمم الدولة"[49].

ولتبيان مدى خطورة هذا السم، يلجأ كيكرو إلى تقرير حقيقة كتيلينا، موظفًا أسلوب الاستفهام الذي لا يراد منه إجابة، وإنما استثارة خيال الآخر إزاء هذه الصورة بكل ما فيها من بشاعة، ومن ثم يقول: "أي جريمة يمكن تخيلها أو التفكير فيها لم تخطر ببال ذلك الرجل (أي كتيلينا)؟ أي سمَّام (أي مَنْ يدس السُمَّ)؟، أي مبارز في مسارح روما؟ أي قاطع طريق؟ أي قاطع رقاب؟ أي قاتل ذويه؟ أي مزور للوصايا؟ أي ناهب للقاصرين؟ أي مقامر؟ أي مسرف؟ أي زانٍ؟ أية امرأة فاحشة؟ أي مفسد للشباب؟ أي مرتشٍ؟ أي صاحب رذيلة؟ أي واحد من هؤلاء يمكن العثور عليه في جميع إيطاليا، ولا يعترف بأنه قد عاش على أحسن وفاق مع كتيلينا؟"[50].

42 - راجع: السابق. ص ص 61،60.

43 -السابق. ص70.

44 - راجع: السابق. ص ص 69-68.

45 - السابق. ص65.

46 - السابق. ص66.

47 - السابق. ص65.

48 - السابق. ص60.

49 - السابق. ص67.

50 - السابق. ص86.

ولا يكتفي كيكرو بتوجيه الاستفهام لشعب روما، وإنما، إمعانًا في إبراز بشاعة صورة كتيلينا، يدنيه سائلاً إياه "أي سحر يا كتيلينا يستهويك في هذه المدينة وليس فيها عدا شركائك... إلا مَنْ يخافك ويكرهك؟ أية وصمة عار لم تَدْمَغ حياتك العائلية كما يُدْمَغ الحديد المحمى؟ أي خزي شائن في سلوكك الخاص لم يلصق بسمعتك؟ أي شهوة زائفة غابت عن عينيك؟ أي جريمة لم ترتكبها يداك؟ أي نجس لم يلطخ جسمك كله؟ أي فتى ضعيف لم ترفع له راية من سلاح الإجرام أو مشعل الفساد بعد أن توقعه في شراك الإغواء والإفساد؟"[51].

ولما كانت آثار جرائم كتيلينا باقية وذكراها عالقة بالأذهان، فضلاً عن أنه ليس بالرجل الذي يكف عن السفالة خجلاً، ويبتعد عن الخطر خوفًا، ويرتعد عن الجنون تعقلاً كما يصفه كيكرو [52]، فقد آتت أساليب كيكرو الخطابية ثمارها في إجباره على اختيار النفي الذي لم يعد أمامه سواه بعد كشف خططه عبر مهارة تنم عما تتمتع به شخصية كيكرو من براعة الخطيب ودهاء المحامي؛ إذ ليس لديه الحق القانوني لنفيه ومن ثم يخاطبه بقوله: "لا آمرك به، ولكن إن سألتني رأيي فإني أنصحك به"[53]، وإن كان في موضع آخر يأمره صراحة بقوله: "أترك المدينة، كما قلت أكثر من مرة"[54]، "ارحل عن المدينة مرة واحدة، فالأبواب مفتوحة"[55].

ولا تقف المهارة عند هذا الحد، بل إن كيكرو يجعل من صمت الآخرين دليلاً قاطعًا على إدانة كتيلينا، ومن ثم موافقتهم بالإجماع على نفيه، ويتبدى ذلك في قوله مخاطبًا إياه: "ماذا تنتظر؟ ألا تلاحظ البتة صمت هؤلاء الرجال؟ ألا تفهم معنى الصمت أنهم يتركونني أتكلّم عنهم ويلتزمون الصمت، فلِمَ تنتظر أن ينطقوا برغبتهم وأنت مدرك لها من صمتهم؟"[56]، "في حالتك هذه يا كتيلينا، حين يسكتون فهم موافقون، وحين لا يبدون معارضة فإنما يتخذون بذلك قرارًا، وحين يصمتون فهم يصيحون بأعلى صوتهم بإدانتك"[57].

وإمعانًا في تقريب صورة كتيلينا وأعوانه إلى خيال مستمعيه، فإن كيكرو يلجأ إلى توظيف المشاهد المرئية بكل ما فيها من زوايا الحركة والصوت واللون وذلك من خلال الوصف، حيث يقول: "وإني لأتصورهم وهم يتكئون على الموائد في مآدبهم وقد خاصروا العاهرات من النساء

51 - السابق. ص67.

52 - راجع: السابق. ص74.

53 - السابق. ص67.

54 - السابق. ص74.

55 - السابق. ص65.

56 - السابق. ص72.

57 - السابق. ص73.

خاملين من أثر الخمر، وقد حُشيت بطونهم بالطعام، وتوجت رؤوسهم بباقات الورد، وطُليت أجسامهم بالطيوب (أي جمع طيب) والدهون، وأضعفتهم الرذائل، لا يلفظون من حديث إلا ما كان عن قتل الأخيار وحرق المدنية»[58]. وفي مشهد آخر يصفهم بقوله: "نراهم وقد تموجت شعورهم، وصقلت أجسامهم بالدهون، وقد حلق بعضهم ذقونهم وتركها سائرهم تنمو بشكل فني، وقد ارتدوا عباءات تسقط إلى كعوب الأقدام، وتبلغ أكمامها رسْغ اليد، فهم متشحون بأشرعة لا بأردية. أما نشاطهم في الحياة، والعناء الذي يتحملونه في السهر، فإنما يستغلونه كله في المآدب التي تبدأ قبل المساء وتظل إلى الفجر. وفي هذه العصابات يعيش المقامرون وجميع الزناة والأوغاد وكل من لا حياء لهم. وقد بلغت جاذبية هؤلاء الشبان ورقتهم الحد الذي يجعلهم يَعشقون ويُعشقون...»[59].

ولا يغيب عن وعي القارئ أن المشاهد المرئية الموظفة في الخطب لم تكن بغرض نقل صورة حسية لكتيلينا وأعوانه فحسب، بل لإثارة فكر مستمعي كيكرو إلى حد يجعلهم يصدرون في قناعة تامة، أحكامًا أخلاقية و قيمية إزاء هؤلاء حتى وإن لم يصرح بها كيكرو.

وإذا كان ما سبق يبلور رؤية كيكرو ورأيه تجاه أعوان كتيلينا، فلا غروَ أن يوظف مشاهد مرئية يصف فيها زعيمهم كتيلينا حال رحيله "دون أن يحمل معه سيفًا ملطخًا بالدماء كما أراد»[60] قائلاً: "ها هو ذا قد رحل فصار بعيدًا عنا، وإنه لهارب مثله مثل الحيوان قد كُسر قيوده. ولن يستطيع هذا الوحش الكاسر أن يسعى كما كان يسعى داخل الأسوار لدمار هذه المدينة"[61]، "أفلا تتصورون عِظَم الحزن الذي يصرعه ويعذبه؟ إنه ليرقد الآن صريعًا... على الأرض التي بغى فيها، ويحس أنه قد طُرِح وصُرِع، ومن المؤكد أنه كثيرًا ما يدير عينيه إلى الخلف نحو هذه المدينة، ويتحسر على فريسة نُزعت من مخالبه»[62].

ويلزم التنويه إلى أن براعة كيكرو في تشكيل المشاهد المرئية لا تعتمد على المحسوسات فحسب، بل إن براعته الحقيقية تكمن في قدرته على تشكيل المشاهد ذاتها من خلال تشخيص المبادئ والمعنويات المجردة عبر مقطع يصوِّر الصراع والتطاحن فيما بينها، منوهًا إلى هزيمة الأعداء و محفزًا شعب روما للوقوف دومًا في وجه الفساد، حيث يقول: "يقف الحياء ليحارب

58 - السابق. ص 88.

59 - السابق. ص ص 97 - 98.

60 - السابق. ص83.

61 - السابق. ص82.

62 - السابق. ص83.

... الإباحية والاستهتار، وتقف العفة لتجاهد ضد الخلاعة، والإخلاص ضد سوء الطوية، وتقاوم الفضيلة الجريمة، ولينازع الحزم الرزين الجنون العارم والنبل السفالة، وضبط النفس الشهوة، ثم تقف ... العدالة والاعتدال والشجاعة والفطنة والفضائل كلها لتواجه... الظلم والمادية والجبن والتهور والرذائل كلها، ويحارب اليسر... الفقر...، ويناضل المنطق السليم المنطق الفاسد، وتكافح صحة العقل انحراف العقل، وأخيرًا يقف الأمل المدعم ليحارب أعمق اليأس"[63] .

(و) كيكرو وإيثار الصالح العام.

يهيئ كيكرو شيوخ روما وشعبها تدريجيًا وبحنكة خطابية نحو إيثار الصالح العام، كما يتبدى في قوله: "أيها الشيوخ الأجلاء، فكروا في أنفسكم، وفي مصير وطنكم، وأنقذوا أنفسكم...، وكفوا عن مداراتي وعن الاهتمام بشأني" [64] وفي قوله: "أرى...، وجوهكم ونظراتكم جميعًا مصوبة إليَّ، أراكم وقد قلقتْ نفوسكم، لا للخطر الذي تتعرضون له وتتعرض له الدولة فحسب، بل للخطر الذي أتعرض له أنا... لي من رغباتكم الخيِّرة ما يبعث إلى نفسي الاطمئنان في الكوارث التي أعانيها، والراحة في الحزن الذي أشعر به، وإني أستحلفكم بالآلهة المخلدين أن تعدلوا عن هذا وأن تنسوا سلامتي"[65]، "وجهوا نشاطكم لسلامة الجمهورية. لاحظوا ما يكتنفها من الزوابع المتراكمة التي تهدد كيانها"[66]، وذلك على اعتبار أن شيوخ روما يمثلون طبقة خاصة تتمتع بسلطة الشورى، وعليهم أن يغتنموا تحقق اتحاد طبقة الفرسان والموظفين والعبيد وطبقة الأشراف، في الحفاظ على سلامة الدولة."[67]؛ إذ "ليس لجميع الطبقات سوى غرض واحد ورغبة واحدة وصوت واحد لإنقاذ الدولة. فإن وطننا المشترك مهدد بحديد مؤامرة شريرة نارها. والوطن الذي هو أمنا يمد إليكم يديه في توسل، ويعهد نفسه إليكم".[68] ومن ثم عليهم اتخاذ القرار والنطق بالحكم على أعوان كتيلينا في ظل تأييد الشعب الروماني الذي لن يخذلهم، "فأية قسوة يمكن أن تكون في معاقبة مثل هذه الجريمة الفظة؟... إني أرى هذه المدينة وهي ضوء العالم كله وقلعة جميع الأمم، تتساقط فجأة في حريق واحد شامل. أرى بخيالي على قبر الوطن أكوام البؤساء من المواطنين الذين لا قبور لهم...، فالحزن أو الإشفاق العميق الذي يداخلني

63 - السابق. ص99.

64 - السابق. ص129.

65 - السابق. ص127.

66 - السابق. ص ص 129-130.

67 - راجع: السابق. ص ص 141 - 143.

68 - السابق. ص144.

من مثل هذه الشناعات هو الذي يمدني بالصرامة والشدة على الذين أرادوا تنفيذها"[69]. لذا فإنه يعرض عليهم العقوبات المحددة لقضايا تخريب الدولة والمتمثلة في الإعدام أو السجن مدى الحياة [70]، بعد أن أطلعهم على الأدلة والبراهين القاطعة على جرائم المتآمرين والتي تتمثل في رسائلهم وخطوطهم وأختامهم واعتراف كل منهم [71] وكذا بعد أن بَيَّن لهم الهدف الحقيقي وراء هذه المؤامرة التي "ترمي لا إلى تخريب الدولة، بل إلى تغيير الحكومة. فهؤلاء الرجال لم يرغبوا في محو الجمهورية ولكنهم كانوا يرغبون في إيجاد دولة يكونون رؤساءها، ولم يكن هدفهم حرق المدينة بل كانت رغبتهم ... أن يصبحوا أولي الأمر فيها"[72]، وبذا يحيل كيكرو الأمر إلى مجلس السناتو لاتخاذ القرار وإصدار الحكم الملائم، مع قناعتهم التامة بأن ما يتخذونه من قرار إنما الهدف منه سلامة الشعب الروماني والسلامة العليا للدولة[73]، مذكرًا إياهم أن خشيتهم على أمن الوطن ينبغي أن تفوق خشيتهم من الإفراط في القسوة على هؤلاء المتآمرين [74] .

كيكرو الإنسان.

إن كيكرو القائد الذي يقع على عاتقه مسؤولية شعبه، ويتسلح بالشجاعة ولا يهاب الموت كما أسلفنا، هو الإنسان ذاته بكل ما يعتمل داخله، كما يعترف هو لجموع الشعب، بقوله: "لست ذلك الرجل الحديدي الذي لا يحركه ما يبدو في هذا المقام من قلق أخ عزيز ومحب غاية الحب، ولا الذي لا تحركه دموع جميع الذين ترونهم يحيطون بي... إني لمتأثر بكل هذه الأشياء إلى أقصى حد"[75]، ولا غرو إذن أن يتأثر بمَنْ يشككون - همسًا - في قدرته على تنفيذ ما سيتخذه السناتو من القرار الخاص بعقوبة المتآمرين، مؤكدًا ذلك بقوله: "اعلموا أنّا احتطنا لكل شيء وجهزنا كل شي وقدرنا كل شيء، ... لا بأعظم العناية والنشاط الذي في مقدوري فحسب، بل بأكثر من ذلك بمشيئة الشعب الروماني"[76]. كما أنه يشعر بالضجر إزاء وجود خونة في مجلس الشيوخ، بكل ما له من هيبة، يدبرون مؤامرة لقتل أعضائه جميعًا وتحطيم المدينة

69 - السابق. ص ص 137، 138.

70 - راجع: السابق. ص ص 132 - 133.

71 - راجع: السابق. ص112.

72 - السابق. ص 123، وراجع أيضًا: ص ص 144 - 145.

73 - راجع: السابق. ص ص 131، 148.

74 - راجع: السابق. ص139.

75 - السابق. ص129.

76 - السابق. ص140.

بأسرها [77]. ويعبر عن أمنيته ألا تنسى روما جهوده العظيمة في صون الوطن وفي توطيد علاقاته وتنميتها مع سكان المستعمرات الرومانية [78]. معربًا عن أمله في أن تكون ذكرى قنصليته منقوشة في قلوب شعب روما، فهو لا يطلب مقابل خدماته أية جائزة، ولا أي لقب من ألقاب الشرف، ولا أي نصب تذكاري، بل إن ما يريده هو أن تحفظ ذاكرتهم إنجازاته [79]، لاسيما إنه بلغ حدًا من التشريف والتمجيد لا يحتاج معه إلى المزيد، الأمر الذي ينم عما يشوب شخصيته من إحساس الثقة بالنفس وبالعظمة. وهو ما يؤكده قوله: "إنني حين اعتزل الحياة الحكومية، سأعمل على تبرير آثار قنصليتي وتدعيمها بحيث يرتد على عدوي... كل الأحقاد التي أثرتها على نفسي أثناء خدمتي للجمهورية... سأتذكر دائمًا ما بلغته من النتائج الباهرة، وسأحرص على أن أثبت أن هذه النتائج إنما تُعزى لإرادتي لا لإرادة الصدفة"[80]. ويتواصل الإحساس بالعظمة لدى كيكرو حين يوصي أعضاء مجلس الشيوخ الروماني بتوفير الحماية الكافية لابنه من بعده، وضمان سلامته "وترقيه في سلم الشرف... (على اعتبار) أنه ابن ذلك الرجل الذي تعرض للخطر وحده في سبيل إنقاذ كل شيء" [81].

ويلزم التنويه إلى أن كيكرو الإنسان كان يؤمن بالنبوءات كما يذهب بعض المؤرخين من أمثال "بلوتارك" (Plutarch)، المؤرخ اليوناني. بيد أن فاطمة سالم لا تؤيد هذا الرأي استنادًا إلى ما عُرف عن كيكرو من ميل إلى التصغير من شأن النبوءات [82]، وإن كان هذا لا ينفي إيمانه بالعناية الإلهية، وهو ما يتبين من خطابه إلى الشعب الروماني بعد إحباطه مؤامرة كتيلينا، حيث يقول: "أيها المواطنون... إذا كنت قد استطعت تدبير هذه الأمور، فما ذلك إلا لأن الآلهة المخلدين قد نظمتها، وتفادت وقوعها بإرادتها وحكمتها، وإن قليلاً من التفكير ليكفي وحده لإقناعنا بذلك، فليس من شأن حكمة الإنسان القدرة على تدبير هذه الأحداث"[83].

إن بلوتارك ذاته يشهد أن كيكرو كان يزدري حب المال كل الازدراء، في عصر لم يكن فيه اغتصاب المال عيبًا[84]؛ فرغم أن ما ورثه عن أبيه لم يكن يكفيه، فإنه لم يستثمر ماله بالربا أو يودعه في أحد البنوك ليشارك في أرباحه كما كان شائعًا آنذاك. ورغم أنه كان يمتلك عبيدًا

77 - راجع: السابق. ص64.
78 - راجع: السابق. ص ص 145 - 148.
79 - راجع: السابق. ص 124.
80 - السابق. ص126.
81 - السابق. ص148.
82 - راجع: السابق. ص13.
83 - السابق. ص118.
84 - راجع: السابق. ص13.

ويؤلف كتبًا ويعمل بالمحاماة ويتقلد منصب القنصل، فإنه لم يستغل أي منها في أن تدر عليه ربحًا [85]، ومن الطريف أن كيكرو المعروف بعزوفه عن المال وازدرائه له، كان شغوفًا بمظاهر الأبهة وحياة الترف لدرجة أنه لم يتورع أن يستدين من أجل شراء لوحة ثمينة أو تمثال نفيس، والأكثر من ذلك طرافة أنه كان يختفي من دائنيه. [86]

نهاية كيكرو.

نظرًا لما اتسم به كيكرو من قوة شخصية وصرامة في الحق، فقد أغضب الخارجين على القانون والطامعين في السلطة والراغبين في إبعاده عن الجو السياسي في روما [87]، وقد شاءت الأقدار، أن يعيش كيكرو خمسة عشر عامًا بعد قضائه على مؤامرة كتيلينا، لينقذ الجمهورية ويصون الدستور حتى قيام الدولة القيصرية ويكون أحد ضحايا نظامها الدكتاتوري [88]؛ إذ أمر أنطونيو (Antonius) بقتله، فقطعت رأسه وعلقها أنطونيو في الفورم **Forum** (أي ساحة السوق العامة) بروما [89]. وقد عبر بلوتارك عن هذا المشهد المروع بقوله: "كان منظرًا بشعًا، لا يحتمله الرومان، ولعلهم اعتقدوا أن ما عُلق أمام أعينهم لم يكن وجه كيكرو، وإنما كان صورة لما في قلب أنطونيو" [90] .

الخاتمة.

وبعد هذه القراءة للخطب الكتيلينية للخطيب الروماني كيكرو والتي ترجمتها من اللاتينية إلى العربية الأستاذة الدكتورة فاطمة سالم، نجمل فيما يلي أهم ما ورد بهذه القراءة من أفكار وما تم التوصل إليه من نتائج.

لقد كان وراء هذه القراءة مجموعة من الدوافع، بيناها في التمهيد، وتمثل أهمها في الحاجة إلى تفعيل الخطب المترجمة لتبيان ما لتوظيف الكلمة من تأثير على بلاغة الخطابة.

وتضمنت القراءة التعريف بكيكرو الأديب والخطيب والمحامي والقنصل. ولما كان كيكرو

85 - راجع: السابق. ص ص8 - 12.

86 - راجع: السابق. ص10.

87 - راجع: السابق. ص49.

88 - راجع: السابق. ص ص 3 - 4.

89 - راجع: السابق. ص57.

90 - قلاً عن: السابق. ص58. لا حظ أن الاقتباس ذُكر دون إشارة إلى المصدر الأصلي.

معروفًا ببراعته في الخطابة، فقد تعين توضيح سبله فيها، حيث تمثلت في مهارة توظيف الصورة الفنية والمجاز، فضلاً عما اتسمت به شخصيته - بوصفه قائدًا - من قدرة فائقة في إقناع شعب روما وتحفيزه إلى افتداء الوطن، وذلك باتخاذ ذاته نموذجًا للقائد والقنصل الذي يناضل حتى الموت، دفاعًا عن أمن وطنه وسلامة مواطنيه.

عرضت القراءة لسبل كيكرو في مصارحة الآخر، وبراعته في إبراز صورة خصمه كتيلينا وأعوانه، بكل ما فيها من بشاعة، ذلك الإبراز الذي تمثل في استخدام الاستفهام بغرض إثارة خيال الآخر إزاء تصور بشاعة هذه الصورة، فضلاً عن توظيف المشاهد المرئية التي وردت بهدف شحذ أفكار مستمعيه لإصدار أحكام أخلاقية تقييمية بصدد الخونة والمتآمرين على الدولة. كما أبرزت القراءة براعة كيكرو في تشخيص المبادئ والمعنويات المجردة، وكذا إثارته الرأي العام لإصدار حكم بالإجماع على المتآمرين بقناعة تامة، اعتمادًا على أدلة وبراهين الإدانة.

كما كشفت القراءة عما يجيش داخل كيكرو الإنسان من إرهاف حس، وثقة بالنفس وإحساس بالعظمة، وتناقض موقفه بين ازدراء المال وحب مظاهر الترف.

وأخيرًا أظهرت القراءة النهاية المفجعة لكيكرو، القائد الشجاع الذي لا يهاب الموت، على يد الديكتاتور أنطونيو.

قراءة في مسرحية "أندريا ترنتيوس"

تمهيد.

إن قراءة بحث "أندرياترنتيوس"[1] لفاطمة سالم قد أسفر عنها متعة فكرية خاصة، لكون الموضوع يتناول جنسًا من أجناس الأدب؛(المسرحية) له علاقة باهتماماتي الفكرية و الأكاديمية. ولتضمنه آراءً نقدية وتحليلية تعبر عن الجانب الفكري لصاحبة البحث، وتعرب عن إيمانها بأن تفعيل النص الأدبي لا يتأتى إلا بمناقشة أفكاره والكشف عن طبقاته المفهومية.

والبحث يحوي نصًا مسرحيًا هو ملهاة (كوميديا) بعنوان "أندريا"، لكاتبه "ترنتيوس"، وقد اعتمدت في ترجمته فاطمة سالم من اللغة اللاتينية إلى العربية على القواميس الوسيطة، ليحتل النص المترجم ستين صفحة من مجمل صفحات البحث البالغ عددها تسعين صفحة.

ويتصدر النص المترجم جانب نظري يحوي تعريفًا بترنتيوس مؤلف المسرحية، وأهم أعماله الأدبية والمحيط الثقافي الذي نشأ فيه، والنقد الذي وجه إلى مسرحياته. فضلاً عن نشوء الكوميديا في روما و ما سبقها من أجناس فنية، وأهم كتاب الكوميديا واتجاهاتهم الكتابية.

من هو " ترنتيوس "؟

هو أحد عبيد أفريقيا، ولد في (قرطاجة) وإن لم يكن قرطاجي الأصل. تختلف الروايات حول تاريخ ميلاده فثمة رأي يقول: إنه "ولد في عام 185 ق.م وينكر البعض الآخر أنه ولد قبل ذلك بعشر سنوات، ويذكر بعض المحدثين أنه ولد قبل عام 185 ق.م بأربع سنوات"[2]، بما يؤكد عدم الاهتمام بتحديد تاريخ ميلاده. والأمر الذي لا خلاف فيه أن "ترنتيوس" حضر إلى روما عبدًا صغيرًا لعضو الشيوخ "ترنتيوس لوكانوس" الذي يُرجح أنه اشتراه أو أُعطي له هدية، ونظرًا لتأثر السيد بذكاء عبده وجماله، رباه تربية الأحرار مانحًا إياه حريته في وقت مبكر، كما منحه حق الاحتفاظ باسمه كما هي العادة عند الرومان، ومن ثم حمل العبد اسم مولاه فعُرف "ترنتيوس" باسم "**Publius Terenitus Afer**"[3].

1 - راجع: فاطمة سالم سيف. أندريا ترنتيوس، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، المجلد الثامن عشر، 1964م، ص ص 209 - 299.

2 -السابق. ص ص 214 - 215.

3 - السابق. ص215.

ونظرًا لما رآه السيد في عبده من موهبة واهتمامات بالأدب، وجهه نحو المزيد للاهتمام بهذا المجال، مما كان له أكبر الأثر في نشأته، إذ لم يعامل في مجتمعه معاملة العبيد منذ مرحلة مبكرة من حياته، كما أحيط بمجد الثقافة الإغريقية فتأهل لتقليد بعض شعراء الكوميديا الإغريقية الحديثة الذين اهتزت أثينا لأشعارهم في القرن الثالث قبل الميلاد [4].

هذا فضلاً عن أن النشاط الثقافي والفكري لترنتيوس قد واكب عصرًا من أزهى عصور روما السياسية والأدبية، فعلى المستوى السياسي استطاعت أن تؤسس الإمبراطورية الرومانية التي سادت العالم عدة قرون، لاسيما بعد انتصارها على مقدونيا وسوريا ووضعها حدًا لمطامع "أنتيوكوس" في البحر الأبيض المتوسط، وغلبتها على الفرس وإقامتها أحلافًا دعمت نفوذها في أسبانيا.

أما على المستوى الأدبي فقد "قامت ثورة فكرية كان لها أعمق الأثر في الأدب والفلسفة والدين والتاريخ والفن لدى الرومان"[5]، كما أدت إلى إيجاد حلقات علمية تهتم بنشر التعاليم اليونانية في الفلسفة والبلاغة والفن، وشحذت أقلام الكُتاب والشعراء الإغريق بتوسيع حركة الترجمة لهم، مما أهلهم لاتخاذ الحضارة اليونانية نموذجًا يُحتذى به.

اتصل "ترنتيوس" بهذه الحلقات العلمية وارتبط بها ارتباطًا وثيقًا، نتج عنه صداقته لكثير من كُتاب المسرحية من أمثلة "سكيبيو" و "يوليوس" الحكيم.

وفاة " ترنتيوس ".

تختلف الآراء في أسباب وفاته ومكانها، إذ يرى البعض أن "ترنتيوس" سافر إلى بلاد الإغريق عام 160ق.م بغية الهروب من إفلاس مالي تعرض له نظرًا لمصادقته النبلاء في مجتمعه. بيد أن "سيلر" يستبعد أن يكون الفقر هو الدافع للسفر، لتناقضه مع واقع "ترنتيوس"، إذ عُرف عنه أنه في حياته كان يمتلك بالقرب من معبد "مارس" بروما، حديقة تقع مساحتها ما بين العشرين والثلاثين فدانًا ورثتها ابنته بعد وفاته، ومن ثم يرجح "سيلر" أن خبر فقره لم يكن سوى شائعة أراد من ورائها أعداؤه التقليل من شأنه[6].

وثمة رأي آخر يذهب إلى أن "ترنتيوس" اضطر للسفر إلى بلاد الإغريق لافتقاده مأوىً خاصًا به في روما لاسيما بعد وفاة سيده عضو الشيوخ، كما يرى رأي ثالث أنه سافر رغبة منه في معرفة

4 - راجع: السابق. الصفحة نفسها.

5 - السابق. ص216.

6 - راجع: السابق. ص ص 218 - 219.

عادات ونظم الإغريق، وميلاً منه لدراستها في بيئتها التي ستتيح له مشاهدة مسرحياتها ونقل ملهاتها من أجل الوصول إلى مثل يقتدى به ضمن مؤلفتها الزاخرة.

وتختلف الآراء أيضًا في تحديد مكان موته، فبينما يذهب بعضها إلى أنه توفي ببلاد الإغريق، ينفي البعض الآخر ويقول: إنه توفي في آسيا التي من المحتمل أنه انجذب إلى مكتبتها الغنية بالمخطوطات في بلدة "بيرجامون"، ويرى آخرون أنه توفي في "استيمنالوس" في "أركاديا" لإصابته بالمرض والحزن نتيجة لفقده مخطوطات مسرحياته، كما يرجح البعض أنه عاد إلى روما بعد بلاد الإغريق حيث قضى نحبه[7].

مسرحيات " ترنتيوس ".

كتب "ترنتيوس" ست مسرحيات وصلت إلينا كاملة. متفاوتة في درجة نجاحها باختلاف الموضوع وطبيعة ملهاة كل منها. وتعد مسرحية "أندريا" أولى مسرحيات "ترنتيوس" الكوميدية إذ قدمها للعرض عام 166 ق.م، ونظرًا لتقبل الجمهور لها ونيلها نجاحًا عظيمًا تشجع لتقديم مسرحية "الآغة" في العام نفسه، ولما لاقت إعجاب الجماهير تلاها بمسرحية "زوجة الأب" التي لم تحقق النجاح المطلوب لا في عرضها الأول ولا الثاني الذي كان أثناء الألعاب الجنائزية عام 160 ق.م، إذ انشغل المشاهدون عنها بمتابعة رقصة على الجبل. أما في عرضها الثالث، إبان الألعاب الرومانية، فقد لاقت نجاحًا منقطع النظير. وبعدها واصل "ترنتيوس" كتابة مسرحياته فكتب ملهاة "المعذب لنفسه" في عام 163 ق.م، وملهاة "فورميو" عام 161 ق.م، وأخيرًا ملهاة "الإخوان" في عام 160 ق.م[8].

وينبغي التنويه إلى أن "ترنتيوس" كتب كثيرًا من مسرحياته نقلاً عن آخرين من كتاب المسرحية في الأدب الإغريقي مما أدى إلى اختلاف الآراء حول ترتيبها الزمني[9]، كما عُرف عنه اهتمامه بعنصر العقدة في المسرحية وإبقاؤه الملهاة على أصولها الإغريقية في مادتها وصورتها وروحها، واتخاذه منها أداة لنشر الثقافة اليونانية، فضلاً عن تهذيب المجتمع وصقله. ورغم تطوير "ترنتيوس" للملهاة تطويرًا فنيًا لم يعرف من قبله، فإن مسرحياته لم تنل إعجاب القاعدة العريضة من جماهير الشعب إذ لم تعكس ذوق العوام، ومن ثم لاقت - فحسب - تقدير النخبة من رجال الفكر والأدب[10].

7 -راجع: السابق. الصفحات نفسها وما بعدها.

8 - راجع: السابق. ص ص 219 - 220.

9 - راجع: السابق. ص ص 220، 221.

10 - راجع: السابق. ص212.

وترى فاطمة سالم أنه سواء كتب ترنتيوس كل مسرحياته الكوميدية أم نقل بعضها، فإنها في مجملها تمثل مرحلة أدبية جديدة بالدراسة والتنقيب والاهتمام بترجمتها، خاصة في ظل النقد الذي وجه إليها.

نقد مسرحيات " ترنتيوس ".

في الفترة التي شرع فيها "ترنتيوس" لكتابة مسرحياته، وجدت مدرسة نقدية جديدة ترأسها شاعر هرم يُدعى "لوسكيوس لافينوس" الذي آمن وأتباعه بأن الأصول الإغريقية في الأعمال المسرحية وغيرها من الأعمال الأدبية من العظمة والتفرد بحيث لا تقبل أية تغيير أو تعديل أو حذف أو إضافة. وعليه اتهم "ترنتيوس" من قبل هذه المدرسة بأنه ليس المؤلف الحقيقي لمسرحياته، وما هو إلا قلم يستر خلفه الأسماء الحقيقية لمؤلفي مسرحياته. ولم ينف ترنتيوس في مقدمة ملهاته "الإخوان" هذه التهمة نفيًا قاطعًا، بل اكتفى بالتلميح ضمنًا إلى أنه المؤلف الحقيقي لنصوصه المسرحية، وإن كان هذا لا يعني نفيه مساندة أصدقائه له في عملية التأليف، وإنه لفخور بهذه المساعدة[11].

ويرى نقاد العصور الحديثة أن "ترنتيوس" هو المؤلف الحقيقي لكوميدياته وأن كل ما يدين به لأصدقائه تعلمه من صحبتهم لغة المجتمع الراقي، وإسداؤهم إليه بعض النصائح فيما يتعلق باختيار المواضيع أو بعض تفاصيل التأليف[12].

وتعزز فاطمة سالم هذا الرأي معللة أن مصاحبة "ترنتيوس" للنخبة من رجالات الفكر والأدب في مجتمعه وهو عبد بسيط مُحَرَر، لابد أن تستند إلى روابط فكرية قوية أهلت ترنتيوس بذكائه وموهبته للالتحاق بتلك الحلقات الفكرية والثقافية. هذا فضلاً عن أن اتهامه بأنه ليس صاحب مسرحياته قد ينطوي على تناقض في الآراء أظهره كثير من العلماء من أمثال "سيلر" الذي يعلل موقف "ترنتيوس" السلبي إزاء هذا الاتهام بأنه "قد يُعزى إلى مركزه الاجتماعي، فلم تكن له شخصية هوراتيوس وقوته واستقلاله ليدافع عن مركزه الاجتماعي الوضيع، وليُظهر للملأ موهبته وفنه ويدافع عنهما ....، ولعل ترنتيوس أيضًا وجد ميلاً من أصدقائه لإضافة فخر التأليف إليهم، فسكت لرقته وأخلاقه حتى لا يسيء إلى رجال رفعوه بصداقتهم" [13].

وقد امتد نقد مسرحيات ترنتيوس إلى طبيعة تأليفها وكيفية هذا التأليف، إذ أُخذ عليه كما في

11 - راجع: السابق. ص216.

12 - راجع: السابق. ص217.

13 - السابق. الصفحة نفسها.

مسرحتي "أندريا" و "الآغة" - مثلاً - المزج بين رواية إغريقية أصيلة وبين مشاهد وشخصيات رواية أخرى. الأمر الذي عده أتباع مدرسة "لوسكيوس لافينوس" خرقًا لشيء مقدس. وفي مسرحيتيْ: "الإخوان" و "الآغة" أخذ على ترنتيوس التصرف في أصولهما الإغريقية مما اعتبره بعض أتباع هذه المدرسة سرقة، إذ إن النص المترجم من وجهة نظرهم ملك للمؤلف الأصلي للمسرحية شأنه في ذلك شأن الأصل تمامًا. كما اتهمت كتابات "ترنتيوس" بالتفاهة، ووصم أسلوبه بالضعف وخلوه من الحيوية[14].

نشوء الكوميديا في روما.

تذهب فاطمة سالم إلى أن فن الكوميديا أو الملهاة في روما لم يكن بدعة وطنية، بل نقلاً عن أصول إغريقية تمثلت في مجموعة من الفنون سبقت ظهور الملهاة وعُدت بمثابة العناصر المكونة لهذا الفن والمهيئة للمزاج الروماني لاستقباله. إذ وجد في روما أشعار الفسكنين وعرض الأوسكي، وفن الميموس، والرقصات المصاحبة للناي، وفن الساتورا. وجميعها كان لها دور في تنمية الذوق الهذلي وبلورة الملهاة الرومانية كثيرًا أو قليلاً.

فبالنسبة لأشعار الفسكنين (Fescennini Versus) تختلف الآراء إزاء هذا المسمى فهناك من يذهب إلى أنها سميت به نسبة إلى بلدة (فسكينا) أو (فسكنيوم) في مقاطعة (أترووريا) بروما. وثمة من ينفي هذا الرأي معللاً أن اشتهار بلدة (فسكينا) بهذه النوعية من الأشعار لا يعني بالضرورة أنها منبع لها، كما أن هذه الأشعار وجدت في منطقة جنوب إيطاليا التي كان يقطنها سكان قبيلة (لاتيوم) أو (الأوزونين)، وهي قبيلة قديمة اشتهرت بارتجالها هذا النوع من الأشعار في موسم الحصاد. ورغم اختلاف الآراء إزاء تسمية أشعار الفسكنين بهذا الاسم، فإنها تتفق في كونها أشعار ارتجالية نبعت من الريف، يُتغنى بها في موسم الحصاد بصفة عامة وحصاد الكروم بصفة خاصة. وأنها أشعار يرتجلها سكان الريف في شكل حوار ويتراشقون بها في سخرية ومرح. وقد تطورت بعد ذلك لتحوي العنف والمجون. أما عن انتقالها إلى روما فقد كان في زمن يسبق قوانينها الاثنى عشر. ولكون الأشعار تتسم بالمجون والخروج عن الآداب العامة، فإن تسربها إلى الأسر المحافظة في روما كان يهدد احترامها ويخترق تهذيبها، كما يرى هوراتيوس، مما حدا إلى إيجاد قانون يعاقب عليها، ويدعو نحو صقلها وتهذيبها[15].

وبالانتقال إلى عرض الأوسكي (Oscum Ludicrum)، فإن الرومان عرفوا هذا العرض منذ

14 - راجع: السابق. ص ص 217 - 218.

15 - راجع: السابق. ص ص209، 293 هامش رقم (1).

زمن مبكر، حسب ما تذهب إليه فاطمة سالم. والعرض في الأساس هو عبارة عن قصص مرتجلة يطلق عليها مسمى (الأتيللية) نسبة إلى منطقة (أتيللا) إحدى مدن مقاطعة (كمبانيا) بإيطاليا. وقصص (الأتيللية) يقوم بتمثيلها ممثلون متمكنون، كما يرجح البعض أن هذه القصص هي تطوير لتمثيل هزلي عرفت به المستعمرات اليونانية في جنوب إيطاليا وصقلية. وقد ترتب على انتقال العرض الأوسكي إلى روما أن سكانها شغفوا به، وتمتعوا بمشاهدته لتضمنه محاكاة هزلية، ومشاهد من الحياة الريفية، وشخصيات استطاعت أن تجسد شخصيات بعينها في الحياة، فضلاً عن مواقفها المضحكة مثل شخصية المجنون (ماكوس) والأخرس (دسينوس) وذي اللحية (بابوس). مما شجع شبان روما على تمثيلها، حيث لم يقتصر الأمر على الممثلين المحترفين[16].

وقد "تذوق الرومان، قبل ظهور الكوميديا، فن الميموس (Mimus) منذ أن كان في إحدى صوره البدائية وطربوا لرقصاته وتقليده، فقد دخل روما في القرن الثالث قبل الميلاد"[17].

و(الميموس) فن إغريقي الأصل، عُرف في أجزاء كثيرة من بلاد الإغريق، كما عرفته الإسكندرية في الفترة الزمنية نفسها، وهو فن يتضمن صورًا أساسها المحاكاة، وهي صور تطورت بعد ذلك لتصبح حوارًا مصحوبًا بالموسيقى ومنه تطورت إلى تصوير مشاهد من الحياة العامة. نما فن (الميموس) في روما في عهد "سولا" ولقي عناية من الدولة، فيذكر "شيشيرون" عن مرحلة متقدمة لهذا الفن أنه أصبح عرضًا ارتجاليًا يصور موضوعات غير متوقعة الحدوث؛ كأن يصبح الشحاذ صاحب ملايين، وقد ارتقى فن (الميموس) بعد ذلك ليصبح أدبًا له متخصصوه[18].

يرى "ليفيوس" أن المنشأ البعيد للكوميديا في روما هو الرقصات المصاحبة للناي التي دخلت روما سنة (364 - 363 ق.م) فقام بتقليدها شبان روما مضيفين إليها حوارات مرتجلة من أشعار (الفسكنين) التي تطورت بدورها إلى فن "الساتورا". و "الساتورا" فن شعري يتألف من مختلف الأوزان، تتميز أنغامه - رغم المزج الوزني فيها - بالتوافق والانسجام الفني بين كلماتها وحركات ممثليها. وقد تطور هذا الفن بعد ذلك ليصبح عرضًا مسرحيًا غنائيًا يحوي مشاهد لمختلف الموضوعات، تصور نثرًا وشعرًا بمصاحبة الموسيقى، ويقوم بتمثيلها رجال محترفون، ورغم أن (الساتورا) ساهمت في تكوين فنيْ: الكوميديا والهجاء في روما، فإن العرض الساتوري في جانبه الملهاتي كان ينقصه العقدة[19].

16 - راجع: السابق. ص ص209 - 210.

17 - السابق. ص210.

18 - راجع: السابق. الصفحة نفسها.

19 - راجع: السابق. الصفحة نفسها.

تلك هي الفنون التي سبقت الملهاة في روما وجميعها - كما أسلفنا - إغريقية الأصل ، كما أن ظهور الملهاة لم يقض على العروض الهزلية التي ظلت تشغل أذهان الرومان وتمتع قلوبهم، ونظرًا لتمسك الذوق العام بها استمر عرض هذه العروض بوصفها عروضًا ثانوية تعرض بين فصول المسرحيات، تجاوبًا مع أهواء الجمهور وإمتاعًا لأمزجتهم.

وتذهب فاطمة سالم إلى أن الفنون التي ساعدت على تكوين الكوميديا في روما هي نفسها التي أدت إلى القضاء عليها، ذلك أنه في عصر (الأباطرة) انحدر الذوق الروماني ليعود نحو البداية من حيث اتجاهه وميله إلى الهزليات (الأتيللية) التي تقمصت ثوبًا جديدًا إبان هذا العصر، هذا فضلاً عن احتلال (الميموس) المركز الأول ليصبح وسيلة فعالة للنقد السياسي والاجتماعي، مما أدى إلى القضاء على القصص الأتيللية وعلى الملهاة تدريجيًا[20].

الكوميديا في روما، كُتابها واتجاهاتها.

قبل الخوض في الحديث تفصيلاً عن مسرحية "أندريا" لترنتيوس، نرى أنه من الأهمية بمكان عرض المراحل المختلفة التي مر بها فن الكوميديا في روما فضلاً عن كُتابها واتجاهاتها.

احتوت الكوميديا أو الملهاة في الأدب الروماني على مراحل عديدة، عكس كل منها ما بذله أعلام هذا الفن من جهد منذ بداية نشأته وتطوره ورقيه حتى أصبح مفردة هامة من مفردات التراث الفكري الروماني. ومما لا شك فيه أن كُتاب الكوميديا وجدوا روما أرضًا خصبة لإنتاجهم الفني نظرًا لتقبل الذوق العام للمسرحية الكوميدية التي تحولت فيما بعد إلى جزء لا يتجزأ من الكيان الثقافي الروماني.

من ثم أنتجت روما مجموعة من الكتاب على رأسهم (ليفيوس أندرونيكوس)، أول مَنْ نقل المسرحية من أصلها الإغريقي عام 240 ق.م، حيث قدم للجمهور الروماني المسرحية بنوعيها: الملهاة والمأساة.

وعلى الرغم من أن (ليفيوس أندرونيكوس) هو أول مَنْ كتب المسرحية بنوعيها، كما أن أعماله المسرحية تمثل الحلقة الأساسية التي تربط الأدب الروماني بالأدب الإغريقي، فإن ما تركه من نصوص كوميدية لا تُعين القارئ على تكوين فكرة واضحة عن فنه وعما أضافه إلى النماذج الإغريقية[21].

20 - راجع: السابق. ص213.

21 - راجع: السابق. ص ص 211 - 212.

وتلا (ليفيوس) (نايفيوس) الذي عُرف باتخاذه "المسرحية أداة لإشباع روح النقد المتأصلة فيه، ثم (اتخاذه) الباليات وسيلة لنقده السياسي إزاء قوانين الجمهورية الصارمة"[22].

أما (بلوتوس) فقد استطاع أن يضيف إلى ما نقله من مسرحيات إغريقية روحًا وطنية متأججة، ومن ثم كون ما يعرف بالكوميديا الشعبية المشبعة بالقوة والعنف والحيوية، الأمر الذي جعلها تستحوذ على تقدير الجماهير وإعجابهم وتتميز بشعبية واسعة، لاسيما في ظل التجديد الذي أضافه إلى الملهاة الرومانية (الكانتيكا)، حيث وظف فيها ولأول مرة، فكرة الغناء المنفرد بمصاحبة الموسيقى على نحو واسع، كما أبعد المجاميع الغنائية (الكورس) عن المشاركة في أحداث القصة، مُقَصِرًا دورهم على الظهور في بداية المسرحية للإعلان عن بدايتها، وبين فصولها تحديدًا لفترات الاستراحة. هذا فضلاً عن توظيفه الموسيقى والغناء في الملهاة الرومانية إرضاءً للذوق التقليدي الذي يميل إلى الطرب البدائي بما فيه من محاكاة وموسيقى وغناء، لاسيما وأنه الذوق الذي تمسك به الرومان، لكون الطرب والمحاكاة جزءًا من تراثهم. وهو الذوق نفسه الذي مال لإضافات (بلوتوس) على النصوص الإغريقية فيما يتعلق بالنكات الجريئة والفكاهات المبتكرة لما لها من دور في تذكير ذهن الجمهور بالماضي البعيد ببيئته الريفية وسكانه، وما كانوا يتراشقون به فيما بينهم من أشعار مرتجلة أساسها النكتة والبديهة والجرأة، وفيما سبق كانت ملهيات (بلوتوس) ترضي النزعات الفطرية والتقليدية للرومان، ومن ثم ظلوا يطلبونها حقبة طويلة بعد وفاته[23].

إن "كايكيليوس" يعد كاتب الكوميديا الأول في روما بعد وفاة "بلوتوس"، فقد تمتع بشعبية جارفة وامتاز عنه في حرصه على إبقاء عقدة الملهاة، ومن ثم أثار مشاعر الجمهور بقوة وعنف وبذا تمتع "كايكيليوس" بتقدير الأجيال اللاحقة إلى درجة فضله فيها "هوراتيوس" على "بلوتوس"، كما اعتبره "سديجتوس" أول شعراء الملهاة في روما[24].

أولئك أهم أعلام فن المسرح في الأدب الروماني، فضلاً عن اتجاهاتهم الكتابية وهناك أسماء أخرى لا مجال لسردها جميعًا، أنتجت الكثير من الأدب الروماني. وتؤكد فاطمة سالم أنه "رغم ضياع الكثير من إنتاج معظم هؤلاء الشعراء والكُتاب، إلا أن النقل عن الإغريق لم يكن حرفيًا، بل كان نوعًا من الاقتباس أو التأليف الذي يبعد أو يقرب عن الأصل الإغريقي بقدر ما أضافه

22 - السابق. ص212.

23 - راجع: السابق. ص ص 213 – 214.

24 - راجع: السابق. ص212.

الكاتب من عناصر وطنية أو بقدر ما أدخله من تغيير، لذا نجد البالياتا الرومانية تختلف عن أصولها الإغريقية، كما تختلف في صياغتها اختلافًا أدى إلى اختلاف خصائص كل من كُتابها" [25].

وعليه فقد تنوعت الملهاة واتجاهاتها في روما، فظهرت كوميديا الـ (بالياتا) الرومانية نسبة إلى الرداء الإغريقي "Pallium" الذي يُلبس في هذا النوع من العرض الكوميدي لتمييزه عن غيره من الكوميديات، وللتأكيد على أصوله الإغريقية. ويلزم التنويه إلى أن التأثر بالكوميديا الإغريقية لم يقف عند حد النقل عن أصولها فحسب، بل امتد إلى روحها وعنفها ونقدها السياسي على يد كُتاب بعينهم في روما من أمثال (نايفيوس)، ومن ثم ظهرت الكوميديا إغريقية في مادتها وملبسها ومسرح أحداثها، لاتينية في لغتها[26].

كما وجدت كوميديا التوجاتا "Comoedia Togata"، نسبة إلى الرداء الروماني "Toga" الذي يُرتدى في هذا النوع من الكوميديا لتميزها عن غيرها من الكوميديات. ورغم اقتباس كوميديا (التوجاتا) من الأصول الإغريقية، فقد كان شأنها شأن كوميديا الـ (بالياتا) من حيث اقترابها من الحياة العامة للرومان، ومعالجتها مشاكل الحياة الموجودة في روما أو أقاليمها، وعكسها الطبقة الوسطى من المجتمع الروماني بزيه القومي وعاداته وتقاليده. وتطورت التوجاتا على يد أفرانيوس "Afranius" إلى الحد الذي به استطاع أن يلمس أوتار القلوب، ومن ثم صفقت له روما طويلاً [27].

ونتيجة لتنوع موضوعات الكوميديا واتجاهاتها الكتابية في روما، نشأ الاختلاف بين الكوميديا الرومانية ومثيلتها الإغريقية الحديثة، كما وجدت فروق بين روح الكوميديا الرومانية وأهدافها وبين الأصل الإغريقي لها. ونظرًا لأن تقليد الكوميديا اللاتينية للنماذج الإغريقية قد خضع لمؤثرات وطنية منذ البداية، فإن هذه الكوميديا أصبحت خليطًا من عناصر مزدوجة: إغريقية ورومانية[28]. لذا نجد أن "بلوتوس" حين يجسد في مسرحياته مجتمعًا شعبيًا من الطبقة الوسطى وطبقة العبيد، فإنه يجسد هذا المجتمع على "حقيقته بلغته وروحه وعاداته تحت ستار من المرح والطرب والتسلية، يتراوح بين الجد أحيانًا والهزل أحيانًا أخرى"[29]. بينما نجد عكس ذلك في الكوميديا الإغريقية الحديثة حيث الهروب من الواقع واللجوء إلى الخيال تحت وطأة الاستعمار المقدوني والتقيد بالصقل و التهذيب إلى حد ابتعاد الكوميديا عن الطبيعة البشرية [30].

25 - السابق. ص211.

26 - راجع: السابق. الصفحة نفسها.

27 - راجع: السابق. ص ص 212، 213.

28 - راجع: السابق. ص214.

29 - السابق. الصفحة نفسها.

30 - راجع: السابق. الصفحة نفسها.

مسرحية "أندريا": العناصر الفنية.

تحتل ملهاة "أندريا" لترنتيوس ستين صفحة من مجمل صفحات البحث، ويقع أحداثها في خمسة فصول، ومقدمة خرج بها مؤلفها عن النمط التقليدي لمقدمات المسرحيات التي كانت تشكل عرضًا لموضوع الملهاة وتتضمن فكاهات وتملقًا لجذب انتباه المشاهدين وتشويقهم لمتابعة الملهاة حتى النهاية[31].

أما ترنتيوس فقد حول مقدمة مسرحيته إلى موضع للدفاع عن نفسه وعن فنه المسرحي فيما انتقده فيه أعداؤه، ومن ثم دعا مشاهديه في مقدمة مسرحيته إلى متابعتها، دون التحيز لنقد أعدائه وترك الحكم عليها فيما بعد، إذا ما كانت تستحق المتابعة أم الإدانة [32].

وتتخذ أحداث المسرحية مكاناً واحدًا لوقوعها، الذي هو عبارة عن خلفية ثابتة لمنظر من شارع عام بأثينا يطل على جانبيه بيوت لشخصيات بعينها في النص هي: سيمو وكريزيس وجليكريوم تمثل جميعها - كما سيأتي تفصيلاً - قطبي المسرحية: السمو والانحطاط، الشرف والرذيلة، الغنى والفقر- ويتفرع من الجانب الأيسر للشارع طريق يتجه نحو الفورم (الساحة العامة) ومن الجانب الأيمن طريق آخر يتجه نحو الريف والميناء[33].

تدور أحداث المسرحية حول الشاب (بامفيليوس) الذي يعشق (جليكريوم)، شابة جميلة وأخت لـ (كريزيس) امرأة مومس، بينما هو ابن لـ (سيمو) أحد شيوخ أثينا.

وقبيل أن تلقى (كريزيس) حتفها توصي (بامفيلوس) برعاية أختها، بيد أن حب (بامفيليوس) لـ (جليكريوم) يتطور إلى حد الزواج السري والحمل، وعليه فإن (سيمو) الأب ينزجع انزعاجًا شديدًا حين يعلم بالأمر، لاسيما وأنه كان يشرع في تزويج ابنه من (فيليومينا) ابنة صديقه (كريميز)، الذي كان بدوره يرفض هذه الزيجة لمعرفته العلاقة الآثمة بين (بامفيليوس) و(جليكريوم).

تتصاعد الأحداث بشكل تدريجي مجسدة المحاولات المتكررة من قبل (سيمو) للتفريق بين ابنه وعشيقته، إتمامًا لزواجه من ابنة صديقه و مستعينًا في ذلك بخادمه (سوسيا) وبـ (دافوس) عبد ابنه (بامفيليوس). وتتشابك خيوط الحدث لتصل إلى الذروة حيث نقطة

31 - راجع: السابق. ص221.

32 - راجع: السابق. ص232.

33 - راجع: السابق. الصفحة نفسها.

التحول، الحبكة، بكشف المستور، حين عودة (كريتو) من (أندوس) مطالبًا بحقه في ميراث أخته (كريزيس) الغانية[34]، حينئذ تنحل العقدة بما يقصه (كريتو) "إذ يتضح أنه صديق قديم لكريميز، وأن جليكريوم هي ابنته التي انقطعت أخبارها عنه سنين طويلة، وقد رحلت وهي طفلة مع عمها فانيا، ودفعتهما عاصفة إلى ساحل أندروس، وقد لجأ إلى والد كريزيس الذي عُني بتربية جليكريوم بعد وفاة عمها، فلما مات هو أيضًا جاءت كريزيس بها إلى أثينا"[35].

وتنتهي الأحداث بإسراع (كريميز) لرؤية ابنته (جليكريوم) وموافقته على زواجها من (بامفيليوس)، وكذا موافقة (سيمو) على الزيجة بعد تيقنه من أصلها الأثيني، فضلاً عن مساندة (بامفيليوس) صديقه (كارينوس) في الزواج من حبيبته (فيليومينا) ابنة (كريميز) خطيبة (بامفيليوس) سابقًا[36].

وبالانتقال إلى عنصر الشخصية التي هي عبارة عن مجموع ما يقال عنها وما تفعله وما تقوله، فشخصيات "أندريا" كمعظم شخصيات مسرحيات "ترنتيوس" (توصف بعدم القوة والحيوية). [37] ويقول عنها "سيلر": "إنها تتفق مع النموذج العالمي لحياة المواطن الرقيقة اللينة الجانب، وهي مهذبة وتواجه العالم ببساطة، وليس لها أي اهتمام جدي ولا تشعر بالواجب والطموح" [38].

وتؤكد فاطمة سالم هذا الوصف عن شخصيات مسرحية "أندريا" لـ (ترنتيوس) قائلة: "إن سيمو لا يشعر بالواجب نحو ابنه فقد تركه تحت إشراف عبد ماكر وترك له أن يفعل ما يشاء، ولم يغضب ولم يثر حين اكتشف حب ابنه لأخت غانية، بل رسم خطة ترمي إلى زواجه من ابنة صديقه في هدوء، ولكن حين علم أن حبيبة ابنه هي ابنة أخرى لصديقه قِبل أن يزوجه منها برغم العلاقة الآثمة التي كانت بينهما" [39]. وهو ما يتضح من الحوار الدائر بين سيمو و(سوسيا) الطباخ وكاتم أسراره الذي يكن لسيده كل الولاء، من ثم لا يتأخر عن تنفيذ تعاليمه بالتظاهر بأن زواج ابنه (بامفيليوس) قائم من ابنة (كريميز)، كما يتجلى من الحوار ذاته أن سيمو لم يَلُم ابنه ولم يوبخه، حين علم بفعلته، بل اكتفى فحسب بترويع (دافوس) العبد بكل ما فيه من مكر ودهاء، لمعرفة ما يخططه مع (بامفيليوس) في إيقاف زواجه [40].

34 - راجع: السابق. ص224.

35 - السابق. ص225.

36 - راجع: السابق. ص ص 232 - 291.

37 - السابق. ص227.

38 - السابق. الصفحة نفسها.

39 - السابق: الصفحة نفسها، وللتأكد من مطابقة هذا الوصف على والد (بامفيليوس) راجع: دور العبد (دافوس) في المكر والتلاعب عبر النص، ص ص 238، 241، 248 - 256، ومواضع أخرى.

40 - راجع: السابق. ص ص 232 - 238.

ومن التناقض العجيب في سلوك الشخصيات أن (بامفيليوس) الذي يتمزق داخليًا بين الواجب والحب، أي بين طاعة أبيه في الزواج من ابنة صديقه و البقاء على حبه لحبيبته أخت الغانية، لا يحرك ساكنًا ولا ينطق بكلمة واحدة معارضًا أوامر أبيه، بل ينتظر في خنوع إلى أن يواتيه الحظ فيتزوج مِمَنْ يريد، الأمر الذي يتضح من اعترافه لدافوس عبده، بأنه لا يمتلك الشجاعة لمواجهة أبيه برفض الزيجة التي يريدها له. ليس هذا فحسب، بل ويطلب من عبده (دافوس) أن يخلصه بدهائه ومكره من هذا المأزق [41].

ويتواصل التناقض في سلوك الشخصيات مع (كريميز) الذي يرفض زواج (بامفيليوس) من ابنته لأسباب أخلاقية، ثم يوافق على الزيجة ذاتها تحت وطأة إلحاح صديقه (سيمو) وتوسلاته المستمرة [42].

إن شخصيات ترنتيوس التي وصفت بالتهذيب ينطبق عليها هذا الوصف بشكل واضح مع العبد (دافوس)؛ فعلى حد قول فاطمة سالم، "إنه لا يتكلم بلغة العبيد، ولا يقذف بنكات جريئة أو حركات رخيصة، بل يرتفع إلى لغة الرجل المهذب، كما نراه (أي التهذيب) في شخصية ميزيس خادمة جليكريوم التي كانت، فضلاً عن هذا، تتأمل في أمور البشر أحيانًا وتصدر أحكامًا عنهم" [43].

وبالرجوع إلى النص نجد أن (دافوس) رغم عبوديته وكل المكائد التي يدبرها بدهائه بغية عدم إتمام زواج (بامفيليوس) من ابنة (كريميز)، فإنه بعيد كل البعد عن الخسة والانحطاط إذ يفعل ذلك بلغة وبسلوك راقيين [44]. و(ميزيس) تخشى ترك (بامفيليوس) لمخدومتها (جليكريوم) في لحظات تردده بين واجبه في طاعة أبيه وبين رغبته في حب حبيبته وتوقه إليها، ومن ثم تدفعه (ميزيس) دفعًا للتحدث مع حبيبته في مثل هذه اللحظات معللة ذلك بقولها: "من الضروري جدًا أن يتحدث هو مع سيدتي نفسها، أو أحدثه شيئًا عنها فحين يتراوح العقل بين الشك واليقين، يتأثر بأقل المؤثرات ويندفع إلى ناحية دون أخرى" [45].

وجدير بالذكر أن التهذيب بوصفه قاعدة تعم شخصيات مسرحية ترنتيوس لا ينطبق - في مواضع كثيرة - على شخصية (سيمو) الذي هو دائم التذكير لطباخه (سوسيا) بما مَنَّ عليه من

41 - راجع: السابق. ص ص 227، 265 - 266.

42 - راجع: السابق. ص ص 260 - 263، 279 - 280.

43 - السابق. ص 227.

44 - راجع: السابق. ص ص 248 - 256.

45 - السابق. ص 243.

حرية، حيث يقول له: (إنك تعرف أن عبوديتك منذ اللحظة التي اشتريتك فيها ومنذ أن كنت صغيرًا كانت عبودية عادلة ورحيمة، ولقد حررتك لتصبح عبدًا عتيقًا(أي حرًا) واعتبرت ذلك أسمى جزاء أقدمه لك إزاء ما قمت به من خدمة كريمة) [46]. الأمر الذي كان يجرح سوسيا كما يتضح من قوله: "إني لمحتفظ بكل هذا في ذاكرتي، ولكن تذكيرك لي به أمر يسبب لي الضيق ويبدو كأنه عتاب لنسيان صنيعك"[47].

التحقيق والنقد.

فضلاً عن كون بحث أندريا ترنتيوس نصًا مسرحيًا مترجمًا من اللاتينية إلى العربية، فإنه يكشف عن جانبين هامين وضعتهما فاطمة سالم في الاعتبار خلال عملية الترجمة ألا وهما: التحقيق والنقد.

من حيث التحقيق، اعتنت فاطمة سالم برصد مجموعة من التعليقات في الهوامش تتعلق بمضمون المسرحية، منها الإشارة إلى أن هناك نهاية أخرى لمسرحية (أندريا)[48]، وأن اختلاف الطبعات لمخطوطات المسرحية قد أدى إلى تفاوت في نَسْب الأقوال إلى قائليها، الأمر الذي أدى إلى ضرورة الإشارة للطبعات المختلفة للمسرحية في الهامش[49]. هذا فضلاً عن الدقة في متابعة عرض الترجمات المختلفة لجمل بعينها في النص لما لها من تأثير في تغيير المعنى، وبغرض التدليل على اختيار ترجمة عربية بعينها لهذه الجمل حتى تستقيم الدلالة [50]. وأيضًا الاعتناء بالإشارة إلى اختلاف علامات الترقيم في مواضع بعينها بالنص عبر المخطوطات المختلفة للمسرحية، لما في ذلك من أهمية في تحديد المعنى أو تغييره[51].

أما فيما يتعلق بالنقد، فإن ما رصدته فاطمة سالم من آراء نقدية لم تُفعل النص المترجم فحسب، بل أبرزت جوانبه الجمالية التي تُعد إحدى أساسياته، ومن ثم عرف القارئ أن نص (أندريا) قد جمع في عرض الأحداث بين تقنيتيْ: السكون والحركة[52]، وأن ترنتيوس قد خرج بمقدمة مسرحيته عن النمط التقليدي لمقدمات المسرحيات رغم عدم اقتناعه بذلك، إذ (اعتبره

46 - السابق. ص233.

47 - السابق. الصفحة نفسها.

48 - راجع: السابق. ص ص225، 297 هامش رقم (29).

49 - راجع: السابق. ص 298 هامش رقم (37).

50 - راجع: السابق. ص 268 هامش رقم (38).

51 - راجع: السابق. ص 297 هامش رقم (33).

52 - راجع: السابق. ص 221.

ضياعًا لمجهود كان يمكن استغلاله فيما هو أفضل)[53]، إلا أن هذا الخروج يعد من وجهة نظر فاطمة سالم، إضافة في حد ذاته، بجانب الإضافات التي تمثلت في تحوير (ترنتيوس) المشهد الأول من النص الإغريقي للمسرحية من مشهد يحوي عرضًا لعناصر القصة بواسطة شخصية (سيمو)، إلى عرض غير مباشر للعناصر ذاتها من خلال الحوار القائم بين (سيمو) و(سوسيا)، فالحوار بما فيه من تدفق وحيوية، أضفى على المشهد الديناميكية (الحركة)، بما يتسق مع الذوق الروماني في ميله إلى الحركة والتنوع اللوني وعنصر المفاجأة.

ولما كان شغل (ترنتيوس) الشاغل هو الارتقاء بالفن المسرحي رغم عداء الآخرين له، فإنه أتى بإضافات في المسرحية لا وجود لها في النص الإغريقي الأصلي منها: أنه أكسب ملهاته عنصري: التعقيد والتشويق في آن واحد بإراده شخصيتي (كارينوس) و(بامفيليوس) بكل مافيهما من تقابل وازدواجية؛ فالأول يحب خطيبة الثاني الذي يعشق بدوره امرأة أخرى؛ أختًا لغانية.

والتقابل والازدواجية يتحققان مرة أخرى مع شخصيتي العبد (دافوس) والخادم (بيريا)، فبينما يمثل الأول - بكل ما فيه من مكر ودهاء - العقل المدبر لسيده (بامفيليوس) في إيقاف زواجه من ابنة (كريميز)، فإن الثاني خادم (كارينوس) لا يصلح إلا لتوافه الأمور نظرًا لغبائه، من ثم يفشل في إيصال سيده إلى مبتغاه مما يضطره للاعتراف لصديقه (بامفيليوس) بحبه لخطيبته وطلب مساعدته في إتمام زواجه منها، كل ذلك خرج بالنص من بساطة مسرحية "أندريا" في الأصل الإغريقي[54].

والإضافة في عنصر الشخصية تمثلت أيضًا في طبيعة وجود شخصيتي (كارينوس) وخادمه (بيريا)، إذ ثمة رأي يذهب إلى أن الشخصيتين لا أصل لهما في النص الإغريقي، وعليه فهما من ابتكار (ترنتيوس)، بينما يعزز رأي آخر عكس ذلك، مستندًا إلى أن العداء الذي قوبل به (ترنتيوس) لم يكن ليؤهله للإقدام على اختراع شخصيات في المسرحية لا وجود لها في الأصل الإغريقي[55].

وبالانتقال إلى عنصر الحدث، فإن أحداث (أندريا) ترنتيوس التي تتخذ الشكل التدريجي في الصعود وصولاً إلى نقطة الذروة دون تكلف أو عناء، لم تخل من إضافات تمثلت في تغيير أدخله ترنتيوس على النص الأصلي، إذ إن ملهاة ترنتيوس هي في الواقع مزج بين نصين إغريقيين هما: (أندريا وبرنثيا) بينهما تشابه في القصة. وتتجلى براعة ترنتيوس الفنية في أنه جعل من

53 - السابق. الصفحة نفسها.

54 - راجع: السابق. ص226.

55 - راجع: السابق. ص226.

الأصل والإضافة عملاً فنيًا رائعًا، متبعًا في ذلك منهجًا جديدًا في المزج، حقق بواسطته الوحدة والانسجام النصي عبر لغة مصقولة وأسلوب رصين[56].

ورغم أن "هذه الملهاة قوبلت بنقد أعدائه(أي ترنتيوس) في عصره لما فيها من فن وتجديد، إلا أن فن ترنتيوس حظي بعد ذلك بتقدير الأجيال الخالفة"[57].

الرسائل المستوحاة.

غنى عن البيان أن أي عمل فني لابد له من وظيفة، بل وظائف تمكنا من استخلاص الرسائل التي من أجلها وجد هذا العمل؛ أي الهدف منه. وترى فاطمة سالم أنه "رغم البراعة في التعبير وجمال الصياغة في الأسلوب الذي يميز ملهاة أندريا، فإنه لم يكن لها هدف أخلاقي يسمو بالنفس أو فكرة عميقة ترضي العقل، بل إنها تصور أثينا في انحلالها الديني وتصور أثينا بعد أن فقدت زعامتها السياسية، وهي تمثل الأبقورية في ثوبها الرخيص من استمتاع بالحياة وحب للمال، والناحية الخلقية الوحيدة التي نراها في هذه الملهاة هي عذوبة الصداقة والعطف وحسن المعاملة والتساهل والإخلاص، ولعل هذه الصفات كانت ضرورية للرومان في ذلك الوقت"[58].

وبإنعام النظر في هذا الحكم نراه يقيم الملهاة من منظور أخلاقي بحت، يُعد بلا شك أحد مناظير الحكم على العمل الفني، بيد أننا نرى الحكم على العمل الفني لا يتأتى من زاوية واحدة ولا يستخلص من المضمون العام للعمل فحسب، بل يُسْتنبطُ من القراءات المتعددة له والتي تكشف في كل مرحلة من مراحلها جانبًا وظيفيًا وجماليًا لهذا العمل، قدر ما فيه من دور جزئي داخل النص له دور كلي خارجه.

فمثلاً الحدث الذي جسّد استئذان (بامفيليوس) أباه وحماه في إبقاء زوجته (جليكريوم)، قد كشف للقارئ أن زواج الابنة في العادات والتقاليد الرومانية لا يتم إلا بموافقة الأب وأن هذه الموافقة تُعد إجراءً قانونيًا في المجتمع الروماني، كما أن القانون نفسه يلزم (بامفيليوس) بالزواج منها لكون (جليكريوم) مواطنة أثينية[59]. هذا فضلاً عن أن حرق جثة (كريزيس) الغانية قد كشف لنا أن الرومان اعتادوا حرق موتاهم[60].

56 - راجع: السابق. ص ص 225 – 226.

57 - السابق. ص 228.

58 - السابق. ص ص 227 – 228.

59 - راجع: السابق. ص ص 286 – 289.

60 - راجع: السابق. ص ص 222، 297 هامش رقم (28).

كما أن تجسيد بعض الشخصيات للتناقض الذي يعتمل داخلها يؤكد الصراع الداخلي داخل النفس الإنسانية والذي يعد في كثير من الأحايين أقوى من صراعها مع القوى الخارجية. ومن ثم فإن (كريزيس) لم تصارع الفقر كثيرًا واستسلمت للبغاء، وهو ما يتجلى من وصف سيمو لها حيث يقول: "بدأت حياة فاضلة وعاشت في حياء وتقتير ونضال تبحث عن رزقها بغزل الصوف ونسجه، ولكن بعد أن جاءها عاشق يعدها بالثمن ثم آخر على نهجه قبلت العرض وبدأت تتاجر بعرضها."[61] بينما ظلت داخليًا تعاني الصراع بين الرذيلة والفضيلة على نحو بإمكاننا أن نطلق على شخصية (كريزيس) وبارتياح شديد، مصطلح (المومس الفاضلة) بوصفه مصطلحًا نقديًا، إذ رغم ممارستها سلوك البغاء، فإنها ترفضه داخليًا كما يتضح من قولها لبامفيليوس موصية إياه "عزيزي بامفيليوس، إنك ترى جمال جليكريوم وشبابها ولا يخفى عليك كم هما غير مجديين الآن لحفظ عفتها ... إني أتوسل إليك بهذه اليد اليمنى وبطبيعتك وثقتك ووحدة هذه المسكينة ألا تنأى عنها، وألا تهجرها فقد وضعتك موضع... التقدير، وإن كانت قد خضعت لكل رغباتك، إني أهبك لها زوجًا وصديقًا وحاميًا وأبًا وأسلمك جميع ما نملك وأتركه لثقتك وإخلاصك"[62].

ويتواصل مفهوم التناقض ليطرح قضية شكلية تتعلق بالمجتمع الروماني من خلال سلوك (كريميز) بوصفه جزءًا من هذا المجتمع، ففي الوقت الذي يرفض فيه تزويج ابنته من بامفيليوس نظرًا لعلاقتة الآثمة بـ (جليكريوم) معللاً هذا الرفض بقوله: "عمل لا يليق بالكرامة"، فهو نفسه (أي كريميز) الذي يوافق بعد ذلك على الزيجة ذاتها لاكتشافه أن جليكريوم مواطنة أثينية والقانون يجبر بامفيليوس على الزواج منها [63]، ومن ثم يطرح النص سؤالاً له مغزاه: ما الفرق بين ممارسة الإثم مع امرأة من أصل أثيني وأخرى من أصل غير أثيني؟

وتقدم الحبكة جانبًا جماليًا في النص، لاحتوائها على عنصر المفاجأة؛ كشف المستور عبر خبر يأتي من بعيد، ومن ثم كان لزامًا أن يوضع في سياق محكم يتسم بالغرابة والمجهولية والمفاجأة؛ اللائي تمثلتن في شخصية (كريتو) التي يصفها (دافوس) العبد بقوله: "هناك شخص لا أعرف من هو، شيخ كله ثقة وحكمة وذكاء، وإذا نظرت إليه يبدو لك رجلاً له قيمته العظيمة، وترى على وجهه الصدق، وتلمس في كلماته الثقة... يقول: إنه يعرف أن جليكريوم مواطنة أثينية"[64].

61 - السابق. ص234.

62 - السابق. ص244.

63 - راجع: السابق. ص ص 224، 241، 279، 284، 286.

64 - السابق. ص ص 28 1- 282.

وإذا كانت ثنائية القيمة تمثلت في النص عبر الرذيلة والفضيلة فإنها تتمثل مرة أخرى في الواجب والرغبة ،أو بما يمكن أن نطلق عليه التمزق بين ما يرغبه الإنسان ويتوق إليه و بين ما هو مفروض عليه، ومن ثم فإن (بامفيليوس) الذي يعجز عن مواجهة أبيه في رفض زواجه يعاني هذا التمزق قائلاً لأبيه: "أعترف أني أحب هذه المرأة، وإن كان هذا خطأ مني فإني أعترف أيضًا. أضع نفسي تحت رحمتك إلقِ أي عبء على كاهلي، مر. أتريد أن أتزوج وأن أهجر عشيقتي؟ سوف أتحمل هذا بقدر المستطاع"[65].

والحوار ذاته يلعب دورًا بارزًا في تجسيد قيمة الإخلاص والولاء، الأمر الذي يتضح من تردد (كارينوس) للاعتراف بحبه لـ (فيلومينا) خطيبة صديقه (بامفيليوس)، بيد أنه حين يتيقن من عدم إتمام هذه الزيجة، يعترف لصديقه بحبه. ليس هذا فحسب، بل ويطلب منه مساندته في إتمام زواجه من فيلومينا[66].

كما يجسد الأسلوب في أروع صوره قيمة الرومانسية؛ حب (بامفيليوس) لـ (جليكريوم) حيث يقول لأختها (ميزيس): "أحلف لكِ بكل الآلهة أنني لن أهجرها قط كلا وإن عرفت أنني سأضطر إلى أن أتخذ من جميع الرجال أعداءً لي، لقد تمنيتها طويلاً وعادتنا متفقة، ليذهب إلى الجحيم أولئك الذين يريدون التفرقة بيننا، فلن ينتزعها مني سوى الموت"[67]. فلا غروَ إذن أن يوجه خادمه (دافوس) بكل ما فيه من مكر ودهاء نحو سبل إيقاف زواجه من ابنة (كريميز) خشية تمزقه بين امرأتين معبرًا عن ذلك بقوله: "سوف تقصيني هذه (أي جليكريوم) عن منزلها، وتسجنني تلك (أي فيليومينا) في منزلها"[68] في حالة الزواج منها.

وتجسيد الأسلوب لقيمة الرومانسية يتكرر مع قول (سيمو) حين أخبره (كريميز) أن (بامفيليوس) في حالة خصام مع عشيقته (جليكريوم) إذ علق بقوله: "إن غضب المتحابين وخصامهم هو في الواقع تجديد لحبهم"[69]

65 - السابق. ص 284.

66 - راجع: السابق. ص ص 246 - 247.

67 - السابق ص ص 270 - 271.

68 - السابق. ص251.

69 - السابق. ص262.

الخاتمة.

عرضت القراءة في جانبها النظري الأسباب المختلفة التي شكلت متعة فكرية في دراسة بحث فاطمة سالم "أندريا ترنتيوس"، ويأتي في مقدمتها أن الوقفات النقدية لصاحبة البحث قد أثرت البحث، فضلاً عن تفعيلها للنص المسرحي المترجم من اللغة اللاتينية.

كما تطرقت القراءة إلى التعريف بترنيوس وإنتاجه المسرحي ومجموعة الانتقادات التي وجهت إلى مسرحياته، وكذا الفنون المختلفة التي سبقت ظهور الكوميديا في روما والتي مهدت لظهور هذا الفن بحيث تطور على يد كُتاب بعينهم، مثل كل منهم اتجاهًا من الاتجاهات الكتابية في روما.

والقراءة في جانبها التطبيقي اتجهت نحو التأكيد على القيمة الفكرية لآراء فاطمة سالم النقدية تجاه النص الملهاتي، إذ مكنت القارئ من التعرف على أن هناك أكثر من مخطوطة للمسرحية وأن مسرحية أندريا لها نهاية أخرى غير المدونة في النص موضع الدراسة، فضلاً عن أن ترنتيوس استطاع حقًا أن يخلق من ملهاته عملاً فنيًا رائعًا بإضافاته المختلفة سواء فيما يتعلق بالتمهيد أو الشخصيات أو البعد عن التبسيط في طريقة التناول.

وأخيرًا عرضت القراءة للتقييم العام الذي خلصت به فاطمة سالم من النص الملهاتي والذي تبين أنه مبني على منظور أخلاقي بحت. ورغم أهمية ما طُرح، فإن لنا رأيًا إضافيًا يتمثل في أن الجانب الأخلاقي لا يُعد الوحيد في الحكم على العمل الفني، فثمة جوانب أخرى تحقق للقارئ كشف ما بالنص من أسس وقواعد جمالية، وهو ما تحقق في ملهاة "أندريا" ترنتيوس. حيث أبرز الحدث بعض عادات وتقاليد المجتمع الروماني، فضلاً عن المقبول والمرفوض منها اجتماعيًا، كما عكست الشخصيات بما تقوله وما تفعله، ما يعتمل بها داخليًا من صراع وقيم مزدوجة كالرذيلة والفضيلة والواجب والرغبة. وجاءت الحبكة في سياق فني محكم، تتميز بمجموعة سمات تمثلت في الغرابة والمجهولية والفجائية، ولعب الأسلوب دورًا بارزًا في تجسيد قيم بعينها مثل: الرومانسية والوفاء والفرق بين الواجب والحب.

قراءة في "فن الشعر" لهوراتيوس: النقد الأدبي

تمهيد.

إن بحث "فن الشعر" لهوراتيوس: النقد الأدبي للأستاذة الدكتورة فاطمة سالم - والذي نشرته جامعة الإسكندرية ضمن بحوث أخرى بمناسبة افتتاح مكتبة الإسكندرية في أكتوبر 2002م - يقع في إحدى وستين صفحة[1]، وقد سبق نشر البحث ذاته عام 1965م[2]. ويلزم التنويه إلى أن قراءتنا لهذا البحث تعتمد أساسًا على ما نشرته الجامعة بمناسبة افتتاح المكتبة.

والبحث محل القراءة، الذي نالت به فاطمة سالم درجة الأستاذية، ينقسم إلى قسمين، تعرض في أولهما - الواقع في ثلاثين صفحة - المراحل المختلفة التي بلورت النقد في تاريخه القديم ومهدت لظهور كتاب "فن الشعر" لهوراتيوس، مع تبيان إشكاليات هذا الكتاب من حيث تاريخ تأليفه وتسميته، وأهم موضوعاته، وما أثير حوله من نقد، فضلاً عن رأيها إزاء ذلك كله.

أما القسم الثاني من البحث ويحتل إحدى وثلاثين صفحة، فيحوي ما قامت به فاطمة سالم من ترجمة عربية للنص اللاتيني لفن الشعر لهوراتيوس.

وفي قراءتنا لهذا البحث، لمسنا ما يضمه من جوانب جمالية عبر الشروح المختلفة التي ذُيّل بها، الأمر الذي يجد معه القارئ: متخصصًا أو غير متخصص، وضوحًا في الفكرة ومتعة نقدية وأدبية.

وفيما يلي، ما أسفرت عنه القراءة من أفكار.

تعريف بهوراتيوس.

هوراتيوس (هوراس: Horace) شاعر روماني، عانى في بداية حياته من وضاعة حالته الاجتماعية[3]. وقد سار على نهج أبيه في النقد، حيث كان ينتقد الحياة بإبراز ما فيها من عيوب اجتماعية، عبر أمثلة حية، وقد لازمه هذا الأسلوب منذ طفولته حتى أصبح جزءًا من حياته،

1 - راجع: فاطمة سالم سيف. فن الشعر لهوراتيوس: النقد الأدبي، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، المجلد الأول (الإسكندرية عبر العصور)، 2002م، ص ص 175-235.

2 - راجع: مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية، المجلد التاسع عشر، 1965م، ص ص 139-192.

3 - راجع: فاطمة سالم سيف. فن الشعر لهوراتيوس...، مرجع سابق، ص 195.

فكثيرًا ما صرح بذلك مؤكدًا أن أباه هو "المدرس الأول له، والمقوم لأخلاقه، والحارس الأمين على عقليته"[4]. ومن المرجح أنه توفي قبيل عام 8 ق.م[5].

ولهوراتيوس بالإضافة إلى "فن الشعر" مجموعة من الهجائيات النقدية[6]. وله أيضًا كتابات نقدية صاغها في شكل رسائل وجهها إلى بعض أصدقائه [7]؛ منها رسالته إلى صديقه "فلوروس" الشاعر، مضمنًا إياها إشارات عن الشعر وكتابته، قائلاً: "إن موضوع كتابة الشعر الجديد، موضوع جاد، يتطلب ذوقًا وعناية في اختيار لغة مهذبة. وقد تبدو نتيجة هذا الاختيار سهلة، ولكن هذا السهل نتيجة عمل مضنٍ طويل"[8].

ومنها أيضًا رسالته إلى (أوغوسطوس) حيث ناقش فيها قضية تبجيل الرومان للأبطال بعد وفاتهم، وإن كانوا يبجلونه (هوراتيوس) في حياته، وهي حالة استثنائية، فمن عادتهم تقدير ما هو قديم في الأدب، وهو أمر - من وجهة نظر هوراتيوس - مجحف بكل ما هو معاصر، إذ يرى أن القدم ليس معيارًا للقيمة الفنية، فالذوق يتغير بتغير الزمان، وبمقدور الشاعر الحديث الإتيان بما لم يأتِ به القدماء[9].

" فن الشعر " لهوراتيوس.

قبل الخوض تفصيلاً في موضوعات فن الشعر لهوراتيوس، حرى بنا أن نعرض لما وجدناه في البحث من إشكاليات تتعلق بتاريخ تأليفه ونمط هذا التأليف وتسميته وصيغ الخطاب فيه.

فبصدد تاريخ التأليف، نلاحظ اختلاف الآراء اختلافًا بينًا [10]. فثمة رأي يرجحه في عام 8 ق.م أي في أخريات حياة هوراتيوس، وقد نشر قبل وفاته بقليل. ويرجع رأي آخر تاريخ التأليف إلى ما بعد عام 26 ق.م. بينما يذهب رأي ثالث إلى أن التأليف كان في عام 19 ق.م. هذا فضلاً عن آراء أخرى، منها رأي (أي كامبل) الذي يعتقد أنه كتب بين عامي23-20 ق.م.

أما عن نمط تأليف "فن الشعر"، فإن المتحمسين لهوراتيوس والمنصفين من النقاد يرون

4 - السابق. ص 196.

5 - راجع: السابق. ص188.

6 - راجع: السابق. ص 196.

7 - راجع: السابق. ص 194.

8 - السابق. ص 188.

9 - راجع: السابق. ص 187.

10 - راجع: السابق. ص 188.

أنه: "رسالة أهداها (هوراتيوس) إلى صديق له من آل بيزو، لينتفع بها، ربما ليحذره من كتابة شعر أو مسرحية تتفق وقوانين الدراما الساتورية الإغريقية، إذ إنها محاولة غير مجدية. وقد انتهز هوراتيوس هذه الفرصة لينتقد الكثير من المسائل الأدبية وليجمع الكثير من قواعد النقد والقوانين المعروفة حينئذ"[11].

وعلى النقيض من ذلك يذهب فريق آخر إلى أن "فن الشعر" قصيدة خضعت لوزن ونغم وتفعيلة وغير ذلك من شروط العروض، وأن هذه القصيدة يظهر عليها بعض التفكك، في حين ترى فاطمة سالم أن هذا التفكك ظاهري في كثير من المواضع، معللة ذلك بأن هوراتيوس في سرده قوانين وملاحظات تتصل بالشعر والشعراء أو في مناقشته رأيًا يتعلق بهما، يضطر إلى تقديم قانون أو تأخير آخر، وهما لا يمسان جوهر القصيدة. كما أن اتباع هوراتيوس أسلوب ضرب الأمثلة والصور الحية، قد يؤدي بالقارئ الذي يعوزه التركيز، إلى الشرود عن الفكرة وعدم الإلمام بتسلسلها، وإن كان هوراتيوس يتوقع من قارئه القدرة على استنباط العلاقات الباطنة والربط بين الصور الحية المتتابعة بروابط منطقية. وتضيف فاطمة سالم أنه مهما بلغ هوراتيوس من قوة في التعبير والترتيب، فليس بمقدوره - بوصفه شاعرًا - ترتيب أفكاره أو إرسالها على نحو ما يفعل الناثر بكلماته[12].

وفي سياق نمط تأليف "فن الشعر". ترى فاطمة سالم أنه رسالة من الناحية الشكلية، موضوعها قوانين الشعر والشعراء؛ وقضايا أدبية، عرضها هوراتيوس دون مقدمات، وهي قضايا أثارها النقاد قديمًا وحديثًا[13].

ويشكل منتصف هذه الرسالة استرسالاً من جانب هوراتيوس في سرد بعض الملاحظات الأدبية، أو تتبعًا تاريخيًا لأنواع الشعر وخصائصها وما يتعلق بها من أوزان ونغمات وكلمات وقوانين أو نظريات. وقد بدا بعض التفكك الظاهري أو الإهمال لطرق جذب انتباه القارئ، حال انتقال هوراتيوس من جزء إلى آخر، الأمر الذي يعسِّر انتقال القارئ من معنى لآخر، ومن ثم بدت الرسالة كما لو كانت أخبارًا يكتبها شخص لصديقه بتقديم جزء وتأخير آخر دون وضع الصلة بينهما في الاعتبار[14].

وحول تسمية "فن الشعر" تقول فاطمة سالم: إن هذا العمل عُرِف قديمًا باسم "رسالة إلى آل بيزو"، ولم يُخْلَع على هذه الرسالة اسم "فن الشعر" إلا "في عهد كونتليانوس، الذي أطلق عليها

11 - السابق. ص ص 190 - 191.

12 - راجع: السابق. ص ص 200 - 201.

13 - راجع: السابق. ص 197.

14 - راجع: السابق. ص 193.

هذه التسمية. ولهذه التسمية مغزاها من رجل له مركزه في البلاغة والنقد. فلا شك أن محتويات الرسالة، دفعت كونتليانوس إلى رفعها إلى مستوى البحث العلمي في فن الشعر، فنوه بهذه التسمية تمييزًا لها عن بقية أهجيات هوراتيوس ورسائله النقدية المعروفة"[15]. وتضيف فاطمة سالم أن "فن الشعر" يعد "تتمة لما بدأه هوراتيوس من إشارات ومحاولات للنقد، صاغها في رسالة كما صاغ آراءه الأخرى في رسائل وأهجيات من قبل، فهي لا تتميز من الناحية الشكلية أو المدلول عن بقية الرسائل في هذا الصدد، إلا أنها أكثر طولاً"[16].

أما بخصوص صيغ الخطاب في "فن الشعر"، فمن الملاحظ أن هوراتيوس قد بدأه بنداء وجهه إلى أصدقائه "آل بيزو". وهو النهج نفسه الذي اتبعه في رسائله الأخرى إلى أصدقائه أمثال "ميكناس" و "أوغسطوس" و "فالا"، وغيرهم من الأسماء المعروفة لقرائه[17]. وقد تكرر هذا النداء أربع مرات في مواضع متفرقة من رسالته الطويلة، حفاظًا على شكلها[18].

وتختلف آراء معاصري هوراتيوس حول "آل بيزو" الذين أهداهم مؤلفه "فن الشعر"، فقد وُجد في عصره أسرتان باسم "Piso" إحداهما أسرة لوكيوس كالبورنيوس بيزو "Lucius Calpurnius Piso" الذي ولد عام 48 ق.م، وعين قنصلاً عام 15 ق.م، والذي أنجب ولدين هما جايوس "Gaius"، ولوكيوس "Lucius". والأخرى أسرة جنايوس بيزو "Gnaius Piso". الذي كان له ابن واحد، أرسله الإمبراطور تيبريوس "Tiberius" إلى سوريا عام 17م.

كما ينقسم الشراح والعلماء إلى فريقين، فمنهم من يزعم أن المقصود بهذا الإهداء، الأسرة الأولى، ومنهم من يرى أنها الأسرة الثانية، ولكل فريق أدلته ومبرراته، وإن كانت لا ترقى إلى درجة اليقين [19].

ويرجح بورفيرون "Porpheron" الذي عاش في القرن الثالث الميلادي، في شرحه وتعليقه على "فن الشعر" أنه أُهدي إلى الأسرة الأولى، إذ كان لديها ولدان، عُرف عن أكبرهما اهتمامه بالأدب، في حين كان لعائل الأسرة الثانية ولد واحد يعمل بالسياسة. ومن غير المنطقي أن يهدي هوراتيوس مؤلفه إلى شخص لا يعنى بالتأليف ولا يعمل في مجال الأدب. وقد تم تعزيز هذا الرأي في العصور الحديثة عبر اكتشاف أجزاء محترقة من أوراق البردى، في منزل لوكيوس كالبورنيوس بيزو، تضم كتابًا عن الشعر للفيلسوف فيلوديموس "Philodemus" الذي يسر

15 - السابق. ص 194.

16 - السابق. الصفحة نفسها.

17 - راجع: السابق. ص 192.

18 - راجع: السابق. ص ص 195، 196.

19 - راجع: السابق. ص 191.

للمؤرخين التخيل بأن هوراتيوس كان ضمن نخبة أدبية تجتمع في مدرسة الحديقة في نابولي مع هذا الفيلسوف بمنزل لوكيوس بيزو "Lucius Piso"، وبرفقته مجموعة من الأدباء والشعراء[20].

وتواصلاً مع صيغ الخطاب، يرى علماء العصر الحديث أن "فن الشعر" نوع من أنواع "الإيسجوجية"، التي يعرفها "نوردن" بأنها "كتيب صغير لقوانين معدة للاستعمال، وضعت في قسمين، كل منهما يمت إلى الآخر بصلة، الأول هو الفن والثاني هو الفنان. وتكتب الإيسجوجية عامة إما في شكل أسئلة وأجوبة، القصد منها الإرشاد أو التعليم، أو في شكل حث (تشجيع) يلقن فيه خبير في فن أو علم، قوانين هذا الفن أو هذا العِلم، وتعاليمه، لتلميذه المبتدئ ليشجعه على دراسة علمية صحيحة"[21].

وتجدر الإشارة إلى أن "الإيسجوجية" تأثرت تأثرًا بالغًا بالبلاغة الرواقية (نسبة إلى الرواق) في مراحل تطورها وأقسامها. وتعد "الإيسجوجية" إحدى نماذج الانتقال من هذه البلاغة إلى فن بعينه أو علم تعالج فيه نظريات هذا الفن أو ذاك العِلم[22].

وعن علاقة "الإيسجوجية" بـ "فن الشعر"، تذهب فاطمة سالم إلى أنه ليس ثمة تطابق تام بينهما وفق تعريف "نوردن". فرغم توافر بعض خصائص "الإيسجوجية" في "فن الشعر" على النحو الذي أبرزه "فيسك" - من استعمال صيغة المُخَاطَب، والتعليم من خلال القدوة والأمثلة الشخصية، وإصرار هوراتيوس على الحديث عن مثله العليا بإلحاح تعليمي كما يتبدى من تكراره كلمة "Ego" (الأنا)، وتشديده على الدراسة أكثر من المواهب الطبيعية في ممارسة أي فن أو علم - [23] فإن هوراتيوس لم يتخذ من "الإيسجوجية" منهاجًا، ذلك أنه لم يجعل من نفسه "أستاذًا يسأل فيجيبه تلميذه الناشئ...، بل كتب رسالة إلى صديق تتصف ببعض مميزات الإيسجوجية وخصائصها وتخضع ...، لتقسيم واضح المعالم"[24].

وتبرهن فاطمة سالم على عدم وجود تطابق تام بين "الإيسجوجية" و "فن الشعر" بأن كتابات هوراتيوس، سواء في حديثه عن الشاعر والشعر وتاريخه وأنواعه أو في معالجته موضوعات كل نوع، تفتقد في شكلها إلى حوار الأستاذ وتلميذه والسيطرة العقلية، وإن كان يملي بها قوانينه على صديقه، ويعلمها للناس جميعًا، فقد كان يفعل ذلك كله في جو من الود والاحترام العميق، فلم

20 - راجع: السابق. ص ص 191 - 192.

21 - السابق. ص ص 188 - 189.

22 - راجع السابق. ص 189.

23 - راجع السابق. ص ص 194 - 195.

24 - السابق. ص 192.

يكن في مقدوره نسيان "مركزه الاجتماعي الوضيع...، ذلك المركز الذي لا يسمح له بمخاطبة آل بيزو، ذوي المكانة البارزة، بأسلوب المعلم، رغم الصداقة القائمة بينه وبينهم"[25]، وهو ما تبرزه صيغ الخطاب الموظفة في المواضع الأربعة[26] من رسالته، إذ استخدم في الموضعين الأول والثاني صيغة الجمع تأدبًا مع "آل بيزو" وتقديرًا لهم، واستخدم في الثالث صيغة النصح ناسبًا إياه لذاته، وفي الرابع صيغة الإفراد، ممزجًا إياها بالاحترام العميق.

ومع إقرار فاطمة سالم بوجود بعض خصائص "الإيسجوجية" في "فن الشعر" لهوراتيوس، بصدد تفضيل الأخير الدراسة على الموهبة الفطرية في ممارسة أي فن أو علم كما يرى "فيسك" معللاً ذلك بما انتهى به "فن الشعر" من لوحة رائعة لمصرع الشاعر الفيلسوف "أمبودوكليس" الذي ألقى بنفسه وهو هادئ الأعصاب في بركان يحترق - فإنها ترى أن مقارنة هذه النهاية بكثير من نهايات رسائل هوراتيوس وأهجياته، تفصح عن تشابه كبير بينها. وعادة ما تأتي هذه النهايات في شكل حوار أو وصف لاذع بهدف تعزيز فكرة أو رأي ناقشه هوراتيوس في ثنايا الأهجية أو الرسالة لإقناع القارئ بصورة تلقائية دون فرض أو إملاء. وتعتقد فاطمة سالم أن قصد هوراتيوس من ذلك، السخرية من أدعياء موهبة الشعر، الذين يزعمون أن شكل هذه الموهبة لا يكتمل إلا بإهمال شديد من جانب الشاعر لمظهره الخارجي، وباللجوء إلى العزلة حتى ينزل عليه الوحي. تلك العزلة التي تدفعه إلى التأمل والتحديق والشرود الذهني المفتعل إلى حد الوقوع في نهاية مأساوية محتومة. وهذه النهاية قد تكون ناجمة عن عدم وعي الشاعر حين يجن حقًا بموهبته ناسيًا ذاته، فيلقى حتفه، أو عن وعي كامل، حين يدفع نفسه إلى الموت دفعًا ليخلد اسمه[27].

تواصل فاطمة سالم مناقشة رأي "فيسك" في أن اللوحة المأساوية لموت "أمبودوكليس" لا تقف دليلاً على تفضيل هوراتيوس الدراسة على الموهبة، موضحة أن الغرض من "فن الشعر" لم يكن المتعة فحسب، بل النفع أيضًا، وحث الفنان شاعرًا كان أم غير شاعر على الإلمام بأصول فنه وقوانينه بالدراسة والتحصيل. وآية ذلك أن هوراتيوس، بتلك اللوحة المأساوية، يسخر من "الادعاء الذي يؤدي إلى الموت أو الموهبة التي قد تؤدي إلى الجنون والموت معًا، ويطلب من الشاعر الموهوب أن ينمي موهبته ويصقلها بالدرس والتحصيل والتمرين، فتأتي ثمارها شعرًا ناضجًا يبلغ درجة الكمال"[28].

25 - السابق. ص 195.

26 - راجع: السابق. ص ص 195 - 196.

27 - راجع: السابق. ص ص 193 - 194.

28 - السابق. ص 194.

وخلاصة القول أن هوراتيوس لم يقصد من وراء ذلك كله، تفضيل الدراسة على الموهبة لأهميتها، إذ يرى أن كلاً منهما "يتطلب عون الآخر ويتآلف معه في صداقة وود"[(29)].

النقد الأدبي قبل " فن الشعر ".

في مستهل تتبعها لمراحل النقد الأدبي قبل عصر هوراتيوس، محاولة الوقوف على تعريف محدد له يكشف ماهيته ووظيفته، تؤكد فاطمة سالم أن "الباحثين في النقد الأدبي، يختلف تعريفهم له اختلافًا يحدده تطور الثقافة واتساع المعرفة والبصر النافذ بالأساليب الأدبية على اختلاف ضروبها وألوانها"[(30)] وفيما يلي عرض لهذه المراحل التي تتمثل في العصر القديم، العصر المتأغرق، والعصر الروماني.

(أ) العصر القديم.

ليس لدينا تعريف للنقد فيما تركه نقاد هذا العصر من أعمال أدبية، عدا مجموعة النظريات المضمنة في بحوثهم ودراساتهم، تلك النظريات التي قد تحدد النقد الأدبي تحديدًا يبرز إحساسهم بالجمال وتقديرهم له، وتبين السبل التي تجعل النص الأدبي موضع تقدير بما يتركه في النفس من تأثير، وبما يثيره من عواطف مختلفة وأحاسيس متعددة. من ثم يتضح أن النقد الأدبي لدى نقاد العصر القديم لم يكن علمًا قائمًا بذاته أو فرعًا متميزًا من الدراسات، بل كان نتاجًا فرعيًا لعلوم تتصل بالحركة الفكرية كالفلسفة والبلاغة وعلم النحو وما إلى ذلك [(31)].

ويتمثل النقد الأدبي في العصر القديم في الإشارات العابرة الواردة في ثنايا أشعار "هوميروس" Homerus و "هسيودوس" Hesiodus، وكذا في الأحكام الأدبية الصادرة في الإنشاد والمباريات الغنائية التي كانت وسيلة فنية معترفًا بها في عصر "هسيودوس"، هذا فضلاً عن المناقشات السائدة آنذاك بصدد وظيفة الشعر وأهدافه متمثلة في المتعة كما يعتقد "هوميروس" أو في التعليم والنفع كما يرى "هسيودوس"[(32)].

وفي القرن السادس ق.م، تطور النقد "تطورًا يتجاوب مع تقدم الفكر اليوناني، فهو ثورة فكرية قام بها الفلاسفة الأيونيون (نسبة إلى إقليم أيونيا)، تزعمها الشاعر الفيلسوف كسيدوفانيس

29 - السابق. ص 231.

30 - السابق. ص 175.

31 - راجع: السابق. الصفحة نفسها.

32 - راجع:السابق. ص ص 175 - 176.

الكولوفوني ضد أساطير هوميروس التي تنسب إلى الآلهة والإلهات كل رذائل الإنسان، فهو لذلك ملحد ولابد أن يعاقب على إلحاده" [33]. وقد أسفر الصراع بين الفلسفة والشعر عن الرمزية التي حاول بها بعض الشعراء والفلاسفة التوفيق بينهما، وتفسير الأساطير استنادًا إلى معناها الباطني. فسهام الإله أبوللو، ترمز إلى أشعة الشمس، وعراك الآلهة إلى الصراع بين الخير والشر [34].

في القرن الخامس ق.م، ازدهر الأدب وتطور ليصل إلى ذروته عبر تدريس الشعر، بوصفه فنًا، ومن خلال أحاديث "بنداروس" عن قوانين الفن والترتيل وإصداره أحكامًا تتصل بالإلهام وبفن الشعر، فهو يرى أن الإلهام والموهبة الطبيعية يشكلان مصدرًا للشعر. وفي سبيل التقدم خطوة أخرى نحو ظهور النقد علمًا مستقلاً، انتقد شعراء الكوميديا في هذا القرن، التقاليد والسياسة والأدب والفن والدين، وقيموا ما أحاط بهم من مسائل عامة، وقام السوفسطائيون أمثال "جورجياس" بتدريس الخطابة والبلاغة [35].

أما البداية العلمية الحقيقية للنقد، فتحددها مسرحية "الضفادع"[36] للشاعر الكوميدي "أريستوفانيس"، ثم جاء دور أفلاطون البارز في تاريخ النقد بنظريته المثالية في الفلسفة بغية تفسير ظواهر الكون المختلفة. وبهذه النظرية الجديدة ومع تطور فن النثر، بدت ملامح "مرحلة جديدة في تاريخ النقد، فقد ظهرت في كتاباته (أي أفلاطون) لأول مرة مجموعة من القواعد الأساسية التي تحدد طبيعة الشعر ووظيفته، كما تتناول الفن وتكشف عن جوهره"[37].

وكان لتطور الأصول النقدية عند أفلاطون - بما تضمنته من تجاربه الفلسفية والنفسية التي زادتها عمقًا وأصالة - أثره البالغ على تلميذه "أرسطو"، إذ اعتمد عليها في كتابه "فن الشعر"، محاولاً فيه تحديد طبيعة الشعر ووظيفته الجمالية وأثره النفسي، ومضمنًا إياه أنواع الشعر كالمأساة والملهاة، مبرزًا أصولهما، وإن انصب تركيزه على المأساة، حيث عرض لجوانبها المختلفة. وهكذا يتبين أن النقد الأدبي حتى عصر أرسطو قد تولد من البيئة اليونانية بتجاربها الفلسفية والفنية [38].

33 - السابق. ص 176.

34 - راجع: السابق. الصفحة نفسها.

35 - راجع: السابق. الصفحة نفسها.

36 - للوقوف على تفاصيل هذه المسرحية، راجع السابق، ص ص 176 - 177.

37 - السابق. ص 177.

38 - راجع: السابق. الصفحة نفسها.

(ب) العصر المتأغرق.

أفضت هزيمة أثينا السياسية إلى افتقادها زعامتها الأدبية، فأصاب النشاط النقدي تغيير شامل فرضه الواقع الجديد، حيث عزف الشعراء والنقاد عن دراسة الأدب ونظرياته، وانتقلت مراكز الثقافة من أثينا إلى "برجامون" و "رودوس" و "الإسكندرية"، وهذا الانتقال يعد بداية العصر المتأغرق الذي لم يشتهر بنظرية أدبية هامة، نظرًا لضياع وثائقه، وإن أمكن جمع تاريخه من شتات كتب مفقودة أشار إليها كتاب ومؤرخون متأخرون من أمثال "سترابو" و "بلوتارك" وغيرهما، وكذا من أجزاء البردي المكتشفة حديثًا. هذا فضلاً عن عدم إنتاج هذا العصر نظريات أدبية جادة يمكن مقارنتها بنظريات القرن الرابع في أثينا، وكذا عدم إنتاجه فنًا أدبيًا يمكن مقارنته بنظيره في عصر "بركليس" أو عصر "هوميروس" [39].

بيد أن شهرة هذا العصر، تتجلى في الدراسات التاريخية الجادة، والفنون التشكيلية، والتكنولوجيا، والمذاهب الجمالية المبالغ فيها، والإبداعات الأدبية، والتقسيم المعرفي، حيث اتجه مفكرو هذا العصر إلى البحث العلمي وإلى تقييم فهارس مكتبة الإسكندرية، وإلى إثبات مذاهب فلسفية وأجناس أدبية بعينها، وإلى اكتشاف أنواع مجهولة من الأساطير. وبذا يعد العصر المتأغرق عصر ازدهار للنحاة والشراح واللغويين [40].

كما اشتهر العصر ذاته بنشر نصوص "هوميروس" ونقدها والنصوص المسرحية والشعر الغنائي. وقد مثل العصر المتأغرق صراعًا بين القديم والحديث. ورغم أنه يشكل غموضًا لدى العلماء، فإنه يمثل مرحلة تنطوي على نتائج هامة في تاريخ النقد [41].

وإبان هذا العصر، تزعم "كاليماخوس" مدرسة نقدية في الإسكندرية، حيث تميز بآرائه الأدبية التي تدعو الشعراء إلى ترك فن الملاحم والاتجاه إلى القصيدة القصيرة وتحثهم على عدم الإسراف في المحاكاة، وتدفعهم إلى صقل ما أنتجته قرائحهم حتى يتسم بالعمق والأصالة [42].

وبانتقال مؤلفات "أرسطو" إلى تلميذ له بعد عام 287 ق.م، حيث أخفاها في كهف، ظلت نصوصها مجهولة حتى عام 100 ق.م حين تم اكتشافها ونقلها إلى أثينا، لتظل بها حتى نقلها

39 - راجع: السابق. ص ص 177 - 178.

40 - راجع: السابق. ص 178.

41 - راجع: السابق. ص ص 178 - 179.

42 - راجع: السابق. ص 178.

الإمبراطور "سُلا" Sulla إلى روما عام 86 ق.م، حيث شرع المشاؤون - بطريقتهم الخاصة - في تقنين وتحديد النظام الذي أرسى أرسطو معالمه [43].

ويتبدى مدى تحول النقد إبان العصر المتأغرق في كتاب "فن الشعر" للمشائي "نيوبتوليموس" Neoptolemus، الذي ضمنه موضوع الشعر بطريقة منهجية، مقسمًا إياه إلى ثلاثة عناوين رئيسة هي: فن الشعر- القصيدة- الشاعر، عارضًا فيه الأدب عرضًا منظمًا، متناولاً أنواع الشعر القديم وخصائصه وأصوله، مناقشًا بعض القضايا الأدبية منها المفاضلة بين الفكر والأسلوب من حيث درجة أهميتها للشاعر، وما يرمي إليه الشاعر أو الأديب من تعليم أو إمتاع، وكذا الوسائل التي تعينهما على بلوغ الغاية من فنهما [44].

وقد أثبت "نيوبتوليموس" في كتابه "فن الشعر" كما أثبتت آراء الفيلسوف "فيلوديموس" الذي تأثر به أن "ما وصل إليه اليونان القدماء من فنون الشعر المختلفة، لن يخضع لتغيير جوهري أو تبديل، بل إنها نماذج ثابتة قوية، ينسج الأديب على منوالها، ويحتذى آثارها"[45].

وغنى عن البيان أن الملامح العامة للنقد الأدبي اليوناني، قد تركت بصماتها في النقد الأدبي العربي فيما بعد عند ترجمة بعض التراث اليوناني إلى اللغة العربية إبان العصر العباسي، حيث تأثر به الأدباء العرب وساروا على نهجه واهتدوا به في إصدار أحكامهم الأدبية والنقدية، ثم انتقل هذا التراث إلى الغرب ليتم إحياؤه من جديد[46].

(ج) العصر الروماني.

لم ينته النقد الأدبي، بوصفه فنًا له أصوله وقواعده مع نهاية العصر المتأغرق، بل شهد تطورًا ملحوظًا في العصر الروماني، فالرومان هم ورثة الحضارة الإغريقية وحفاظها، حيث اتجه النقد الأدبي، وجهة جديدة تمشيًا مع نوع الثقافة وطبيعة الحياة الأدبية والفكرية التي عاشها الرومان، الذين لم يعرف عنهم ميلهم للدراسات الفلسفية على النقيض من اليونانيين، وإن امتازوا بعقلية قانونية بإمكانها تشكيل أي موضوع بقواعد وأصول منضبطة، وبذا تسنى لهم تقنين النقد الأدبي في إنتاجهم الفني سالكين درب اليونان القدماء[47].

43 - راجع: السابق. ص 179.

44 - راجع: السابق. الصفحة نفسها.

45 - السابق. ص ص 179 - 180.

46 - راجع: السابق. ص 180.

47 - راجع: السابق. الصفحة نفسها.

ولامتزاج جميع مظاهر الحضارة الرومانية في هذا العصر بمثيلتها الإغريقية (اليونانية)، فقد عرف بالعصر الإغريقي الروماني، لاسيما بعد سيادة روما في البحر الأبيض المتوسط، واتصالها بالفكر اليوناني وحضارته وانتقال مراكز الثقافة الشهيرة في العصر المتأغرق إلى روما [48].

وقد تبنى حركة النقد في هذا العصر فلاسفة من أمثال "بنايتيوس" الذي ناقش قضايا أدبية ونحوية ولغوية. كما ساهم المؤرخون من أمثال "بوليبيوس" في بلورة النقد، وشاركهم في هذا الأمر كتاب المسرحية أمثال "ليفيوس أندرونيكوس" و "نايفيوس" و "بلوتوس" و "ترنتيوس" الذين حذوا حذو كتاب الكوميديا الإغريق في النقد الأدبي والاجتماعي والسياسي. وقد تميز "ترنتيوس" بنقده الأساليب الجوفاء وبثورته على الترجمة الحرفية للكوميديا الإغريقية، التي أسفرت عنها غموض النصوص المسرحية، كما قام بتطوير الكوميديا تطويرًا لم يشهده الرومان من قبل، واستطاع - بوصفه شاعرًا من شعراء الكوميديا المجددين فيها - وضع ما يشبه نظرية متكاملة في النقد الأدبي، تكشف القواعد والأحكام المتصلة بمسرحياته الكوميدية[49].

ولما كان النظام الجمهوري في روما، لا يسمح بالنقد السياسي، الأمر الذي عرّض بعض كتاب المسرحية للنفي، فإنهم تحايلوا على الوضع باللجوء لعروض (الباليانا)، تعبيرًا عن آرائهم وتحقيقًا لأهدافهم[50].

واستطرادًا مع ازدهار النقد إبان العصر الروماني، ينبغي ذكر دور الخطيب الروماني المفوه "شيشرون"[51] Cicero، إذ كان النقد في هذه الحقبة التاريخية وطيد الصلة بفن الخطابة، وقد ترك "شيشرون"، بوصفه خطيبًا بارعًا، بحوثًا شتى في هذا الفن، معالجًا أصوله، متفننًا فيها، ومضيفًا إليها، لاسيما أنه لم يكن مقتنعًا بقواعد الخطابة المدرسية الجافة، ومن ثم اتجه إلى دراسة كتابات الرواد الإغريق من أمثال "أفلاطون" و "أرسطو" و "ثيوفراستوس" وغيرهم من الفلاسفة والخطباء، مقتفيًا آثارهم، وإن حاول التجديد والتبسيط، متبعًا القواعد ومحددًا الأصول، التي تكفل للخطيب براعته وقدرته على جذب الجماهير.

وبما أن الخطابة وسيلة فريدة لإبراز مظاهر النشاط الفكري، فقد بيّن "شيشرون" أن الفرق بين الإنسان والحيوان، يكمن في لغة الكلام والقدرة على الإقناع، وهي قدرة وفرت للإنسان حياة أفضل تعززها القوانين وتحميها الشرائع.

48 - راجع: السابق. ص 181.

49 - راجع: السابق. الصفحة نفسها.

50 - راجع: السابق. الصفحة نفسها.

51 - راجع: السابق. ص ص 181 - 183.

وفي ظل الاهتمام بأصول الخطابة وقواعدها، ربط "شيشرون" بين جمال الأسلوب ووضوح الفكرة، إذ رأى أن الفصاحة ثمرة الصلة بينهما، وأن الفكرة ينبغي أن تسبق الكلام من حيث ترتيبها والتأمل في مضمونها، مؤكدًا أن نجاح الخطيب يرتكز على مدى إدراكه لطبيعة النفس البشرية ومعرفة ميولها ورغباتها حتى تتسق لغة الخطيب مع مشاعر الناس، فينجح في إثارة أحاسيسهم وإيقاظ حماسهم وانفعالهم بقوله واستجابتهم له، ومن ثم حصر "شيشرون" مهمة الخطيب في: الإمتاع والتعليم والإثارة.

ومن شروط نجاح الخطيب وبراعته - على حد قول شيشرون - توافر الملكة أو الموهبة الطبيعة التي يمكن صقلها وتهذيبها بالممارسة والتدريب والدراسة. وقد تأثر "شيشرون" في هذا بأفلاطون وغيره من فلاسفة اليونان. ليس هذا فحسب، بل إنه تطرق إلى سلوك الخطيب، وما ينبغي أن يتحلى به من نزاهة وبراعة. وقد هدف شيشرون من وراء ذلك كله إلى تهيئة الظروف والسبل التي تمكن الخطيب من بلوغ القمة في فنه، وصولاً إلى الجانب المثالي من الخطابة.

من هذا المنطلق، تبوأ "شيشرون" مركزًا مرموقًا في مجال النقد الأدبي عامة والنقد الأدبي الروماني خاصة، فضلاً عن أنه كان من أكبر المشجعين على دراسة الأدب اليوناني القديم قبل العصر المتأغرق، مما أوجد دعوة جديدة لإحياء هذا التراث ومحاكاته والتأثر به لما يتسم به من أصاله وعبقرية لم تتوفر لغيره من العصور التالية.

أعقب عصر الخطابة والنثر الشيشروني، عصر الشعر إبان عهد الإمبراطور "أوغسطوس"، حيث شهدت روما عصرًا لم تشهده في تاريخ أدبها القديم، إذ "تبلور الأدب واكتمل وتفرع وبلغ الذروة وقمة المجد في فروعه المختلفة، شعرًا ونثرًا ... وفي مجال النقد نجد حركة ونشاطًا لم يسبق لهما مثيل؛ فنقاد هذا العصر ... لم يتركوا فرعًا من فروع الأدب، إلا نقدوه وقيموه وفقًا لتقديرهم"[52].

وفي سياق تتبع تشكيل حركة النقد في العصر الروماني، ينبغي ذكر ما قام به "مايكيناس" من دور بارز ساهم في ازدهارها، إذ ضم في حلقته الدراسية الشهيرة أصحاب المواهب من شعراء وكتاب، موجهًا إياهم في اختيار مادة الكتابة وفي صقل الأساليب وغيرها من وسائل تمكنهم من أداء رسالتهم على الوجه الأكمل[53].

52 - السابق. ص 183.

53 - راجع: السابق. ص ص 183 - 184.

موضوعات "فن الشعر" لهوراتيوس.

جدير بالذكر أن النقد في العصر الروماني لم يأخذ شكله العلمي، إلا بظهور هوراتيوس في مجال الأدب، فمهد لهذا الشكل العلمي بإشارات في أهجياته ورسائله، معالجًا بعض القوانين والقضايا الأدبية المختلفة، ثم جمع آراءه المتفرقة في مؤلَف خاص هو "فن الشعر" الذي "يعتبر المؤلَف الروماني الوحيد في عالم النقد الروماني"[54].

وتنقسم موضوعات هذا المؤلَف إلى أقسام واضحة المعالم على نحو ما تذهب فاطمة سالم. فالأول منها يتناول تأليف الشعر وموضوعاته والخصائص العامة للقصيدة وروابطها. ويعرض الثاني للأنواع الأدبية المختلفة من حيث تاريخها وقوانينها، فضلاً عن شكل القصيدة. أما الثالث فيتحدث عن بعض نكات (نوادر) الشعراء، ويقدم نصائح فيما ينبغي وما لا ينبغي للشاعر أن يفعله، ويمثل مزيجًا لمجموعة آراء عن الشعراء[55].

وحتى تتضح ملامح هذه الموضوعات بالنسبة للقارئ، نرى أنه من الأمثل وضعها بين يديه على ضوء قراءتنا للنص المترجم لـ "فن الشعر".

فهوراتيوس يعالج مجموعة من القضايا الأدبية العامة من خلال أنماط أدبية كالشعر والمسرحية. وهو يضرب في ذلك الأمثال الحية التي توضح أفكاره.

من هذه القضايا الأدبية العامة، ما يطرحه هوراتيوس من ضرورة التوافق بين الإبداع وطاقات المبدع، ومن ثم ينصح بقوله: "يا أيها الكُتاب، اختاروا موضوعًا معادلاً لقوتكم، ونقبوا طويلاً فيما تستطيع أكتافكم أن تتحمله أو تنوء به. فَمَنْ يختر موضوعًا في حدود طاقته، فلن تعوزه خصوبة التعبير أو وضوح الترتيب"[56].

ويعزز هوراتيوس وجهة نظره، بمثال حي عن الصانع الرديء القابع بالقرب من مدرسة "أيميليوس"، محاولاً تشكيل أظافر من البرن (*)، وتقليد جدائل ناعمة، إلا أن المحصلة النهائية لعمله غير موفقة، لأنه لا يعرف كيف يصنع شيئًا كليًا، نظرًا لافتقاره لمقومات هذا العمل متمثلة في مهارة التشكيل ووسائل الجذب[57].

54 - السابق، ص 188.

55 - راجع: السابق، ص 200.

56 - السابق، ص 209.

(*) لم يوضح النص المقصود من لفظة (البرن)، كما لم يُشكلها من ثم استعصى علينا تحديد معناها.

57 - راجع: السابق، الصفحة نفسها.

يتطرق هوراتيوس إلى قضية حرية الإبداع، مبيحًا لها، شريطة ألا تقترن بالفوضى. ومن ثم يقول: "نحن نعرف هذا الحق، ونطلب هذه الحرية، ونمنحها بدورنا لغيرنا، ولكن على ألا تستعمل بالدرجة التي تمزج في تصويرنا الوحوش الكاسرة والحيوانات المستأنسة أو بالدرجة التي نجعل فيها الثعابين تتآلف مع الطيور، والأحمال(**) مع النمور"[58]. وهكذا يتبين أن هوراتيوس، وإن كان يقر الخيال باعتباره أحد مقومات الفن، إلا أنه يشدد على ألا يكون شبيهًا بأحلام المريض. فحرية الخيال حق مكتسب للرسام وللشاعر، ولكن يجب مراعاة الدقة والاعتدال في استخدام هذا الحق. فتصوير الفنان للطبيعة، ينبغي أن يتميز بالانسجام، كما ينبغي على الشاعر اختيار الموضوعات الملائمة لقدرته الفنية، ذلك أن محاولته نظم قصيدة متكاملة، قد توقعه في أخطاء، كالغموض الذي يتولد عن الإيجاز، والاستطراد الذي ينجم عن الإسهاب[59]. وباختصار، فإن للفنان حرية القيام بأي عمل يشاء، بشرط أن يكون بسيطًا ومتكاملاً.

يجيز هوراتيوس المحاكاة في الفن، شريطة اقترانها بالإضافة، ومن ثم يقول: "إني لآمر المقلِّد الذي أرشدته المعرفة، وحنكته التجارب، أن يهيء لنفسه نموذجًا من الحياة والعادات، يستقى منه عبارات حية" [60]. ويرى هوراتيوس أن الذكاء الذي تعضده المعرفة وتثريه التجربة، معين الكتابة ومصدرها، مدللاً أن آراء سقراط يمكن أن توفر للكاتب مادته، ومن ثم تأتي الكلمات التي تيسر له التعبير - مثلاً - عن حب الوطن والأسرة والأصدقاء والضيوف...إلخ، وكذا معرفة كيف يضفي على الشخصيات - كالقاضي والقائد العسكري وعضو السناتو...إلخ - ما يناسبها من أقوال[61].

إن هوراتيوس يبيح الاعتداد بالأعمال الجليلة، بيد أنه يحذر من الانخراط فيه دون فطنة؛ إذ بدونها قد ينتج المرء كلمات جوفاء، وقد يصبح غامضًا إذا حاول الإيجاز، وقد تخونه الروح والروابط إذا حاول صقل عمله. وينبغي ألا يُفهم من هذا التحذير، التخويف من ولوج العمل الفني، ذلك أن "مَنْ يحذر الإعصار ويخاف منه خوفًا شديدًا، يزحف على الأرض، ومَنْ يريد أن ينوع الموضوع الواحد، بطريقة خارقة، (يصبح كَمَنْ) يرسم الدولفين في الغابة والخنزير المتوحش فوق الأمواج"[62]. وفحوى ذلك أن المرء إذا كان يعوزه الفن، فإنه قد يقع في رذيلة من الرذائل، حال تجنبه خطأ من الأخطاء.

(**) لاحظ أن كلمة (حَمَل) تجمع على (حملان) لا (أحمال) كما وردت في الاقتباس.

58 - السابق. ص 208.

59 - راجع: السابق. ص ص 197 - 198.

60 - السابق. ص 226.

61 - راجع: السابق. الصفحة نفسها.

62 - السابق. ص 208.

وبصدد إعادة صياغة موضوعات قد تم تناولها من قبل، يوجه هوراتيوس الكاتب إلى التريث، إذ يصعب عليه معالجة مادة شائعة بين الكتاب، بأسلوبه الخاص، ويضرب هوراتيوس قصيدة طروادة (المعروفة) مثالاً لذلك: فخير للكاتب حين تناولها بالشرح والتحليل أن يقسمها إلى فصول، من أن يأتي بشيء مجهول لم يتعارف عليه الناس. وتصبح المادة الشائعة حقًّا مكتسبًا، ما لم يكن الكاتب أسير أفكار الآخرين، وما لم يلتزم بالترجمة الحرفية وما لم يصبح عبدًا للتقليد والمحاكاة دون إضافة فنية [63].

وعليه فإن الكاتب في هذه الحالة - كما يقول هوراتيوس - "لا يفكر في إعطاء دخان من الوميض الخاطف، بل يفكر في إعطاء ضوء من الداخل لكي يؤلف من هذا أشياء خلابة"[64].

وجدير بالذكر أن هوراتيوس، في تناوله لفكرة إعادة صياغة الموضوعات الشائعة، قد أشار إلى أسماء أساطير مختلفة مثل "أنتفاتيس" و "سكيلا" و "خاريبديس" وغيرها. ولتعريف القارئ بمضمون هذه الأساطير، قامت فاطمة سالم بإعطاء موجزٍ لكل منها مستعينة في ذلك بعدة مصادر متخصصة مما تولد عنه وضوح الفكرة وجمالها [65].

ولم يفت هوراتيوس الإشارة إلى مسألة توالد الكلمات عبر الأزمنة، إذ يصرح بأن "الكلمات كورق الشجر في الغابات، فكما تسقط الأوراق التي تذبل أولاً قبل غيرها، كلما تقرب السنة من الأفول، كذلك الكلمات، فإن أقدمها عمرًا يزول، وتزهو وتقوى الكلمات الحديثة الولادة على نمط صغار البشر"[66]. ويعضد رأيه بأن الموت قدر الأشياء، وكل الأشياء في سبيلها إلى الفناء، مبينًا أن "مجد الكلام وبريقه أقل مظاهر الحياة صمودًا، يولد من جديد الكثير من الكلمات التي سقطت من الاستعمال، ويسقط الكثير من الكلمات التي تعيش الآن محاطة بإكليل من العزة والمجد، إذا أراد الاستعمال لها هذا، فالاستعمال هو الحكم والحق المسيطر على الكلام وناموسه الأول والأخير" [67].

وغنى عن البيان أن هوراتيوس، بتناوله توظيف الكلمات فيما أسماه الاستعمال، إنما يشير ضمنًا إلى السياق وأهميته في العمل الأدبي، إذ به يتسنى للكاتب جعل الشيء المألوف جديدًا

63 - راجع: السابق. ص 215.

64 - السابق. الصفحة نفسها.

65 - راجع: السابق. ص 216 الهوامش أرقام 1 - 6. وراجع أيضًا هوامش أخرى في مواضع متفرقة.

66 - السابق. ص 210.

67 - السابق. ص ص 210 - 211.

وهو ما يقره هوراتيوس بقوله: "ما أعظم الأثر الذي يحدثه تسلسل الكلمات وقوتها، وما أجل الشرف الذي تضفيه الصياغة على ما اختاره المرء من الواقع المألوف"[68].

ينتقل هوراتيوس إلى قضية أدبية أخرى ألا وهي وضع المبدع الناقد نصب عينيه، ومن ثم يقول موجهًا "إذا كتبت شيئًا يومًا ما، فلينفذ أولاً إلى آذان ماكيوس الناقد" [69]. ذلك أن ما تم نشره من المحال تدميره، شأنه في ذلك شأن الصوت الصادر عن صاحبه فلا يعرف العودة. فضلاً عن أن الناس وبائعي الكتب في غنى عن إنتاج أنصاف المبدعين، كمثل المأدبة اللطيفة التي يمكن إتمامها دون عناصر غذائية تسيء إليها. ورغم اعتراف هوراتيوس بأن التأليف المتوسط له قيمته، فإنه يرى أنها قيمة محدودة، ضاربًا في ذلك مثلاً، بالمحامي أو رجل القانون من الدرجة الثانية الذي لا يضارع "ميسالا" - الخطيب البليغ في مجال السياسة - في قدرته وجدارته وتفوقه، ولا يبلغ مكانة "أولوس كاسكيليوس" رجل القانون الضليع[70].

من ثم، يشدد هوراتيوس على وجوب وعي الكاتب بقدراته الإبداعية. فرغم أن التأليف، عملية حرة، يتحكم فيها عقل المبدع وتفكيره، فإن المؤلف ينبغي ألا يعرِّض نفسه للسخرية، وبذا يصبح كمثل مَنْ لا يعرف كيفية ممارسة الرياضة، في ساحة "مارس" - إله الحرب - لجهله باستعمال الكرة أو الطوق أو الحلقة، ولكي لا يكون عرضة للوم أو التقريع أو الضحك من قبل الحلقة المكتظة، عليه أن يقبع في هدوء[71].

يتطرق هوراتيوس إلى نوعية الجمهور أو المتلقي الذي ينبغي أن ينتج له المبدع، محذرًا إياه من المنتفعين، بقوله: "إذا كنت قد أعطيت فعلاً أو نويت أن تعطي لشخص ما هدية، فلا تجره وراءك وهو في غمرة فرحته، ليستمع إلى ما نظمت من شعر، فسوف ينادي بأعلى صوته: جميل، حسن، متقن، وسيُشْحَب لونه شُحوبًا، يفوق الوصف تأثرًا به (أي بما نظمت من شعر)، وقد تصل به الدرجة إلى أن يستجدي قطرات الدمع من عينيه الودودتين، ويرقص ويضرب الأرض بقدميه كالنادبات المأجورات في تشييع جنازة، يقلن ويفعلن أكثر مِمَنْ يحزن من قلبه. وعلى هذا النحو يبدي المتملق الساخر تأثرًا يفوق المعجب الحقيقي"[72].

68 - السابق. ص 222.

69 - السابق. ص 230.

70 - راجع: السابق. ص ص 229 - 230.

71 - راجع السابق. ص 230.

72 - السابق. ص 232.

وفي إطار التخصيص، يركز هوراتيوس على الشعر والشعراء، مستبعدًا اقتران الموهبة بإهمال الشاعر هيئته الخارجية، بعدم تقليم أظافره أو قص لحيته وعدم الاغتسال، وبالانعزالية، إلى حد الجنون الذي يستعصى معه الشفاء حتى بواسطة الأعشاب (الثلاثة)[*] التي تنتجها بلدة "أنتيكور" الواقعة على خليج "كورنثة".

إذن، خروج الشاعر عن المظهر المألوف، والمغالاة في ذلك، يعد ضربًا من السخف العقلي، فالقيمة الحقيقية، تكمن في موهبته التي يستطيع بها تعليم الآخرين كيفية تأليف الشعر، والوقوف على مصادره، وما يثري الشاعر ويصقله، حتى يتسنى له التفرقة بين ما يليق به وما لا يليق، والتمييز بين الفضيلة والرذيلة، والإلمام بوظيفة الشعر وأهدافه [73].

يفرق هوراتيوس بين نوعين من الخطأ الفني. فهناك خطأ يغتفر. وآخر لا يغتفر. الأول ناجم عن طبيعة العمل الفني أو ضخامته، مشبهًا إياه بالوتر الذي "لا يؤدي النغم الذي تريده يد العازف أو عقله، فكثيرًا ما ينتج نغمًا حادًا، حين يطلب منه نغمًا ثقيلاً... (كذلك) القصيدة التي يُشْرِق العدد الأكبر من أجزائها، لا تؤذيني قَطعًا، بقع قليلة، نتجت عن إهمال أو عجزت الطبيعة بعض الشيء عن تجنبها"[74].

أما الخطأ الآخر الذي لا يغتفر، فيشبهه هوراتيوس بناسخ الكتب الذي يرتكب دائمًا خطأً معينًا رغم التحذير منه، شأنه شأن عازف القيثارة الذي يخطئ الوتر نفسه، فيثير ضحك الناس. كذلك الشاعر الذي يخطئ كثيرًا نتيجة إهماله، فيتعجب منه الناس حال إجادته بيتًا أو بيتين، ويمثله هوراتيوس بالشاعر الرديء "كوثيريلوس"، على عكس ما يشعر به المرء من ألم، حين يصدر خطأ عفوي (غفوة في نظر هوراتيوس) من شاعر فذ يجيد التأليف مثل "هوميروس"، وإن كان من المتوقع أن تتسلل الغفوة في عمل فني طويـل[75].

وفي معرض الحديث عن الخطأ، يذهب هوراتيوس إلى أن الرومان قد منحوا للشاعر حريةً وغضوا الطرف عن أخطائه بصورة غير لائقة، مما جعله في حيرة من أمره؛ فإما أن يقدم على

(*) لاحظ أن فاطمة سالم أشارت - في ترجمتها للنص - إلى أن العدد ثلاثة ليس له مفهوم (راجع ص 225، هامش رقم 5)، في حين أن هذا العدد له مدلوله في السياق، إذ يشير إلى التطبيب ثلاثًا بواسطة الأعشاب. فالعدد ثلاثة، يدل على تأكيد تجربة العلاج واكتمالها. استنادًا إلى مدلول العدد في كثير من الآداب الشعبية منها المثل الشعبي :(الثالثة ثابتة) ، ومنها تكرار الفعل ثلاث مرات في الحكايات الخرافية والشعبية والتوصية بالدعاء ثلاث في المعتقدات الدينية.

73 - راجع: السابق. ص ص 225 - 226.

74 - السابق. ص 228.

75 - راجع: السابق. ص ص 228 - 229.

الخطأ، حال نظمه للشعر، مؤملاً في تغاضي النقاد عن أخطائه، وبذا يسلم من اللوم، أو أن يحجم عن الخطأ. ويرى هوراتيوس أن الشاعر لا يستحق الثناء حتى وإن سلم من اللوم [76].

ومن السبل التي يراها هوراتيوس كفيلة بتجنيب الشاعر الأخطاء، الاهتمام بموضوع القصيدة وصقلها. فلو أن كل شاعر اهتم بصقل عمله، لتفوقت روما في مجال الأدب كما تفوقت في الحرب، ومن ثم يناشد الرومان قائلاً: "أدينوا أية قصيدة لم تخضعها الأيام العديدة للتنقيح الشديد، وتعرضها عشرات المرات لاختبار دقيق كاختبار النحات بآلته، لتكشف النتوء الشاذ فوق المرمر الذي يشكله"[77]، معضدًا ذلك بقوله: "القصيدة مثل الصورة. ستجد تلك التي تأخذ بلبك، كلما ازددت قربًا منها، وأخرى (تأخذ بلبك أيضًا)، كلما ابتعدت عنها، هذه تحب الظلام، وتلك التي لا تخشى عين الناقد النفاذة وفهمه الحاد تحب أن تُرى في الضوء، هذه تسرك مرة واحدة، وتلك تسرك، مهما رجعت إليها، عشرات المرات"[78].

يستطرد هوراتيوس، مبينًا سمات الشاعر الجيد بقوله: "الشاعر الأمين الفطن، ينقد الأبيات التي لا حياة فيها، ويخطئ الغليظة منها، ويضع علامة سوداء بحد قلمه الثقيل أمام غير المصقولة منها، ويتخلص من المزينات التي ترمى للتأثير فقط، ويرغم نفسه لإيضاح ما قل وضوحه، يدين القول الذي يلتبس فهمه، ويعمل على ما يجب تغييره"[79].

وهذا النوع من الشعراء، لا يخشى النقد. وإذا ابتكر أو نظم قصيدة، فإنه لا يفعل ذلك "لإرضاء النفوس"، كما لا ينخدع البتة بـ "النفوس التي تخفي وراءها مكر الثعالب"، ويعرف جيدًا التمييز بين "الصاحب الحقيقي والمتملق"[80].

ثم يعرض هوراتيوس لأهمية صدق التجربة الشعرية، فمن رأيه أن القصائد لا تكفي أن تكون جميلة، بل ينبغي أن تكون عذبة، مثيرة لمشاعر السامع، محركة لروحه، وبمعنى أدق ينبغي أن يعيش الشاعر التجربة الشعرية موضوع القصيدة، حتى يتسنى له التأثير في المتلقي ترحًا وفرحًا، معللاً ذلك بقوله: "لقد شكلتنا الطبيعة أولاً من الداخل، لنواجه أي مظهر من مظاهر الحياة، فهي تفرحنا وتدفعنا إلى الغضب، أو تُحني رؤوسنا إلى الأرض وتعذبنا بسبب حزن ثقيل،

76 - راجع: السابق. ص ص 223 – 224.

77 - السابق. ص 225.

78 - السابق. ص 229.

79 - السابق. ص 233.

80 - راجع في هذا الصدد: السابق. ص ص 230، 233، 232 كما وردت الصفحات على التوالي.

ثم تظهر انفعالات النفس، متخذة من اللسان مترجمًا لها"[81]. فالكلمات التي لا تتفق مع حالة الانفعالات الظاهرة، تثير الضحك.

يتطرق هوراتيوس إلى دور الكلمة وعلاقتها بموضوع القصيدة، مبينًا ضرورة ملاءمة الكلمة للموقف. فإذا كان هدف الشاعر تعليم شيء ما، فلتكن كلماته سريعة موجزة، حتى تعيها العقول، فخير الكلام ما قل ودل. وإذا كان هدفه الإمتاع من خلال الابتكار، فليكن هذا الابتكار قريبًا من الحقيقة حتى يكون مقنعًا[82].

يؤكد هوراتيوس دور الناقد الموضوعي، معززًا ذلك، بإصراره على نقد "لوكيليوس" رغم إعجابه الشديد به واتخاذه مثلاً يحتذى، فضلاً عن كونه جزءًا من التراث الروماني القديم، مؤثرًا استنكار الناس له على أن يتسامح عن أخطائه؛ إذ بالتسامح عن أخطاء "لوكيليوس" تعد هزليات "لايبريوس" شعرًا ممتازًا. وعليه ينبغي على الشاعر - أي شاعر -، حين يطلب منه نقد قصيدة ما، أن يكون موضوعيًا مثل "أرستارخوس"، ولا يحدث نفسه، كما يفعل البعض، قائلاً: "لِمَ أجرح صديقًا في توافه؟"، وهذه التوافه يراها هوراتيوس تقود الشاعر إلى ضرر جسيم[83].

فالنقد عند هوراتيوس أمر حيوي بالنسبة لعمل الشاعر، ولا يتجنبه إلا شاعر مجنون، يخشى العقلاء لمسه أو الاقتراب منه[84].

يذهب هوراتيوس إلى أن الشعر أنواع، ولكل نوع مخترعه وتاريخه، وأن الشعراء الرومان عالجوا جميع الموضوعات الشعرية، دون اقتفاء أثر الإغريق، حال الاحتفاء بالأحداث الرومانية، ولهم في ذلك كله، تاريخ مجيد، وموقف مشرف يستحق التقدير[85].

ومع ذلك، يرى هوراتيوس أن تنوع موضوعات الشعر الروماني، ليس دليلاً على النجاح المطلق، ومن ثم يطالب بقراءة النماذج الإغريقية ليلاً ونهارًا للاقتداء بها[86].

وفي معرض حديثه عن موضوعات الشعر، تطرق هوراتيوس إلى الهجاء، ذاهبًا إلى أنه "في حاجة إلى الاختصار، حتى لا يمل السامع، وحتى تجري الفكرة دون عائق، والهجّاء في حاجة

81 - السابق. ص 213.

82 - راجع: السابق. ص ص 227 – 228.

83 - راجع: السابق. ص 233.

84 - راجع: السابق. ص ص 233 – 234.

85 - راجع: السابق. ص 225.

86 - راجع: السابق. ص ص 223 – 224.

إلى أسلوب يتراوح بين الجد والمرح، والهجّاء خطيب أحيانًا، وشاعر أحيانًا أخرى، وهو في حاجة إلى الصَقْل والضحك والسخرية. والسخرية المصقولة لها قدرة في التأثير عن الجهد، فبهذه السخرية نجح شعراء الملهاة ويجب أن يقلدهم الهُجّاء"[87].

تناول هوراتيوس أيضًا الأوزان الشعرية ومخترعها، وموضع استخدام كل منها. فالبحر السداسي التفعيلة يستخدم للقصص ومخترعه هو "هوميروس"، والأيامب للهجاء ومخترعه هو "أرخيلوخوس"، وقد استخدم بعد ذلك في التراجيديا والكوميديا، والشعر الغنائي لقصص الآلهة. بيد أن هناك أوزانًا لا نعرف مخترعها، مثل الإيلجية التي تعبر عن الشكوى[88].

وبعد معالجته موضوع الشعر والشعراء، ومايمت له بصلة، ينتقل هوراتيوس إلى فن الساتورا، (فن ينطوي على التهكم والسخرية)، مبينًا أنه لو شرع في كتابة الساتورا، فسوف يتجنب الأسماء والكلمات غير المنمقة، الشائعة السائدة، محاولاً عدم الابتعاد عن اللون التراجيدي، تحاشيًا للإسفاف، والتنافر، إذ يرى أن البون شاسع بين الجمال والقبح، ضاربًا المثل بالتيوس المجلوبة من الغابات ونظيرتها المولودة في مفترق الطرق. فالأولى جديرة بالمحافظة والصون، في حين أن الثانية شائعة كمتشردي الأسواق (الفورم). كذلك لا ينبغي أن تتضمن أدوار الشباب - بأشعارها الرقيقة - كلمات بذيئة تجرح ذوق الفرسان والشيوخ والأغنياء الذين لن يتلقوها بالرضا والاستحسان، على النقيض من العوام "مشتري الفول المحمص أو البندق"[89].

وبالانتقال إلى جنس المسرحية، يركز هوراتيوس على مجموعة عناصر، منها: أقسام المسرحية - الأحداث - الحوار - العقدة - الموسيقى. ثم ينتقل بعد ذلك إلى أمور أخرى تمت لهذه العناصر بصلة.

بصدد أقسام المسرحية، يناشد هوراتيوس الشاعر الذي يريد أن تعرض مسرحيته ثانية، أن يؤلفها من خمسة فصول دون زيادة أو نقصان[90].

وجدير بالذكر أن أحداث المسرحية إما أن تروى أو تمثل، ويحبذ هوراتيوس النمط الأخير، ذلك أن "ما يصل إلى عقولنا عن طريق السمع، أقل تأثيرًا على المشاعر مما يطرح تحت الأبصار"[91]، شريطة ألا يكون ما يمثل، بغيضًا لدى المشاهد، كقتل "ميديا" - مثلاً - أولادها

87 - السابق. ص ص 185 - 186.

88 - راجع: السابق. ص 198.

89 - راجع: السابق. ص ص 222 - 223.

90 - راجع: السابق. ص 219.

91 - السابق. ص 218.

على خشبة المسرح، أو طهي "أتريوس" الشنيع لحمًا آدميًا أمام الجمهور، فما يعرض بهذا الأسلوب، ممقوت ولا مجال لتصديقه[92].

أما الحوار، فينبغي ألا يشترك فيه أكثر من ثلاث شخصيات. ويجب على المجموعة (الكورس) أن تؤيد الأهداف السامية التي ترمى إليها المسرحية، وعليها أن تدافع عن "دور الممثل وواجبه الممتلئ بالرجولة، وعليها ألا تغني بين فصول المسرحية إلا ما ينفع تخطيط المسرحية وهدفها، وما ينسجم مع هذا التخطيط والهدف. وعلى المجموعة أن تتحيز للأخيار، وتنصح بود وتقمع الغاضبين وتحب الذين يخافون المعصية ولتمتدح وجبات المائدة المتواضعة والعدالة والقانون والسلام بأبوابه المفتوحة، ولتكتم الأسرار التي عهدت إليها، ولتصل للآلهة وتتوسل أن يعود الحظ للتعساء، ويبعد عن المتعالين"[93].

ويلفت هوراتيوس انتباه كاتب المسرحية إلى ضرورة ملاءمة الدور بحواراته المختلفة لطبيعة الشخصية المؤدية لهذا الدور وخصائصها. فثمة "اختلاف كبير بين أن يتكلم عبد أو بطل، وبين أن يتكلم شيخ ناضج أو شاب في ازدهار حيويته وقوته... وهناك فرق بين أن تتكلم سيدة من طبقة رفيعة، ذات جاه وعزة وبين مرضعة دائبة الحركة..."[94].

أما بصدد الحبكة، فيرى هوراتيوس ألا يظهر البطل أو الإله في المسرحية في صورة هزلية رخيصة تتنافى مع وقاره وعظمته، وأن يكون ظهوره مرتبطًا بحل عقدة المسرحية؛ إذ "لا يليق بالتراجيديا أن تقول أبياتًا تافهة، فهي كسيدة المجتمع الرفيع، حين يطلب منها أن ترقص في الأعياد، تختلط بساترات (أي المسرحيات التي يرتدى فيها الممثل زي تيوس خرافية) الغابة في شيء من الحياء"[95].

وجدير بالذكر أن هوراتيوس في تناوله العقدة في المسرحية التراجيدية، يرجع اختراعها إلى "ثيسبس" Thespis، الذي نال جائزة في أثينا عام 534 ق.م وهو أول ممثل ظهر منفصلاً عن المجموعة، مرتديًا قناعًا، مغيرًا إياه حسب الأدوار المختلفة التي يؤديها، متخذًا من العربات مكانًا لعرض مسرحياته. بيد أن فاطمة سالم ترى أن هذا غير صحيح، إذ إن "ثيسبس" لم يخترع المسرحية التراجيدية فحسب، بل المسرحية بوجه عام، وترجح أن هذا الوصف، مرجعه

92 - راجع: السابق. ص 218 - 219.

93 - السابق. ص ص 219 - 220.

94 - السابق. ص 213.

95 - السابق. ص 222.

إلى اللبس الموجود بين التراجيديا القديمة والكوميديا القديمة، وتبين أن كلمة تراجيديا مشتقة من كلمة "تراجوس" Tragos الإغريقية ومعناها جدى (وهو ذكر العنزة)، وترى أن ثمة ثلاثة آراء تربط نشأة التراجيديا بالجدى. أولها لهوراتيوس، حيث خُصص الجدى جائزة للفائز بين المتنافسين من شعراء التراجيديا في عيد الإله "ديونيسوس" Dionysus (رب الخمر والنبيذ عند اليونان، وقد نشأت التراجيديا من الرقصات الماجنة التي كانت تقام في عيده السنوي). ثانيهما يرجع ارتباط كلمة تراجيديا بالجدى، إلى ارتداء مجموعة الغناء في أعياد ديونيسوس، زي تيوس خرافية تعرف بالساتيرا وهي تشبه الجدى، ومن هنا نشأت التسمية. أما الرأي الثالث فيرجع الارتباط إلى أن الجدى كان هو القربان المقدم في شرف الآلهة بهذه المناسبة[96].

وفي معرض حديثه عن عنصر الموسيقى في المسرحية، يوضح هوراتيوس ما انتاب هذا العنصر من تغيير، متخذًا آلة الناي مثالاً، حيث يقول: "لم يكن الناي، كما هو الآن مقيدًا بالنحاس ومنافسًا للبوق، بل كان ضئيلاً بسيطًا، ذا فتحات قليلة، وكان بعزفه نافعًا للمجموعة ومساعدًا لها، كما كان نافعًا لملء المقاعد التي لم تكن قد ازدحمت بعد"[97]. ثم لم تلبث الموسيقى والأوزان أن اكتسبت حرية أكبر، وبذا أضاف عازف الناي إلى فنه القديم، الحركة والمغالاة، وبدأ يتجول في مقدمة المسرح، كما نشأت أوتار جديدة للقيثارة الرزينة، وتضمنت البلاغة غير المتروية، كلامًا غير مألوف، فاختلط الغث بالسمين، ومن ثم يتساءل هوراتيوس قائلاً: "أي ذوق يُنتظر من جمهور امتزج فيه الريفي بالحضري والرعاع بالنبلاء؟"[98].

وبعد تناول هوراتيوس العناصر الفنية للمسرحية من فصول، وأحداث، وحوار، وحبكة، وموسيقى، يشرع في تناول السبل التي تمكِّن كاتب المسرحية من جذب الجمهور، فيشتاق إلى مشاهدة مسرحياته، ويمكث حتى نهاية العرض، مخاطبًا الكاتب بقوله: "عليك أن تتعرف على عادات كل عمر، وتعطي الطبائع المتغيرة والسنين، اللمسات الجميلة اللائقة بها"[99]. ذلك أن الاهتمامات الفكرية والاحتياجات النفسية والأذواق، تختلف من مرحلة عمرية إلى أخرى. فالطفل غير الصبي، والصبي غير الشاب، والشاب غير الرجل، والرجل غير الشيخ المسن، وعليه ينبغي أن تراعي موضوعات المسرحية كل ذلك[100]، على أن تكون هادفة. إذ "إن كثيرين من الكهول يقصون على المسرح ما لا مغزى له أو نفع"[101].

96 - راجع: السابق. ص 221، هامش رقم (1).

97 - السابق. ص 220.

98 - السابق. الصفحة نفسها.

99 - السابق. ص 217.

100 - راجع: السابق. ص ص 217 - 218.

101 - السابق. ص 228.

ولا يفوت هوراتيوس تنبيه الشاعر المسرحي إلى أنه في حالة عرضه للمسرح موضوعًا لم يعالج من قبل، ومتجاسرًا على إبداع شخصية جديدة، فإن عليه الاحتفاظ بها حتى نهاية العرض المسرحي، شريطة أن تكون متكاملة ومتوافقة مع الموضوع(102).

وفي سياق الاهتمام بالموضوع، يستطرد هوراتيوس مبينًا أن قصة ذات فقرات بارزة صُورت شخصياتها تصويرًا صحيحًا قد تمتع الجمهور بصورة أكثر فاعلية، حتى وإن خلت من أية جاذبية، وجاءت بلا وزن أو فن، كما قد تستحوذ عليه وتثير اهتمامه لمدة أطول مما تثيره أبيات الشعر الرنانة التافهة التي لا موضوع لها(103).

النقد الموجه لهوراتيوس.

لم يوجه "بروكس" نقده لفن الشعر لهوراتيوس فحسب، بل لكثير من كتاباته الأخرى، متذرعًا في ذلك بأن هذه الكتابات لا تتأثر بما نادى به هوراتيوس من نظريات وقوانين، إذ إنه قلما يطبق نظرياته النقدية، متمسكًا بما يمكن التماسه للشاعر من أعذار، على نحو ما ورد في مؤلفه "اعتذار الشاعر" Apologia Poetae، ومن ثم عرض "بروكس" نظريات هوراتيوس، مبينًا ما فيها من مرونة أو مآخذ(104).

وقد وجه بعض الكتاب والنقاد، ممن افترضوا "فن الشعر" بحثًا، نقدًا لاذعًا لهوراتيوس في القرنين السادس عشر والثامن عشر، إذ يرون أن قصيدة "فن الشعر"، كان ينبغي أن تكون قمة نتاج هوراتيوس الأدبي، ومرآة تعكس نضجه الفكري وخلاصة تجاربه الفنية، وأن يطبق على نفسه فيها ما أملاه على غيره من قواعد التأليف. وبناء على ذلك، بدت هذه القصيدة في نظرهم مفككة الأجزاء، يسودها الشرود والإسهاب، ولا تعد بحثًا منظمًا سواء على مستوى الشعر عامة أو الشعر المسرحي خاصة(105).

أما المعجبون بكتابات هوراتيوس، فقد دافعوا عنه إبان القرنين السادس عشر والثامن عشر، ونادوا بأنه: "لم يقصد كتابة بحث عن الشعر عامة أو الشعر المسرحي خاصة، وما هي (أي قصيدة فن الشعر) إلا ملحوظات قليلة، دونها لصديق لينتفع بها، فهدموا بذلك أساس الاتهام، وإن لم يتمكنوا من الدفاع عن جميع المآخذ التي وصمت بها، فما زال النقد مسلطًا عليها في

102 - راجع: السابق. ص 215.

103 - راجع: السابق. ص ص 226 - 227.

104 - راجع: السابق. ص 190.

105 - راجع: السابق. ص 189.

العصر الحديث، حتى لدى المعتدلين من النقاد»[106]، ومنهم "سانتسبرى"، فرغم تعاطفه مع هوراتيوس في أن النقد الموجه إليه في القرنين المشار إليهما، شديد الوطأة، فإنه يرى أن قصيدة "فن الشعر" تستحق النقد نظرًا لما يعتريها من تفكك مفرط ومع تسليمه بمنح الحرية لهوراتيوس في هذه القصيدة التعليمية التي يمتزج فيها النافع بالضار، فإنه يرى أنه قد أفرط في استخدام هذه الحرية لدرجة لا يمكن معها إيجاد مبرر لطريقته التي يمكن تسميتها باللاطريقة[107].

مكانة هوراتيوس في النقد الأدبي.

ورغم ما وجه إلى "فن الشعر" من نقد، فإن فاطمة سالم ترى أن ذلك لا ينتقص من مكانة هوراتيوس في مجال النقد الأدبي، لاعتبارات عدة، منها معالجته موضوع الهجاء، إذ اتخذ منه وسيلة للدفاع عن نفسه، والتعريف بآرائه النقدية في قصيدته "فن الشعر". وآية ذلك رفضه نصح "ترياتيوس" بالانصراف عن الهجاء، لكيلا ينفض عنه أصدقاؤه أو يعاقبه القانون على أشعار تسيء إلى الأفراد، معللاً رفضه النصح بأن "لوكيليوس"، مبتكر الهجاء الروماني، قد سبقه في هذا ولم ينفض عنه أصدقاؤه، فضلاً عن أن هجاءه (أي هوراتيوس) ليس هجومًا على الناس أو سبًا، بل شعرًا جميلاً، ينتقد فيه مَنْ يستحق النقد، ومنهم "لوكيليوس"، فقد هجاه لارتجاله سيلاً من الأبيات في زمن قصير، ولخشونة أسلوبه وعدم صقله. كما أن مطالبة هوراتيوس بحرية الهجاء على نحو ما تمتع به شعراء الملهاة الإغريقية القديمة، تتضمن في الوقت ذاته طلبًا لحرية النقد. ذلك أن الهجَّاء - من وجهة نظره - ناقد للحياة في مظاهرها المختلفة، كما أنه - هوراتيوس - بوصفه شاعرًا هجائيًا، لا تتصف قصائده بنفس سوداوية قاتمة، فهو يرى هجاءه اجتماعيًا، مبرزًا المساوئ فإن انطبقت أوصافه على الأفراد، فليس الذنب ذنب الهجاء، بل الأشخاص أنفسهم. وبهذه اللفتة يجمع هوراتيوس بين الهدف الشخصي والهدف الاجتماعي من الهجاء، ويذهب إلى أن الهجاء ليس شعرًا منظمًا موزونًا فحسب، بل لابد من تمتع صاحبه بموهبة فذة. والحق أن هوراتيوس قد وضع أصول الهجاء وقوانينه بصورة لم نعهدها عند الإغريق القدامى، كما أن ربطه بين "لوكيليوس" وشعراء الملهاة القديمة، قد أوجد الصلة بين الهجاء والملهاة، وهي صلة لم يتسن للإغريق معالجتها من قبل. فالهجاء، رغم تأثره بالإغريق، روماني في نوعه، ابتكره "لوكيليوس"»[108].

106 - السابق. الصفحة نفسها.

107 - راجع: السابق. ص ص 189 - 190.

108 - راجع: السابق. ص ص 184 - 186.

ومن الاعتبارات التي تحفظ لهوراتيوس مكانته في مجال النقد الأدبي، أنه أشار إلى وجود قانون لكل فرع من فروع الأدب، وأن الكتابة في أي منها، مردها إلى ميل الكاتب ومقدرته. والكوميديا في رأيه ليست شعرًا، إن افتقرت كلماتها وموضوعاتها إلى قوة الإلهام وحرارته. فهي في هذه الحالة لا تختلف عن النثر إلا في تقيدها بالأوزان والإيقاع (109).

ومن بين الاعتبارات التي تبرز مكانة هوراتيوس أنه، رغم عدم اختراعه جميع القوانين المضمنة في مؤلفه "فن الشعر"، ذاكرًا تواريخ معروفة لأنواع الشعر، مثيرًا مشكلات معروفة تمت للأدب أو الشعر بصلة، فإنه استقى ذلك كله من نحاة الإغريق ونقادهم القدامى وفلاسفتهم أمثال أرسطو، كما تأثر أيضًا بـ "نيوبتوليموس" وغيره من كُتاب الرومان وشعرائهم أمثال "بلوتوس" و "ترنتيوس" و "شيشرون"، وغيرهم مِمَنْ عاصروا هوراتيوس من أدباء ونقاد (110).

وجدير بالذكر أن هوراتيوس في مؤلفه "فن الشعر" ورسائله وأهجياته النقدية لم يكن ناقلاً حرفيًا لكتابات من تأثر بهم، كما لم يكن جامعًا لما ذكره القدماء ومعاصروه فحسب، بل ناقش ونقد وأفاض، مبرزًا آراءه في لغة تفيض قوة وحيوية، متخذًا لنفسه في كل نمط من أنماط الكتابة التي تأثر بها، نموذجًا يحتذيه. فقد اتخذ "لوكيليوس" نموذجًا في الهجاء، و "سافو" و "ألكايوس" نموذجًا للشعر الغنائي... ولما لم يجد في فن الشعر نموذجًا واحدًا يفي بحاجته، رجع إلى نحاة الإغريق ونقادهم وفلاسفتهم بصفة عامة، وإلى "نيوبتوليموس" الروماني بصفة خاصة، كما رجع إلى الحياة الأدبية في عصره، وبذا استفاد مما كتب قديمًا وحديثًا، الأمر الذي أهله لمناقشة القضايا الأدبية والفنية التي كانت مثار جدل في عصره، ومنها: جنس الهجاء من حيث كونه شعرًا أم نثرًا، وصلته بالمسرحية والمجتمع، ومقدار الحرية التي يمنحها الأخير لشاعر الهجاء، ومساحة الحرية الممنوحة للشعر في صوغ الكلمات الجديدة، وما يغتفر من الخطأ وما لا يغتفر، ومدى الاعتراف بالشعر الوسط ... إلخ، معبرًا إزاء كل ذلك بوجهة نظره الخاصة، مما جعله جزءًا هامًا في تاريخ النقد القديم(111).

وتضيف فاطمة سالم إلى الاعتبارات التي تعزز مكانة هوراتيوس في مجال النقد الأدبي، اهتمام علماء العصر الحديث وشراح نصوص هوراتيوس، بدراسة ما ضمنه من قوانين في مؤلفه "فن الشعر"، بردها إلى أصولها، وتبيان مدى تأثره بها. وكذا معالجة نقاد العصر الحديث نظريات هوراتيوس ومقارنتها بنظيرتها القديمة. حيث قارن "بروكس" بين "فن الشعر" لهوراتيوس و "كتاب

109 - راجع: السابق. ص ص 185 - 186.

110 - راجع: السابق. ص 201.

111 - راجع: السابق. ص ص 202 - 203.

الشعر" لأرسطو، مبينًا أن ثمة فرقًا بينهما من جانب تأثيرهما الأخلاقي والميتافيزيقي وهو ما ينطبق أيضًا على محاورة "فايدروس" لأفلاطون. كذلك أوضح "بروكس" العلاقة بين "فن الشعر" لهوراتيوس وآراء "نيوبتوليموس" مبرزًا تأثر هوراتيوس به تأثرًا كبيرًا. أما "فيسك" فقد أظهر وجه الشبه بين "فن الشعر" لهوراتيوس والكتاب السادس والعشرين لـ "لوكيليوس" في تخطيطهما البلاغي، كما أشار إلى تأثر هوراتيوس العميق بـ (شيشرون) في معالجة الموضوع. فشيشرون يهدف إلى المثالية من فن الخطابة وهوراتيوس يهدف إلى المثالية من فن الشعر[112].

واستنادًا إلى الاعتبارات السابقة - في مجملها - ترى فاطمة سالم أنه رغم ما يوجه من نقد إلى "فن الشعر" لهوراتيوس، فإنه يظل "قيمة علمية كبرى، فهو مرجع روماني هام، لا يمكن الاستغناء عنه، ولولاه لفقد العلم الحديث حلقة هامة من تاريخ النقد القديم"[113].

الخاتمة.

بعد قراءة مستفيضة لبحث "فن الشعر" لهوراتيوس الذي توفرت على ترجمة نصه اللاتيني ودراسته الأستاذة الدكتورة فاطمة سالم، نوجز فيما يلي أهم ما عرضت له القراءة من موضوعات وما توصلت إليه من نتائج.

من أهم الموضوعات التي شملتها القراءة، التمهيد والتعريف بهوراتيوس وبمؤلفه "فن الشعر"، ومراحل النقد الأدبي قبل عصر هوراتيوس، فضلاً عما تضمنه مؤلفه من موضوعات، وأخيرًا النقد الموجه لهذا الشاعر الروماني ورأي فاطمة سالم تجاهه.

في التمهيد، تناولت القراءة طبيعة بحث "فن الشعر" لهوراتيوس، من حيث انقسامه إلى قسمين، والموضوعات والأفكار المضمنة في كليهما. وفي التعريف بهوراتيوس، أبرزت القراءة تاريخ ميلاده، ووضعه الاجتماعي، وما صاغه من كتابات نقدية أخرى بجانب مؤلفه "فن الشعر".

وفي معرض الحديث عن فن الشعر لهوراتيوس، أظهرت القراءة ما تم استنباطه من إشكاليات تتعلق بما ثار من جدل حول تاريخ تأليفه، ونمطه، وكذا تسميته، وأهم ما أخذ عليه من مآخذ، متمثلة في ظاهرة التفكك، ورأي فاطمة إزاء ذلك كله، وكذا صيغ الخطاب السائدة فيه، متمثلة

112 - راجع: السابق. ص ص 201 - 202.

113 - السابق. ص 201.

في "الإيسجوجية"، ورأي النقاد بصددها، وما توصلت إليه فاطمة سالم من عدم وجود تطابق تام بين صيغة "الإيسجوجية" و "فن الشعر".

أما بخصوص مراحل النقد الأدبي قبل عصر هوراتيوس، فقد بينت القراءة ما تذهب إليه فاطمة سالم من صعوبة وضع تعريف محدد للنقد الأدبي، مقسمة مراحله إلى ثلاث هي: العصر القديم، والعصر المتأغرق والعصر الروماني، مبينة سمات كل عصر واهتماماته وملامحه النقدية.

وبصدد موضوعات "فن الشعر" لهوراتيوس، عرضت القراءة لما تم استنباطه من واقع النص المترجم، وانتهت إلى أن هوراتيوس، قد ناقش مجموعة من القضايا المتعلقة بالأدب عامة، وبجنسي الشعر والمسرحية خاصة.

من القضايا الأدبية العامة التي نالت اهتمام هوراتيوس: ضرورة التوافق بين الإبداع وطاقات المبدع، وإقرار فكرة المحاكاة في الفن، وإمكانية إعادة صياغة الموضوعات التي تم تناولها قبل ذلك. كما لفت هوراتيوس الانتباه إلى توالد الكلمات وتغير الأذواق عبر العصور، وضرورة وضع المبدع الناقد نصب عينيه، وحتمية اتصافه بالذكاء في انتقاء نوع المتلقي لإبداعه.

أما عن جنسي الشعر والمسرحية، فقد ناقشهما هوراتيوس - وما يمت لهما بصلة - بإفاضة.

فعن جنس الشعر، تطرق هوراتيوس إلى الشاعر، مستبعدًا اتخاذ هيئته الخارجية دليلاً قاطعًا على موهبته التي تحكمها في - نظر هوراتيوس - قدرات الشاعر في التأليف، ووقوفه على المصادر، وصقله الشعر، وإمكانياته في تعليم الآخرين كيفية تأليف الشعر، وفطنته في التمييز بين الفضيلة والرذيلة، وكذا إلمامه بوظيفة الشعر وأهدافه.

كما فرق هوراتيوس بين نوعين من الخطأ الفني، أحدهما مغتفر لأنه ناجم عن طبيعة العمل الفني وضخامته، والآخر غير مغتفر لأنه منبثق من إهمال الشاعر. وقد استرسل هوراتيوس في تبيان السبل الكفيلة بتجنيب الشاعر الأخطاء، وبإيضاح سمات الشاعر الجيد، ومن أهمها عدم خشيته النقد، وعدم نظمه القصائد إرضاءً للنفوس، وذكائه في اختيار نوعية متلقيه.

كذلك بين هوراتيوس أهمية صدق التجربة الشعرية، وما لها من دور في إثارة مشاعر الآخر، وتحريك روحه، فضلاً عن دور الكلمة في القصيدة وضرورة ملاءمتها للسياق، وكذا دور الناقد الموضوعي في تفعيل القصيدة.

وفي معرض حديثه عن الشعر والشاعر، أكد هوراتيوس أن تنويع الشعراء الرومان الموضوعات الشعرية، لا يعد مقياسًا للنجاح المطلق.

عالج هوراتيوس أيضًا فن الهجاء، والكيفية التي ينبغي أن يكون عليها، وما يحتاجه هذا الفن من حرية في التعبير. كما تطرق إلى أوزان الشعر ومخترعها، وكذا إلى فن الساتورا.

أما بصدد جنس المسرحية، فقد تناول هوراتيوس العناصر الفنية للمسرحية، من أقسام وأحداث وحوار وحبكة وموسيقى، منتهيًا إلى أن أقسام (فصول) المسرحية ينبغي أن تكون خمسة، وإلى أن الأحداث الممثلة على المسرح، أشد تأثيرًا مما يروى أو يسمع، شريطة ألا تكون ممقوتة لدى المشاهد. وقد اشترط هوراتيوس ألا يشترك في الحوار أكثر من ثلاث شخصيات، على أن يكون هذا الحوار ملائمًا لطبيعة الشخصية وخصائصها. كذلك أوضح هوراتيوس أن دور المجموعات (الكورس) ينبغي أن يكون مؤيداً للأهداف السامية للمسرحية. كما لفت النظر إلى أن ظهور الإله أو البطل في المسرحية التراجيدية، لابد أن يكون مرتبطًا بحل العقدة، وأن الموسيقى ينبغي أن تخدم العرض المسرحي دون مغالاة.

ولم يفت هوراتيوس تبيان السبل التي تمكن مؤلف المسرحية من نجاح عرضها، ومنها وعيه في اختيار الموضوعات الهادفة، وفطنته إلى الاحتياجات الفكرية والنفسية لكل مرحلة عمرية.

أما عن النقد الموجه لهوراتيوس، فقد تمثل في عدم تطبيقه في كتاباته، ما نادى به من نظريات وقوانين. كما تعرض "فن الشعر" لنقد لاذع إبان القرنين السادس عشر والثامن عشر، من جانب بعض الكتاب والنقاد ممن افترضوه بحثًا، إذ رأوا أنه كان لزامًا أن يمثل قمة نتاج هوراتيوس الأدبي ونضجه الفكري وخلاصة تجاربه الفنية، وأن هوراتيوس لم يطبق في قصيدة "فن الشعر" ما أملاه على غيره من قواعد التأليف، فبدت مفككة الأجزاء، يسودها الشرود والإسهاب، وبذا لا تعد بحثًا منظمًا، سواء على مستوى الشعر عامة أو الشعر المسرحي خاصة.

ومع ذلك، فقد وجد هوراتيوس مَنْ يدافع عنه، إذ رأوا أن "فن الشعر" لم يكن بحثًا عن الشعر عامة أو الشعر المسرحي خاصة، بل إنه مجرد قصيدة، دوّن فيها هوراتيوس ملحوظات لينتفع بها صديق له.

وبين منتقدي هوراتيوس والمدافعين عنه، وقف فريق ثالث موقفًا وسطًا، إذ رأوا أن "فن الشعر" قصيدة تعليمية تحتاج إلى قدر من الحرية في التأليف، بيد أن هوراتيوس أفرط في استخدام هذا القدر، الأمر الذي عرضه للنقد.

أما فاطمة سالم فتذهب إلى أنه أيًا كان النقد الموجه إلى "فن الشعر"، فإنه لا ينتقص من مكانة هوراتيوس في النقد الأدبي، لاعتبارات عدة، منها معالجته فن الهجاء واتخاذه إياه وسيلة للدفاع عن نفسه في مواقفه الهجائية والتعريف بآرائه النقدية، ومطالبته بالحرية في موضوع الهجاء، وما تتضمنه هذه المطالبة من نداء بحرية النقد. هذا فضلاً عن مقدرته في الجمع بين الهدف الشخصي والهدف الاجتماعي في الهجاء.

من هذه الاعتبارات أيضًا، معالجة هوراتيوس فروع الأدب على اختلافها، وعرضه لمقومات الكتابة في أي منها، وإثارته قضايا أدبية، مستندًا في ذلك إلى الأصول الإغريقية، عارضًا لها دونما نقل حرفي، مناقشًا لها وناقدًا إياها ومبرزًا لآرائه.

من الاعتبارات كذلك، اهتمام علماء العصر الحديث بدراسة وتحليل مؤلف (فن الشعر)، من مختلف جوانبه.

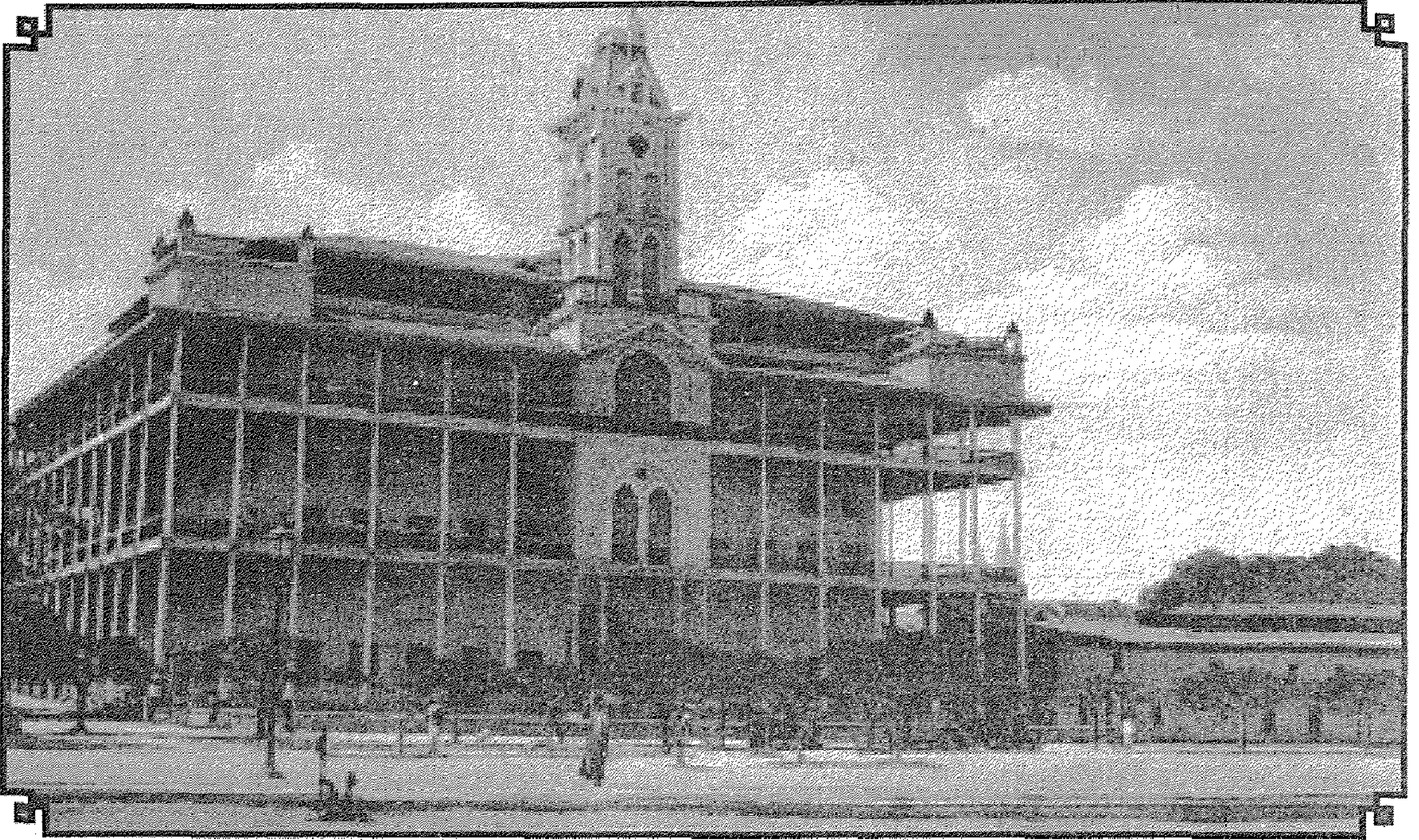
وهكذا يتبين أن فن الشعر - كما ترى فاطمة سالم - مرجع روماني هام، لا غنى عنه في مجال النقد الأدبي.

كل ما سبق يبيّن لنا موضوعية تناول فاطمة سالم لتلك النصوص الأدبية بمختلف أشكالها، وقدرتها على الاستنباط ،وسبر الأغوار مستشعرة ما وراء تلك الآثار الأدبية من فحوى ، مفسحة المجال للباحثين من بعدها للولوج في مثل هذه القضايا وهم مسلحون بمنهجية اختطتها لهم ، لتكون قدوة لهم في معرفة تناولها ، ويكونوا عارفين عند تنولهم آثار تلك القدوة - القمة القامة - فاطمة سالم.

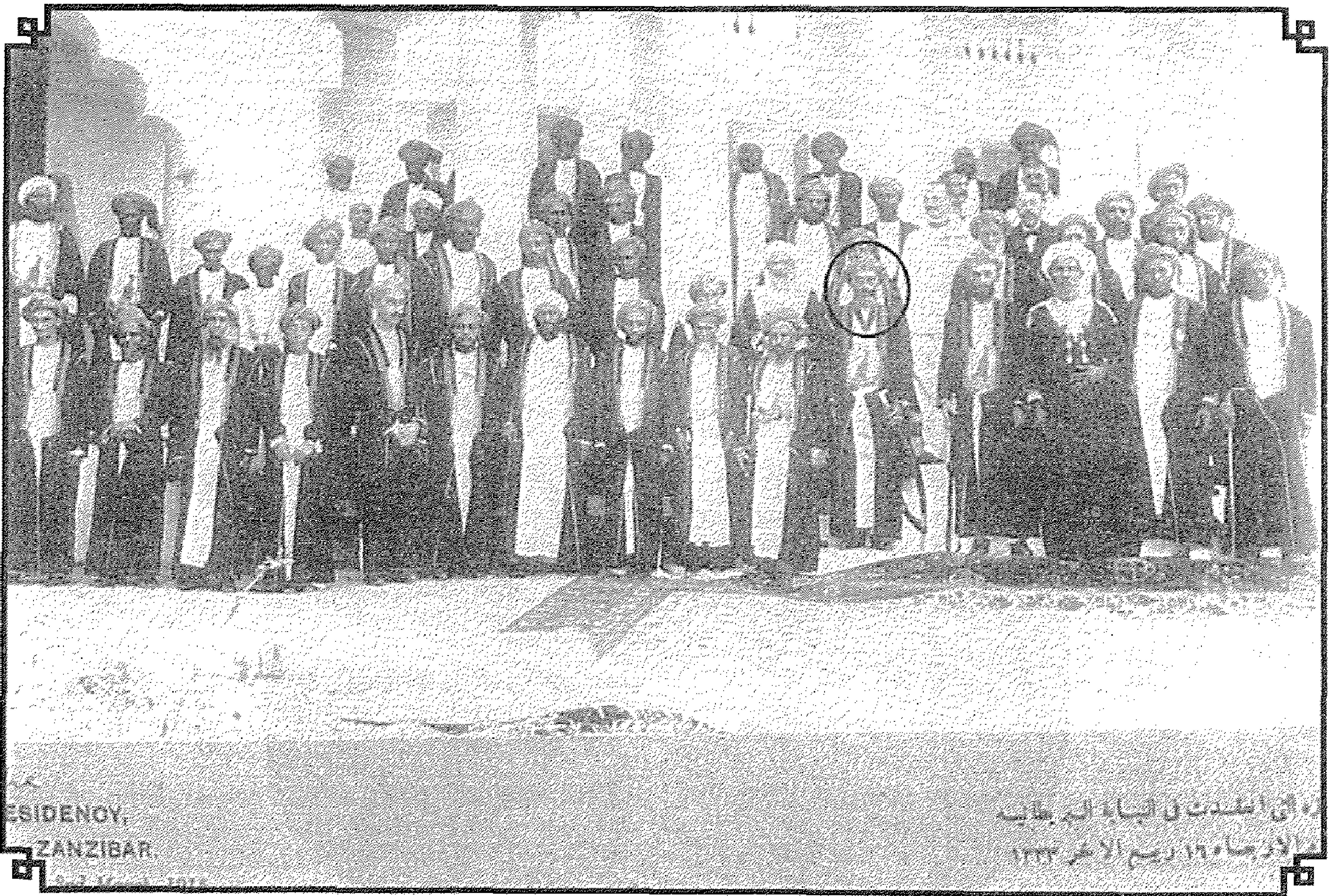
ملحق:

الصور والشهادات والوثائق والمستندات الرسمية والمقالات المتعلقة بالراحلة أ.د. فاطمة سالم.

الصور



بيت العجائب بزنجبار.



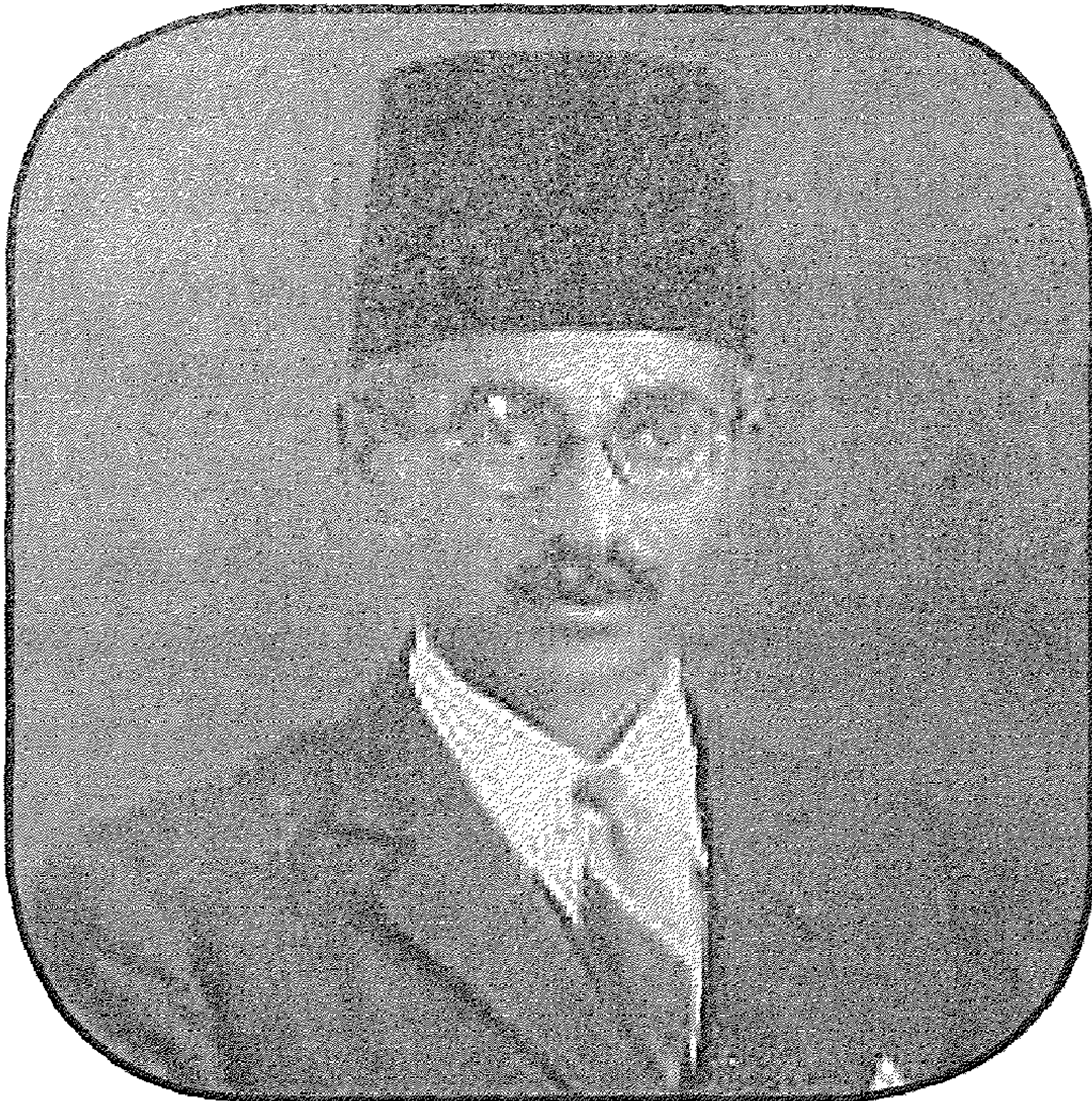
سيف بن سعيد جد فاطمة سالم مع رجال الدولة في النيابة البريطانية بزنجبار الاربعاء 3 مارس 1915م.



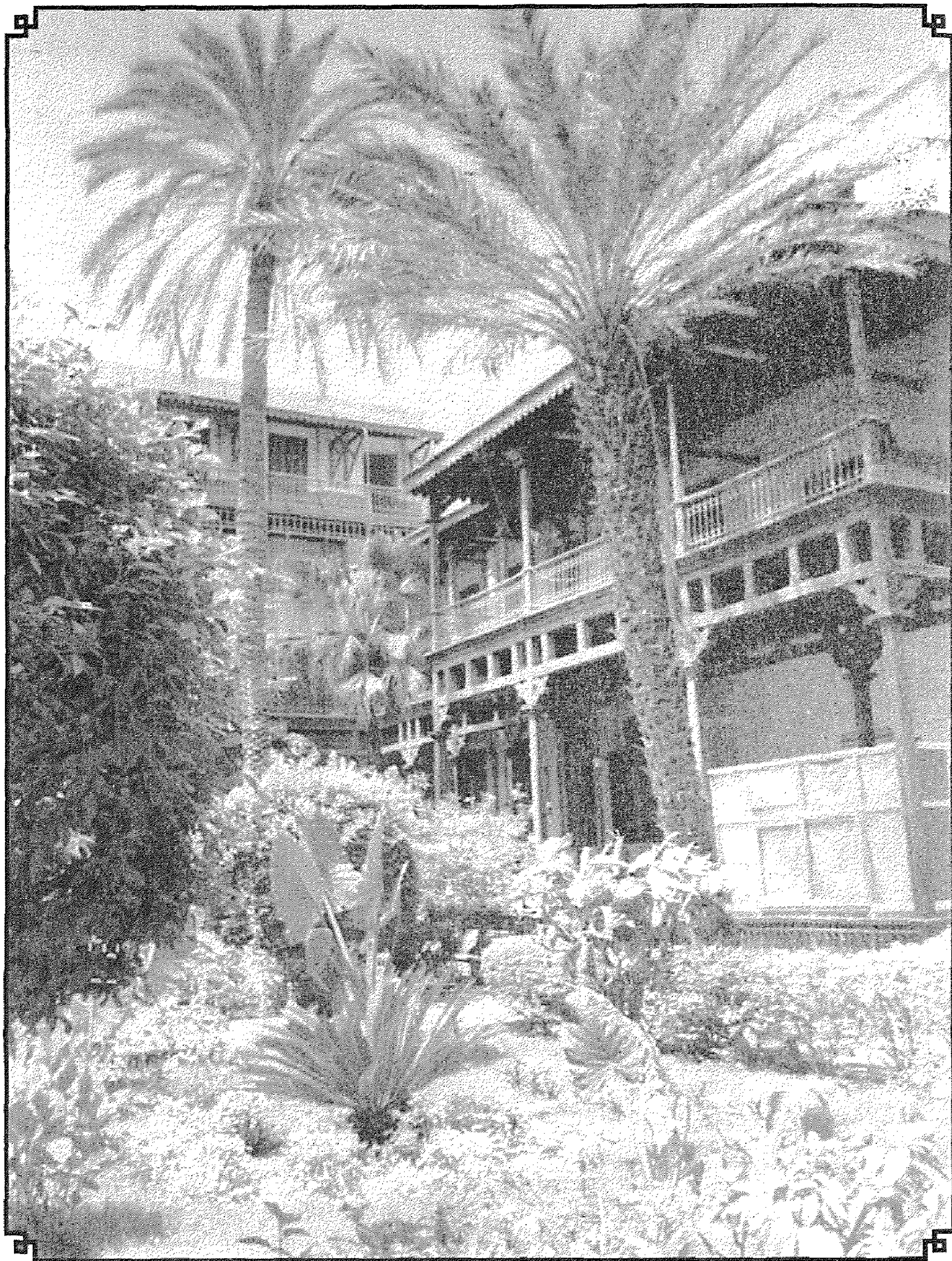
جوخة بنت ناصر بن سليمان اللمكي
القاهرة 1930م.



خديجة بنت عبدالله بن حمد البوسعيدي
والدة فاطمة سالم كينيا 1955 م.



سالم بن سيف بن سعيد المعمري
القاهرة 1928م.



منظر داخلي لمدرسة السنية.



فاطمة سالم بملابس سوداء تتوسط زميلاتها، مدرسة السنية، القاهرة
سنة 1929م.



فاطمة سالم مع ابنة أختها ليلى
إحدى حدائق القاهرة - 1943 م.



الاوانس

في كلية الآداب

تحت هـذا الـكلام صورة الفريق الاول من متخرجات هذا العام في كلية الآداب بالجامعة المصرية . وهن من اليسـار الاوانس : سهير القلماوي وفاطمة فهمي وفاطمه سـالم وزهيرة عبد العزيز

الدفعة الأولى لخريجات كلية الآداب، جامعة القاهرة 1933م

مجلة الهلال الثلاثاء 1 أغسطس 1933م، مجلد 10، سنة 1941م.



فاطمة سالم مع خريجات الدفعات الأربع الأُول لكليتي الآداب والحقوق (1929 - 1933م)
جامعة فؤاد الأول.

نفسه، بل كان نتيجة ثورات متتابعة على القواعد التي اتبعت في أول الأمر

لقد فتحت الطالبة نعمية الأيوبي – الدكتورة الآن – لزميلاتها باب حرية الفكر على مصراعيه، حينما أعلنت أنه ليس من العار على الفتى إذا أحب فتاة فبادلته الحب، ما دام هذا الحب يهدف إلى الزواج.

قوبل ذلك التصريح بضجة شديدة لكنها لم تعبأ بها، ولم تلبث الضجة أن هدأت، وأتيح لفتاة الجامعة أن تبدي آراءها في حرية مطلقة.

انتصارات جديدة: وكانت الطالبة سهير القلماوي – الدكتورة الآن – تثور ثورات كتابية كبيرة الأثر، كانت تكتب في الصحف وتذيع بالراديو، وتهيب بزميلاتها ألا يبالين بالنقد ما دمن يطلبن مساواة الجنسين.

ثم كانت الضجة الكبرى التي أحدثتها الطالبة "أمينة السعيد" طيلة السنوات الأربع التي امضتها في كلية الآداب، كانت أول ثورة عملية قامت بها هي خلع غطاء الرأس! لقد دخلت الجامعة مكشوفة الشعر، فضج المتزمتون واعتبروا ظهور الشعر استهتارا!

وقبل أن تهدأ هذه الضجة ضربت الطالبة الثائرة ضربتها الثانية، فقد دخلت ملعب التنس ولعبت مع المدرب!

واليوم تجني الطالبات نتيجة ترشيح بعضهن لعضوية اتحاد الجامعة، صحيح أن معركة عنيفة قامت بين طلبة كلية الحقوق الذين يؤيدون الفكرة، وطلبة كلية الآداب الذين يستنكرونها، ولكن الفتيات قد انتصرن في النهاية، كما تدل نتيجة الانتخابات!

مدرسات في الجامعة: ولم تقنع الشابة المصرية بالليسانس والبكالوريوس، بل مضت تطلب ما فوقهما، وقد نالت "الدكتوراه" ثلاث من خريجات كلية الآداب، واثنتان من خريجات كلية العلوم، وطالبة من خريجات كلية الطب، ونال شهادة الماجستير ١١ شابة من خريجات كلية الآداب، و٧ من خريجات كلية العلوم، وحصلت ١٠ شابات من خريجات كلية الحقوق على دبلوم الدراسات القانونية العليا.

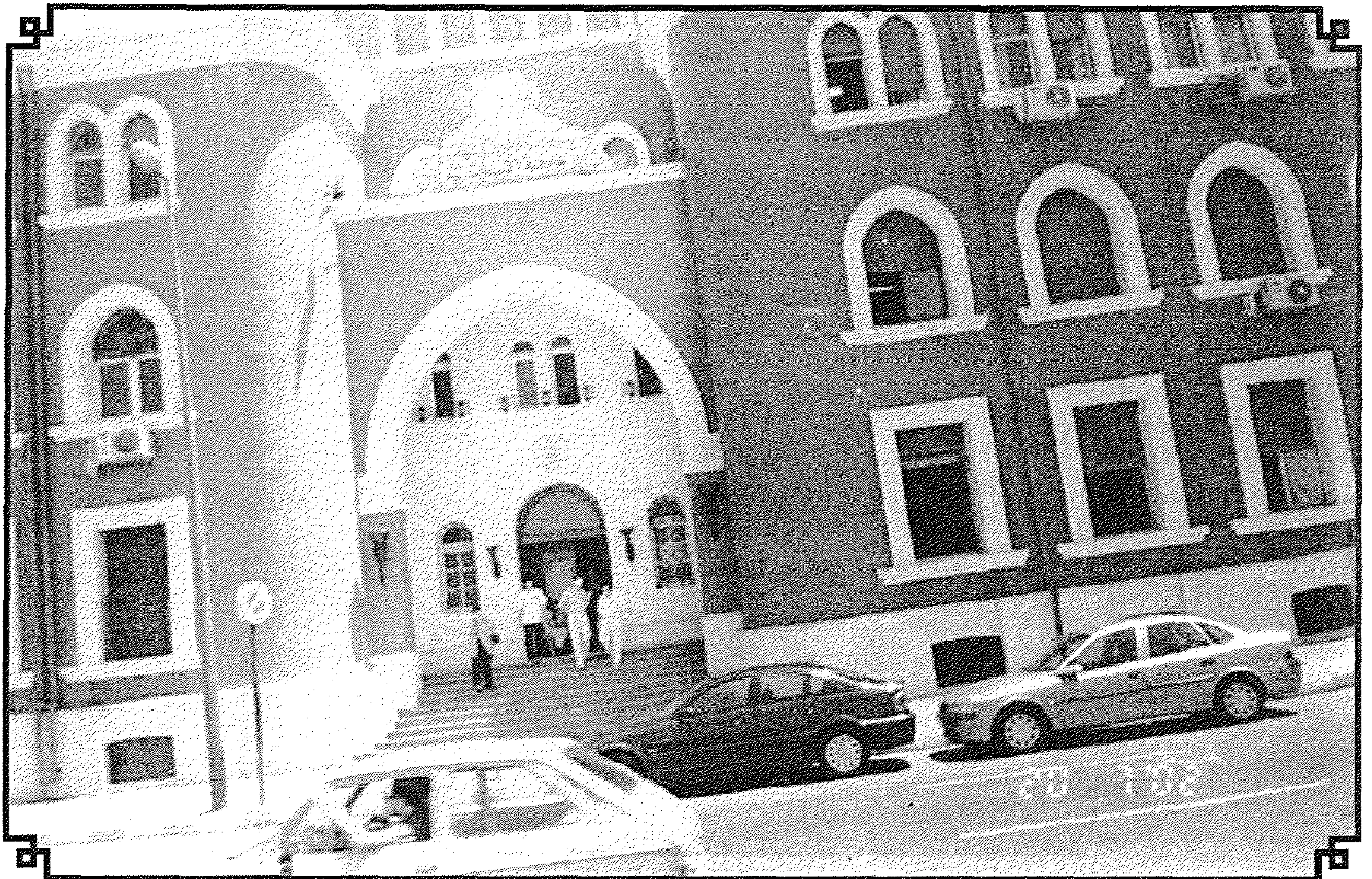
وتفوق بعضهن حتى رأت جامعة فؤاد الأول أن تستفيد من علمهن، فوصلت الدكتورة سهير القلماوي إلى درجة "أستاذ مساعد" في كلية الآداب، ولم يبق إلا خطوة قصيرة لتصير "أستاذا"! وفي الوقت نفسه عينت الآنسة -فاطمة سالم مدرسة بقسم اللغات القديمة، وهي اليوم – كسهير "أستاذ مساعد".

طرفاً من أخبار جامعة فؤاد الأول

جريدة الأهرام، 22 ديسمبر 1950 م.



أ.د فاطمة سالم القاهرة 9 مايو 1967م.



مبنى جامعة الإسكندرية بحي الشاطبي.



شقة الشاطبي.

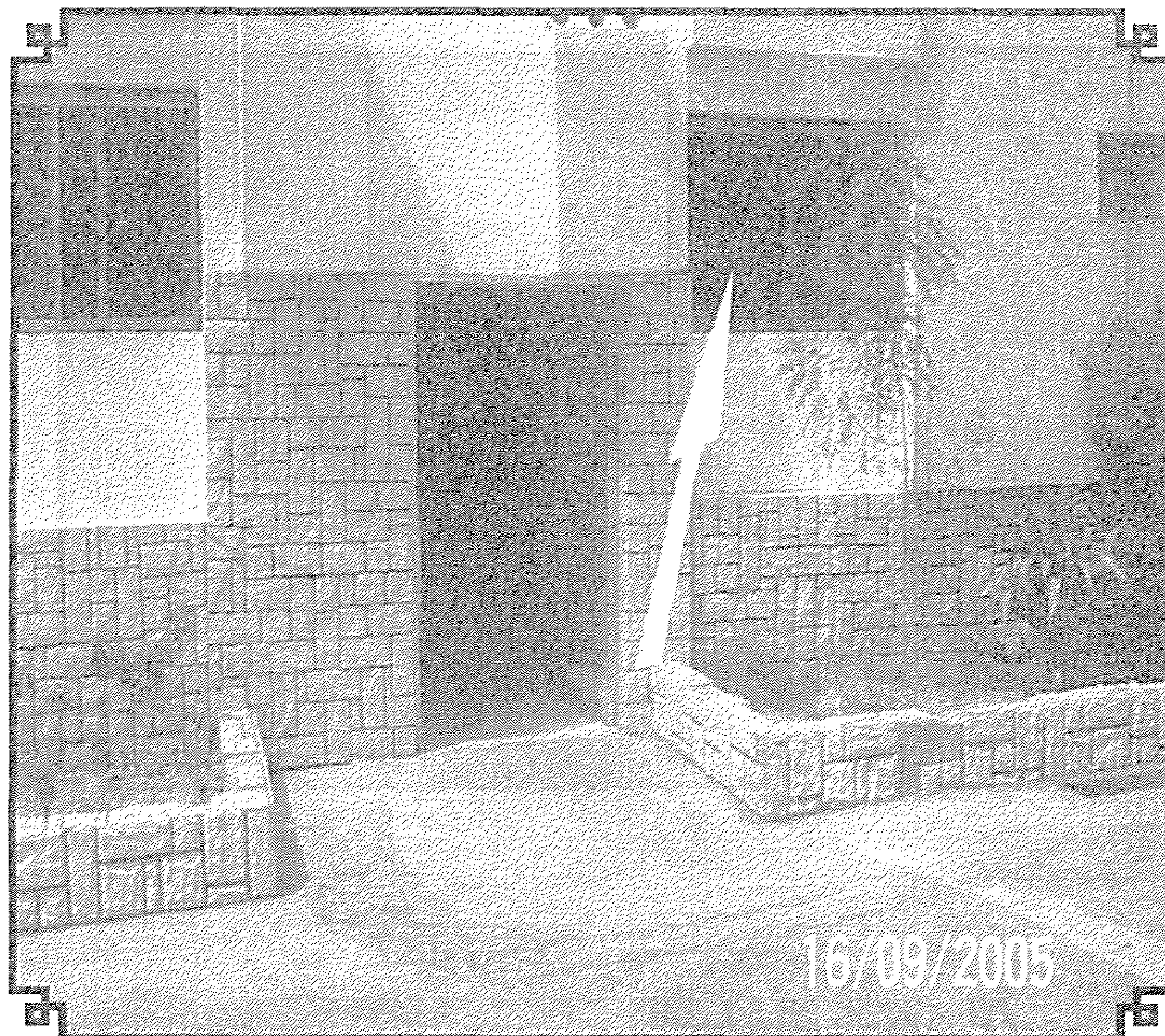


فيلا لوران.

سكن فاطمة سالم بالإسكندرية.



فيلا الوفاء - القاهرة مدينة المهندسين.









شقة القرم - مسقط.






فاطمة سالم بالموطن الأم.

الشهادات

الدولة المصرية

وزارة المعارف العمومية

شهادة الدراسة الثانوية

القسم الثاني "آداب" الدور الأول

نظام الخمس السنوات

تشهد وزارة المعارف العمومية أن فاطمة سالم بنت سالم سيف المولودة في زنجبار في سنة ١٩١١ الميلادية جازت امتحان شهادة الدراسة الثانوية (القسم الثاني) آداب في دور يونية سنة ١٩٢٩ وكان ترتيبها في جدول الامتحان مائة وواحد وعشرين بالنسبة إلى الناجحين البالغ عددهم مائتين وخمسة وسبعين

القاهرة في [illegible]

فاطمة سالم
Fatma Salim

شهادة الثانوية 1929م.

الدولة المصرية

الجامعة المصرية

نحن وزير المعارف العمومية الرئيس الأعلى للجامعة

بعد الاطلاع على القانون رقم ٤٢ لسنة ١٩٢٧ بإعادة تنظيم الجامعة المصرية

وبعد الاطلاع على نتيجة امتحان الليسانس لسنة ١٩٣٣ في دور مايو التي أقرتها

كلية الآداب

وبناء على قرار مجلس الجامعة الصادر بتاريخ ٤ يونيه سنة ١٩٣٣ بمنح الدرجات لمستحقيها

نعطي الآنسة فاطمة سالم بنت سالم سيف المولود في زنجبار سنة ١٩١١

درجة ليسانس في الآداب (قسم الدراسات القديمة)

القاهرة في ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٥٢ هجرية و ٦ يوليه سنة ١٩٣٣ ميلادية

عميد كلية الآداب

مدير الجامعة

الرئيس الأعلى للجامعة

وزير المعارف العمومية



سجلت في الجامعة المصرية برقم ١٤

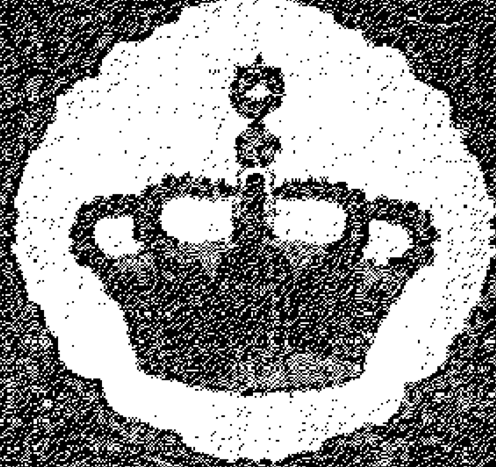
توقيع صاحب الدرجة

فاطمة سالم

Fatma Salem

شهادة الليسانس 1933 م.

١٣٠٦



الدولة المصرية

وزارة المعارف العمومية

دبلوم التربية

إجازة تدريس في التعليم فوق الابتدائي

القسم الأدبي

نحن وزير المعارف العمومية

بعد الاطلاع على القرار الصادر من الوزارة بتاريخ ١١ نوفمبر سنة ١٩٣٦ رقم ٢٧٠٥١ أمرنا بإعطاء

هذه الدبلوم بامتياز الآنسة فاطمة سالم سيف بنت سالم سيف أفندي المولودة في زنجبار

في سنة ١٩١٩ الميلادية التي أتمت الدراسة المقررة لمعهد التربية للبنات في سنة ١٩٣٦ ليكون لها

حق التمتع بما تخوله القوانين والأوامر المتبعة.

القاهرة في ذي الحجة سنة ١٣٥٥ و فبراير سنة ١٩٣٧

وزير المعارف العمومية

كل كشط أو تغيير في هذه الشهادة يلغيها

سجلت بمعهد التربية للبنات برقم ٢

ناظر المدرسة

أعطيت هذه الدبلوم في ١٩٣٧

توقيع صاحب الشهادة

Fatima Salim Seif

معهد التربية للبنات

دبلوم التربية 1937م.



جامعة فؤاد الأول

بعد الاطلاع على نتيجة الامتحان بكلية الآداب

قرر مجلس الجامعة بتاريخ ١٦ مايو سنة ١٩٤٢

منح الآنسة فاطمة سالم سيف ابنة سالم سيف أفندي المولودة في زنجبار سنة ١٩١١

درجة ماجستير في الآداب "قسم الدراسات القديمة" بدرجة الشرف الثانية

وعنوان بحثها "فن الهجاء عند الرومان في شعر هوراس وجوفنال مقابلة ومقارنة"

القاهرة في صفر سنة ١٣٦٢ هجرية و مارس سنة ١٩٤٣ ميلادية

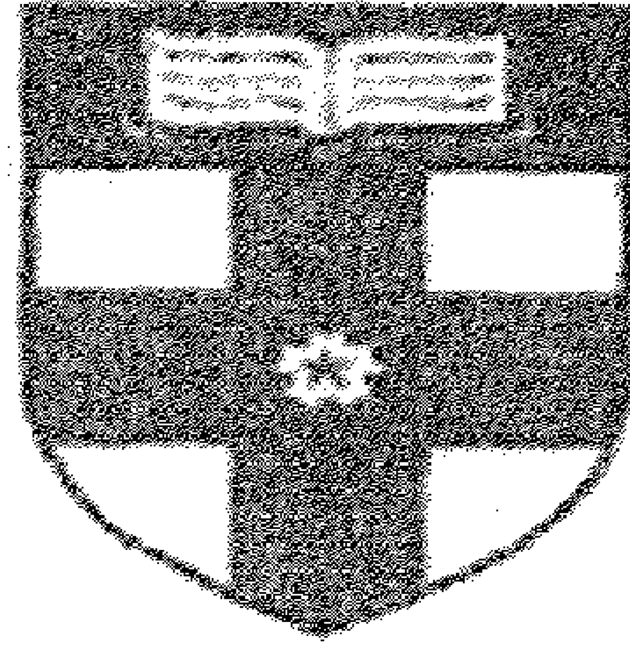
العميد | المدير | الرئيس الأعلى للجامعة

سجلت بجامعة فؤاد الأول برقم ٢٢

توقيع صاحب الدرجة

شهادة الماجستير 1942م.

University of London



Fatma Salem Seif

of

University College

having completed the Course of Study approved by the University and passed the prescribed Examinations has this day been admitted by the Senate as an Internal Student to the Degree of

DOCTOR OF PHILOSOPHY

in the Faculty of

Arts

the Field of Study being

Latin

8 November 1955

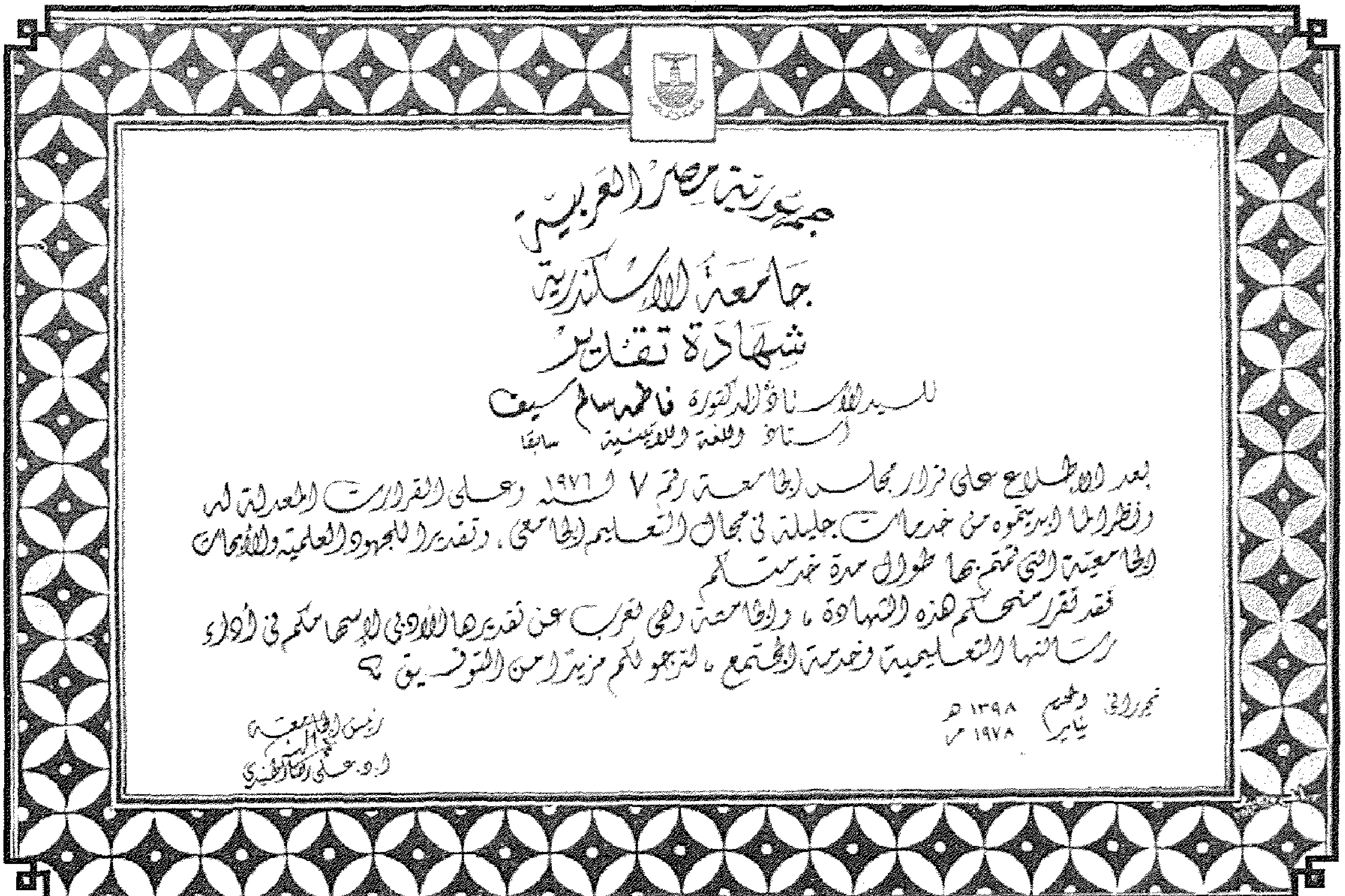
Academic Registrar

شهادة الدكتوراه 1955م.

التكريم



كُتيب مدرسة السنية 1973م.



جمهورية مصر العربية
جامعة الإسكندرية
شهادة تقدير
للسيدة الأستاذة الدكتورة فاطمة سالم سيف
أستاذ اللغة اللاتينية سابقا

بعد الاطلاع على قرار مجلس الجامعة رقم ٧ لسنة ١٩٧٦ وعلى القرارات المعدلة له ونظرا لما أديتموه من خدمات جليلة في مجال التعليم الجامعي، وتقديرا للجهود العلمية والأبحاث الجامعية التي تمت بها طوال مدة خدمتكم

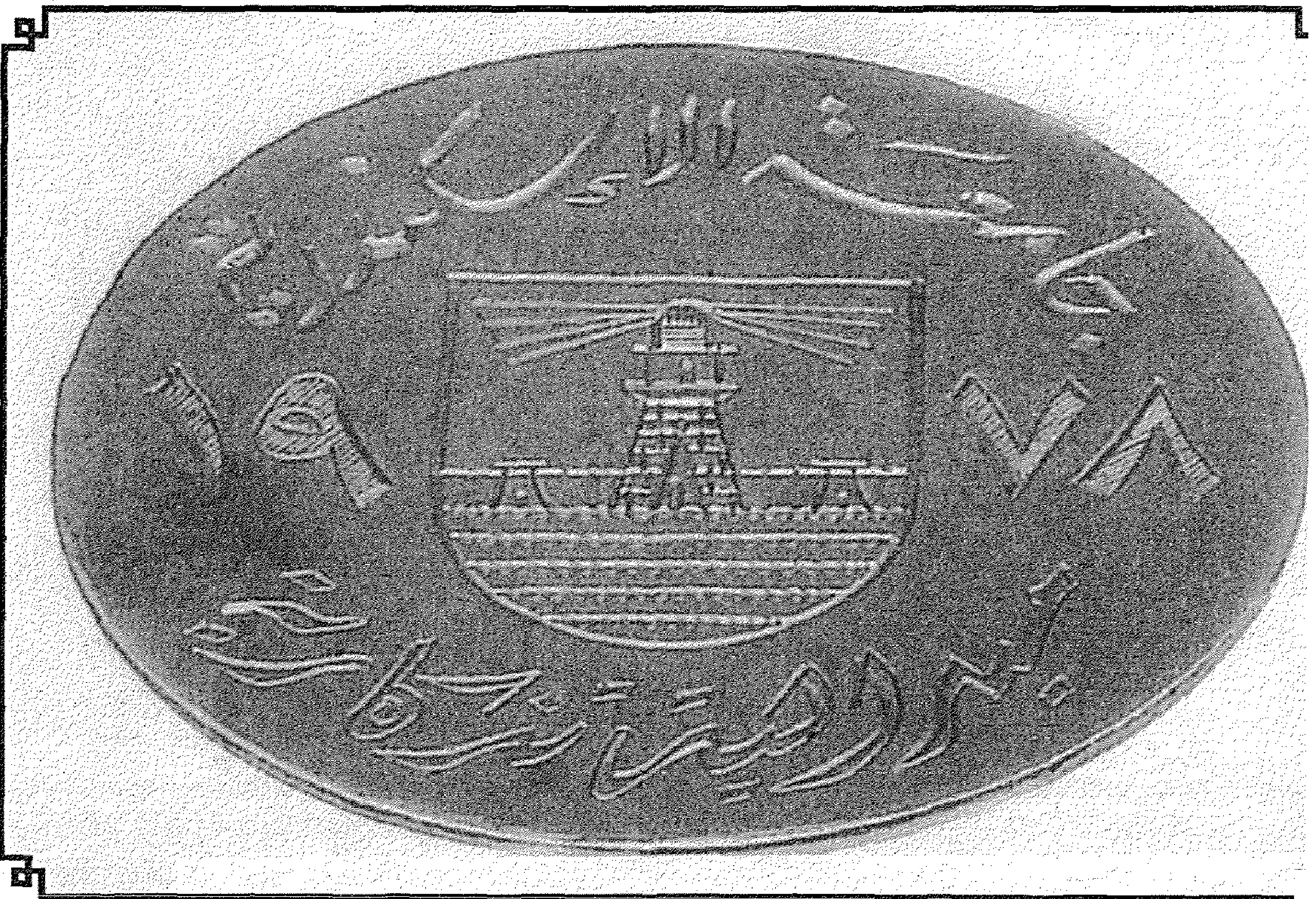
فقد تقرر منحكم هذه الشهادة، والجامعة إذ تعرب عن تقديرها الأدبي لإسهامكم في أداء رسالتها التعليمية وخدمة المجتمع، لترجو لكم مزيدا من التوفيق

تحريرا في محرم ١٣٩٨ هـ
يناير ١٩٧٨ م

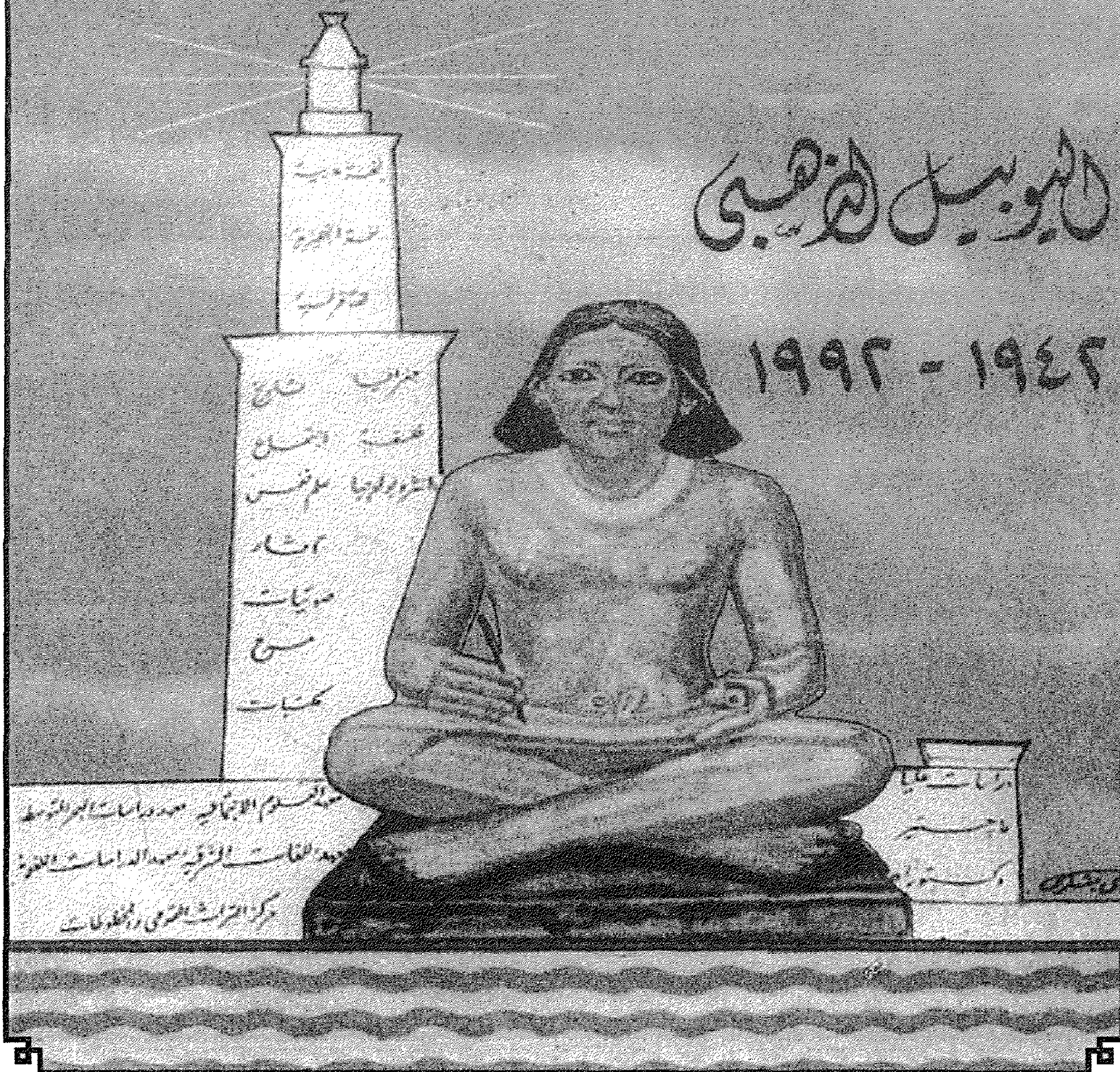
رئيس الجامعة
أ.د. علي [illegible]

شهادة تقدير 1978م.

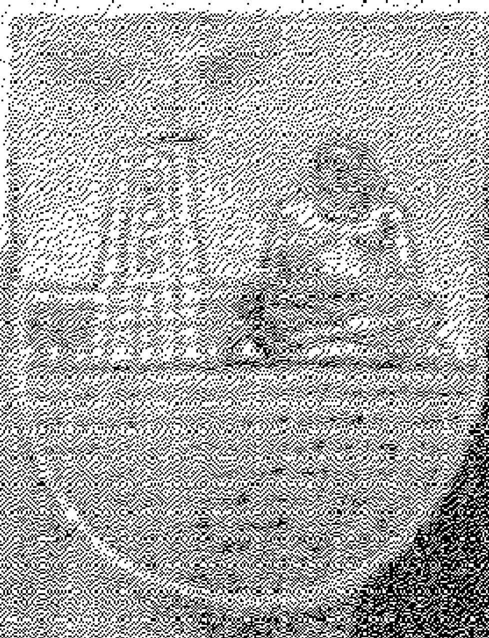




الميدالية الذهبية من قِبَل الرئيس محمد أنور السادات.



الكتب المضمنة تكريم أ.د فاطمة سالم.



جامعة الإسكندرية - كلية الآداب

الإسكندرية

عبر العصور في ذاكرة المجلة

بمناسبة افتتاح مكتبة الإسكندرية

المجلد الأول






الوثائق و المستندات الرسمية

٣ 2

صورة حامل الجواز
PHOTOGRAPH OF HOLDER

توقيع حامل الجواز
Holder's Signature

الدكتوره / فاطمه بنت سالم بن سيف المعمري

اسم حامل الجواز DR. FATMA SALIM
Name of holder SAIF AL-MAAMARI.
محل الولادة زنجبار
Place of birth ZANZIBAR
تاريخ الولادة ١٩١١
Date of birth 1911

أوصاف حامل الجواز
DESCRIPTION OF HOLDER

محل الاقامه روي
Place of residence RUWI
المهنة استاذة في اللغة اللاتينية
Profession PROFESSOR
الطول ٦٥
Height 5 FT
لون العينين سوداوان
Colour of eyes BLACK
لون الشعر ابيض
Colour of hair WHITE
الفوارق الخاصة
Special peculiarities

جواز السفر العُماني.

الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الداخلية
بطاقة شخصية
صادرة طبقاً لأحكام القانون رقم ٢٦٠ لسنة ١٩٦٠ في شأن الأحوال المدنية

محافظة	مكتب سجل مدني	رقم البطاقة
القاهرة	...	١١٤٥٠

تاريخ صدورها ١٩٦٢/٤/٢
ينتهي العمل بهذه البطاقة يوم ١٩٦٧/٤/٢
توقيع محرر البطاقة
توقيع أمين السجل
نسخة الساعة ب ٢٧٤٧

اسم الكامل فاطمه سالم سيف
اسم الوالد سالم اللقب أو الجد سيف
اسم الوالدة ولقبها
تاريخ ومحل الميلاد ١٩١١/٢/٢ زنجبار شرق
الديانة مسلمة
الوظيفة أو المهنة استاذة بجامعة كلية الآداب
محل الإقامة
محل ورقم القيد
فصيلة الدم
توقيع صاحب البطاقة
توقيع آخذ البصمة

البطاقة الشخصية المصرية.

Embassy of the
Sultanate of Oman
A.R. of Egypt - Cairo
Ambassador's Office



سفارة سلطنة عُمان
في جمهورية مصر العربية
"القاهرة"
مكتب السفير

سعادة الأستاذ الدكتور فتحي عبدالعزيز أبو راضي المحترم
عميد كلية الآداب ـ جامعة الإسكندرية

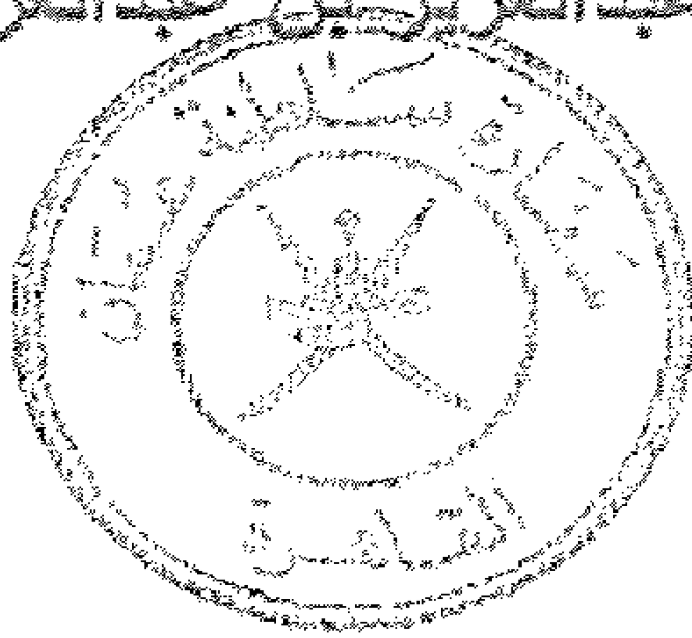
تحية طيبة وبعد،

أود أن أعبر لسعادتكم عن خالص شكري لتقديمكم المساعدة الإيجابية للدكتورة آسيه بنت ناصر بن سيف البوعلي الأستاذ المساعد بجامعة السلطان قابوس في مسقط، وذلك بشأن البحث عن الأوراق الخاصة وأبحاث جدتها الدكتورة فاطمة بنت سالم بن سيف رحمة الله عليها.

وفي هذا الشأن نرجوا من سيادتكم مزيداً من المساعدة حتى تستطيع الدكتورة آسيه البوعلي إكمال البرنامج التسجيلي عن جدتها الدكتورة المذكورة أعلاه.

شاكرين لكم سلفا تعاونكم الدائم، وتفضلوا بقبول وافر الإحترام.

السفير عبدالعزيز بن عبدالعزيز الهنائي



الرقم ـ ٢٠٠٢/٢٦١٠/٠٠/٢٩٠٥ التاريخ ـ ١٠ جمادى الآخر ١٤٢٣ هـ الموافق ٢٠٠٢/٠٧/١٠ صفحة ١

رسالة سعادة السفير ويليها المستندات بملف فاطمة سالم مرتبة بالتسلسل حسب تاريخ تحريرها.

PUBLIC HEALTH DEPARTMENT.

ZANZIBAR, 27th March 1918

Serial No. 93/38

Date of Birth 3rd March 1911

Sex Female (Fatma)

Locality Shangani

Father's Name Salim bin Saif bin Seyyid

Mother's Name Hadija binti Abdulla bin Hamed

Occupation [illegible]

Nationality Arab

Religion Mohamedan

By whom attended Binti Hamed bin Rashid

Informant Kamil bin Abdulrehman

Remarks —



This certificate is issued free. To be retained.

Registrar of Births.

شهادة الميلاد 3 مارس 1911 صادرة من وزارة الصحة - زنجبار بتاريخ 27 مارس 1918م.

(استمارة رقم [illegible])

وزارة المعارف العمومية

[illegible]

القاهرة في ـــــــ سنة 193

استمارة جهة المنقول إليها الموظف

اسم الموظف : الآنسة فاطمة سالم سيف

وظيفته الحالية [illegible]

وظيفته الجديدة [illegible] الجامعة المصرية

الماهية المنقول بها [illegible] جنيهًا

الماهية المنقول إليها [illegible] جنيهًا [illegible]

تاريخ ابتداء النقل : من أول [illegible] سنة 193[illegible]

تاريخ القيام به : من أول [illegible] سنة 1937

سبب النقل [illegible] الجامعة المصرية

ملاحظات

[illegible]

[illegible] الجامعة المصرية

قد نقل الموظف المذكور [illegible]

[illegible]

24 مايو 1937 م.

بيان تعيين موظف

اسم الموظف

وظيفته وجهة تعيينه

الدرجة التي عين بها

الماهية التي عين بها

الحالة التي عين عليها

تاريخ تعيينه

الشهادات الدراسية والدبلومات وتواريخها وجهات حصوله عليها

5 سبتمبر 1937م.

الجامعة المصرية

(استمارة رقم ٤)

كلية ــــــــــــ

القاهرة في ٢٧/٩ سنة ١٩٣٧

اقرار من الموظف المستجد بتاريخ اقامته بأعمال وظيفته

Déclaration par laquelle un Fonctionnaire nouvellement nommé indique la date de son Entrée en Fonctions.

أقر بأني أقمت بأعمال وظيفة ــــــــ ابتداء من يوم ــــــــ سنة ١٩٣٧
بناء على الأمر الصادر للكلية من الجامعة المصرية بتاريخ ــــــــ سنة ١٩٣٧ رقم ــــــــ
وكتبت هذا اقرارا مني بذلك ،،

(امضاء الموظف)
فاطمة سالم

يعتمد ذلك ،، تاريخه (ناظر الكلية)

27 سبتمبر 1937 م.

(استمارة رقم ٢١٢ ع٠ح٠)

عقد لتعيين مستخدم مؤقت لمدة سنة أو أكثر
(خاص بالمصريين)

انه فى اليوم الاول من شهر سبتمبر سنة ١٩٣٧ قد تم الاتفاق بين الحكومة المصرية النائب عنها حضرة صاحب السعادة مدير الجامعة من جهة ، وبين الانسة فاطمه سالم سيف من جهة ثانية على أن يعين الانسه فاطمه سالم سيف مستخدما مؤقتا فى الحكومة المصرية بصفة معيده بكلية الاداب بالقيود والشروط الآتية :

١ — يبتدئ تعيينه من تاريخ اول سبتمبر سنة ١٩٣٧ وينتهى فى ٣١ اغسطس سنة ١٩٣٨ ما لم ينته قبل ذلك بالكيفية المذكورة بعد .

٢ — يكون تعيينه :

(*) (أ) بماهية (جنيه مصرى) (كتابة) فى السنة تصرف ماهية كل شهر منها بعد انقضاء الشهر .

(ب) فى درجة مربوط ماهيتها من ١٨٠ جنيه مصرى الى ٣٩٦ جنيه مصرى فى السنة بماهية ابتدائية قدرها ١٨٠ جنيه مصرى (مائة وثمانون جنيها مصريا) (كتابة) فى السنة ، تصرف له ماهية كل شهر منها بعد انقضاء الشهر .

٣ — لا يكون له الحق فى أى معاش أو مكافأة على مقتضى قانون المعاشات الملكية المعمول به ، أو بأية صفة أخرى ، إلا فى الأحوال التى نص فيها القانون المذكور على منح مكافآت للمستخدمين المؤقتين ولعائلاتهم .

٤ — اذا قرر قومسيون طبى من قومسيونات الحكومة المصرية أن حالته الصحية تجعله غير لائق للاستمرار فى الخدمة ، فخدمته بموجب هذا العقد تنتهى فى تاريخ القرار الطبى المذكور . وفى هذه الحالة يكون له الحق فى المكافأة المنصوص عليها فى قانون المعاشات الملكية المعمول به للمستخدمين المؤقتين الذين اتضحت عدم لياقتهم للخدمة طبيا .

٥ — يعامل فيما يختص بالاجازات الاعتيادية والمرضية فى خلال السنة الأولى من خدمته بالحكومة المصرية كالمستخدمين الذين تحت الاختبار وبعد انتهاء هذه المدة من الخدمة يعامل أسوة بالمستخدمين الدائمين .

٦ — فى حالة سوء السلوك الشديد يجوز فى أى وقت كان عزله بدون اعلان سابق وبأمر من الوزير . ويكون هذا الأمر نهائيا بالنسبة اليه ، ولا يمكنه المعارضة فيه .

٧ — يكون من جميع الوجوه الأخرى وبدون الاخلال بأحكام (المادة ٨) خاضعا للوائح الخاصة بالمستخدمين الجارى العمل بها أو التى سيعمل بها فى الحكومة المصرية .

٨ — يمكن كل من الفريقين إبطال هذا العقد فى أى وقت كان بمقتضى اعلان يرسل كتابة قبل ذلك بمدة شهر ما

تحريرا فى سنة ١٩٣

(امضاء المستخدم) (امضاء)

شروط خصوصية (†)

٩ — اقرتها وزارة المالية بكتابيها المؤرخين فى ١٩٢٥/٩/٨ و ١٩٣٠/٩/١ رقم ٨/٨/٢٣٤ ف «وعند انتهاء المدة المتعاقد عليها فى المادة الاولى يتجدد هذا العقد من تلقاء نفسه لمدة سنه اخرى اذا لم يعلن احد الطرفين الاخر قبل انقضاء المدة بشهر بعدم الرغبة فى تجديد التعاقد ويتوالى التجديد بعد ذلك عند انتهاء كل مدة بالشروط عينها وذلك مع عدم الاخلال باحكام المادة الثامنة التى تسرى ايضا على مدة التجديد مهما طالت»

تحريرا فى ٣ فبراير سنة ١٩٣٨

(امضاء المستخدم) فاطمه سالم سيف

مدير الجامعة المصرية
(امضاء)

(*) تشطب احدى العبارتين (أ) أو (ب) .

(†) تدرج الشروط الاضافية — اذا كان هناك مثل هذه الشروط — التى ترى الوزارة المختصة اضافتها بعد موافقة وزارة المالية .

(اقلب الورقة)

استلمت صورة هذا العقد فاطمه سالم سيف

3 فبراير 1938 م، المستند به ختم عميد الأدب العربي أ. د طه حسين.

(استمارة رقم ٨٥)

جامعة فاروق الاول

ادارة المستخدمين

الاسكندرية فى ..... سنة ١٩٤٣

يرجى عند الرد ذكر هذا الرقم ......

أمر تثبيت موظف

اسم الموظف : ......

وظيفته : ......

درجته الحالية : من ... الى ... جنيه شهريا

ماهيته الحالية ... جنيه شهريا

تاريخ تعيينه تحت الاختبار : من ... سنة ١٩٤٦

تاريخ تثبيته : من ... سنة ١٩٤

التاريخ الذى من ابتدائه تخصم الخمسة فى المائة منه : من ... سنة ١٩٤

تاريخ وأرقام الكتب أو التواصى المطلوب بها تثبيته . ...

ملاحظات ......

الى ادارة المستخدمين

اعتمدوا تثبيت الموظف المبين اسمه بعاليه فى وظيفته من تاريخ قيده تحت الاختبار مع استقطاع قيمة الاحتياطى عن مدة الاختبار من ماهيته الشهرية حسبما هو موضح بالكشف المرفق بهذا .

مع تبليغ صورة من أمرنا هذا لفروع الجامعة المختصة ،،

مدير الجامعة



15 يناير 1943 م، المستند به ختم عميد الأدب العربي أ. د طه حسين.

طلب رقم ١

طلب [illegible] الموظفة [illegible] ١٣ [illegible]
[illegible] حساب [illegible] القانون رقم
٢٩ الصادر في ٢٨ [illegible] ١٩٢٩

[illegible] الإسكندرية
[illegible]

أنا الموظفة [illegible] الدكتورة فاطمة سالم سيف
[illegible] القانون رقم ٢٩ الصادر في ٢٨ [illegible] ١٩٢٩
أقر بأني أقبل المعاملة [illegible] جميع مدة [illegible] المؤقتة
[illegible] المادة [illegible] المستحقة [illegible]
[illegible] ٢٧٦ [illegible]
[illegible] إنني [illegible] المعاملة بالقانون المتقدم ذكره
[illegible]
تحريراً في ٢٥/٩/١٩٥٧

الإمضاء
فاطمة سالم سيف

أقر بأن هذا الطلب قدم في ٢٥/٩/١٩٥٧

عميد الكلية [illegible]

25 سبتمبر 1957 م.

١٦١

١٤/١/١ ١٢٢

جامعة الاسكندرية
ادارة المستخدمين

امر رقم ٢٦٦٩ بتاريخ ٨/١٠/١٩٥٧

٨٩٤٤ ٧

الى ادارة المستخدمين

بعد الاطلاع على امر الجامعة رقم — بتاريخ — بتثبيت

السيد / الدكتوره فاطمه سالم سيف في وظيفته اعتبارا من ١/١/١٩٤٢

وعلى الاستمارة رقم "واحد" نمرة " المرفقة والموضح بها مدة خدمة سيادته الموقته

وعلى الاقرار المرفق المقدم من سيادته بقبول سداد الاحتياطي المستحق عليه

على ... [illegible]...

ليتعــــدوا

أولا = حساب المدة التى قضاها سيادته بصفة موقته وقدرها ٢٢ يوم ١١ شهر ٥ سنة فى المعاش.

ثانيا = خصم احتياطي المعاش المستحق عن هذه المدة بواقع ٧,٥ ٪ على اقساط شهرية لمدة [illegible] بواقع القسط الشهري مبلغ ٢٧٦/- مليمجنيه وذلك اعتبارا من ٢٢/٩/١٩٥٦ لغاية [illegible] على ان يراعى تحصيل القسط المذكور مضاعفا اى بواقع ٧٥٢/- مليم جنيه فى المدة من اكتوبر ١٩٥٧ لغاية [illegible] ١٩٦٢

وفى تاريخه اخطرت الجهات المختصة.

سامى / [illegible] ١٠/٥ ١٠/٧ المراقب العــام

8 اكتوبر 1957م.

٨١

مصلحة التأمين والمعاشات

وزارة: التعليم العالي
مصلحة: كلية الآداب - الاسكندرية

استمارة رقم ٦ تامين ومعاشات
رقم الوحده الحسابيه:
رقم الموظف:

اسم الموظف ولقبه بالكامل: الدكتور ناصر سالم سيف

يذكر الاسم فالاب فالجد حسب ماهو وارد بشهادة الميلاد مع ذكر اسم الشهره ان وجد.

تاريخ الميلاد: ٢ مارس ١٩١١ [illegible]

عنوان الموظف الذى ترسل اليه الاستمارة: كلية الآداب - الاسكندرية - [illegible]

اقرار

أقر باننى اقبل تعيين المستفيدين من مبالغ التامين التى تستحق من صندوق التامين والمعاشات فى حالة وفاتى على الوجه الاتى :-

اسم المستفيد بالكامل يذكر اسم الاب والجد والشهره ان وجد	(١) نوعه	درجة قرابته للموظف	نسبة مايخصه من مبلغ التعويض بالارقام بالحروف	ملاحظات
علية سالم [illegible]	انثى	ابنة [illegible]	كل المبلغ [illegible]	

تحريرا فى ٢/٤/١٩٦٦

توقيع الموظف
ناصر سالم سيف

خاتم الجمهوريه

نظارا

الرئيس المباشر

(١) يقصد بالنوع بيان اذا كان المستفيد ذكرا ام انثى

بيانات تحرر بمعرفة مصلحة التامين والمعاشات

رقم صفحة السجل ٢٠٢ / ١ تاريخ التسجيل ٨/ ١٩٦٦

روجعت البيانات الوارده بهذه الاستمارة وقيدت بالسجل الخاص ٨/٦ /١٩٦٦

/ / ١٩٦

رئيس القسم يعتمد،،

المدير العام

الهيئة العامة للتأمين والمعاشات

بيانات تقدير المركز المالي للهيئة في ١٩٦٨/٦/٣٠

تستوفى بيانات هذه الصفحة بمعرفة العامل

(أولا) بيان الحالة الاجتماعية للعامل

في ١٩٦٨/٦/٣٠

الاسم الدكتورة فاطمة سالم النوع ذكر / أنثى

الحالة الاجتماعية (أعزب / متزوج / أرمل / مطلق) لم تتزوج

الدرجة مساعد المجموعة الوظيفية

تاريخ الميلاد ١٩١١ مارس

بيانات تترك خالية					
16 - 18	6 - 14	5	4	3	1-2
	/			٢	٠٢

رقم مسلسل	١ سنة ميلاد الزوجة (**) أو الزوجات الحاليات	٢ سنة ميلاد الأولاد الذكور الذين يعولهم العامل حاليا	٣ سنة ميلاد البنات الغير متزوجين اللاتي يعولهم العامل حاليا	٤ بيانات أخرى لمن يعولهم العامل: درجة القرابة (*)	٤ بيانات أخرى لمن يعولهم العامل: سنة الميلاد
١					
٢					
٣					
٤					
٥					
٦					
٧					
٨					
٩					
١٠					

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

(*) المقصود بدرجة القرابة (والد — والدة — أخ — أخت) .

(**) يدرج تاريخ ميلاد الزوج بالنسبة للعاملات المتزوجات .

ملاحظة : الأرقام المكتوبة بالأفرنجي أرقام إحصائية .

تحريرا في ٢٤ / ٣ سنة ١٩٦٩

توقيع العامل
فاطمة سالم

24 مارس 1969 م.

(ثانيا) البيانات المتعلقة بالناحية الوظيفية للعامل

بيانات تترك خالية

4	3	1 - 2
	١	٠٢
5		
6 - 11		
/		

الاسم: دسفاطمه الحسيني كرك/أنثى

الجهة التابع لها: وزارة التربية والتعليم مصلحة/هيئة عامة الإسكندرية إدارة الإدارة

قانون المعاملة المالية: ٣٧ لسنة ١٩٢٩ / ٥٠ لسنة ١٩٦٣

رقم العامل: ٢٧ لـ ١٩٢٩ /

أولا — بيانات عن تاريخ الميلاد والمرتب الشهرى

تاريخ الميلاد	تاريخ الالتحاق بالخدمة	الدرجة المالية في ١٩٦٨/٦/٣٠	المرتب الشهرى في ١٩٦٣/٦/٣٠		المرتب الشهرى في ١٩٦٨/٦/٣٠		السن المحددة للتقاعد
30 - 31		28 - 29	22 - 27		16 - 21		15
			مليم	جنيه	مليم	جنيه	
١٩١١/٢/٢	١٩٢٦/١٠/١	٣ كادر	—	٨٧	٠٢٥	١٢٤	٦٠

ثانيا — بيانات مدد الخدمة من تاريخ الالتحاق بالخدمة حتى ١٩٦٨/٦/٣٠

١/١٠٠						١/٧٥						١/٥٠						١/٤٥					
من		الى		المدة		من		الى		المدة		من		الى		المدة		من		الى		المدة	
شهر	سنة	شهر	سنة	شهر	سنة	شهر	سنة	شهر	سنة	شهر	سنة	شهر	سنة	شهر	سنة	شهر	سنة	شهر	سنة	شهر	سنة	شهر	سنة
				44 - 47						40 - 43						36 - 39						32 - 35	
												١٠	٢٦	٦	٦٧	٩	٢٧						

المقصود بمدد الخدمة في المعاش بواقع ... مدة الاعارة وما عاثلها التى لم يشترك عنها العامل .

ثالثا — الأقساط المستحقة للهيئة

مدة سابقة				مدة اعتبارية				رد مكافأة				أقساط اعارة			
قيمة القسط		تاريخ انتهاء الخصم		قيمة القسط		تاريخ انتهاء الخصم		قيمة القسط		تاريخ انتهاء الخصم		قيمة القسط		تاريخ انتهاء الخصم	
73 - 77		69 - 72		64 - 68		62 - 63		57 - 61		55 - 56		50 - 54		48 - 49	
مليم	جنيه	شهر	سنة	مليم	جنيه	شهر	سنة	مليم	جنيه	شهر	سنة	مليم	جنيه	شهر	سنة
٢٧٦	—														

تحريرا في ... سنة ١٩٦٩م

توقيع مراقب / مدير شئون العاملين

1 يونيو 1969 م.

شهادة

تشهد جامعة الإسكندرية أن [illegible] الدكتورة فاطمة [illegible] سالم [illegible] أستاذ [illegible] الدراسات الأوروبية القديمة بكلية الآداب [illegible] من [illegible] [illegible] حصلت [illegible] الحاصلة على المؤهلات الآتية:

1- [illegible] سنة 1933 [illegible] الدراسات [illegible] من جامعة القاهرة.
2- [illegible] المعهد العالي للبنات سنة [illegible]
3- درجة الماجستير سنة [illegible] في [illegible] من قسم الدراسات اللاتينية واليونانية من جامعة القاهرة.
4- درجة الدكتوراه [illegible] في اللغة اللاتينية.

كما أنها شغلت الوظائف التالية:

1- [illegible] وزارة التربية والتعليم سنة [illegible]
2- عينت في وظيفة [illegible] بكلية الآداب بجامعة القاهرة في [illegible]
3- [illegible] بكلية الآداب بالجامعة في [illegible]
4- عينت في وظيفة [illegible] مساعدة بالكلية في [illegible]
5- [illegible]

[illegible] قسم الدراسات الأوروبية القديمة في الفترة من [illegible] حتى [illegible]

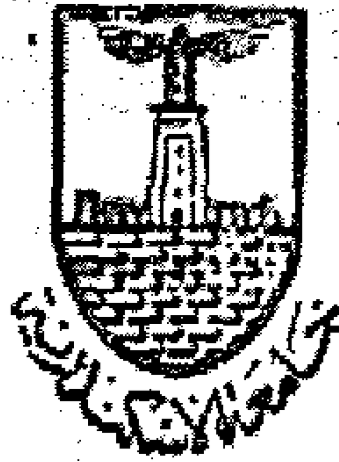
[illegible] هذه الشهادة [illegible]

[illegible]

أمين الجامعة

[illegible]

21 أبريل 1970 م.



مكتب المدير

/١/ع

بسم الله الرحمن الرحيم

١٠٤

١٩٧١/١/٦

السيد وزير التعليم العالى

تحية طيبة وبعد ،

أتشرف بأن أنهى الى سيادتكم أن الاستاذ ، الدكتوره فاطمة سالم سيف ــ الاستاذه بقسم الحضارة اليونانية والرومانية بكلية الآداب ــ تبلغ السن القانونية للاحالة الى المعاش فى ١٩٧١/٣/٣ ، وتقدمت بطلب للموافقة على استقالتها من العمل بالجامعة اعتبارا من ١٩٧١/١/١ .

وقد وافق مجلس الجامعة بجلسته المنعقدة فى ١٩٧٠/١٢/٢٢ ــ بناء على موافقة كلية الآداب ــ على قبول استقالتها اعتبارا من ١٩٧١/١/١ .

وانى ارجو سيادتكم التفضل بالموافقة على ذلك .

وتفضلوا سيادتكم بقبول فائق الاحترام ،،

مدير الجامعة

١٩٧٠/١٢/٢٧

(دكتور حسن أحمد بغدادى)

٧٠/١٢/٣٠

٧١/٧٦

30 ديسمبر 1970 م.



٢٩ شارع سنان
المهندسين
الدقي - القاهرة
١٩٧١/١/٥

الأستاذ الجليل عميد كلية الآداب

تحية واحترامًا وبعد فمناسبة
قبول استقالتي أرجو التفضل بتحويل ما
استحق من أوراق أو تأمين أو معاش
الى البنك الاهلي فرع جامعة القاهرة بالجيزة
وتفضلوا سيادتكم بقبول خالص شكري وأطيب تمنياتي

المخلصة
فاطمة سالم سيف

٢٧٨
٧١/١/١٨

إلى السيد المراقب للتنفيذ [illegible]
١٩٧١/١/١٨

[illegible]

يورد
هـ

5 يناير 1971 م.

جامعة الاسكندرية

ادارة شئون العاملين

٨٩/١/٢

امر

رقم ٤٢٦ بتاريخ ١٧/١/٧١

الى ادارة شئون العاملين :

بعد الاطلاع على موافقة مجلس الجامعة بجلسته المنعقدة فى ١٩٧٠/١٢/٢٦ بناء على موافقة كلية الآداب على قبول الاستقالة المقدمة من الاستاذة الدكتورة فاطمة سالم سيف الاستاذ بقسم الحضارة اليونانية والرومانية بكلية الآداب اعتبارا من ١٩٧١/١/١.

وعلى موافقة السيد وزير التعليم العالى على ذلك بتاريخ ١٩٧٠/١٢/٣٠ .

يعتمد :

انهاء خدمة الاستاذة الدكتورة فاطمة سالم سيف الاستاذ بقسم الحضارة اليونانية والرومانية بكلية الآداب اعتبارا من ١٩٧١/١/١ لاستقالتها .

وفى تاريخه اخطرت الجهات المختصة .

مراقب الشئون الادارية

فايزه/

18 يناير 1971 م.

١٢/٦

٢٩ شارع [illegible]
المهندسين الدقي
القاهرة
١٩٧١/١/٢٤

السيد الفاضل عبد العزيز معروف
أمين جامعة الإسكندرية

تحية واحتراما وبعد وقد قبلت الكلية استقالتي
اعتبارا من ١٩٧١/١/١ أرجو أن تتفضلوا باستعجال صرف
ما يستحق من ادخار أو معاش وإرساله إلى البنك الأهلي
فرع جامعة القاهرة بالجيزة
وأنتهز هذه الفرصة لأقدم لسيادتكم أطيب تمنياتي بالعام
الجديد وأصدق شكري واحترامي

المخلصة
فاطمة سالم سيف

تؤشر للمالية لاتخاذ اللازم
والرد على سيادتها
٧١/١/٢٧

24 يناير 1971 م.

كلية الآداب

مكتب العميد

الإسكندرية في .... سنة ١٩٦

شـــــهادة

تشهد كلية الاداب جامعة الاسكندرية ان الاستاذة الدكتورة / فاطمة سالم سيف أستاذة قسم الدراسات الاوربية القديمة بكلية الاداب بالجامعة انها من مواليد ١٩١١/٣/٢ بجزيرة زنجبار وأنها مصرية الجنسية وحاصلـــة على المؤهلات الاتية :

١ـ ليسانس الاداب سنة ١٩٣٢ (قسم الدراسات اليونانية واللاتينية) من جامعة القاهرة.

٢ـ دبلوم معهد التربية العالي للبنات سنة ١٩٣٦

٣ـ درجة الماجستير سنة ١٩٤٢ في الهجاء الروماني من قسم الدراسات اللاتينية واليونانية من جامعة القاهرة.

٤ـ درجة الدكتوراه من جامعة لندن سنة ١٩٥٥ في اللغة اللاتينية.

كمـــا أنها شغلت الوظائف التاليـــة :

١ـ عينت بوزارة التربية والتعليم سنة ١٩٣٦.

٢ـ عينت في وظيفة معيدة بكلية الاداب بجامعة القاهرة في ١٩٣٧/٩/٢٧.

٣ـ عينت في وظيفة مدرسة بكلية الاداب بالجامعة في ١٩٤٢/٩/٢٧.

٤ـ عينت في وظيفة أستاذ مساعد بالكلية في ١٩٥٧/٤/٢١.

٥ـ عينت في وظيفة استاذ في ١٩٦٦/٧/٣١.

وقد قامت سيادتها برئاسة قســـم الدراسات الاوربية القديمة في المدة من ١٩٦٥/١١/١ حتى ١٩/١٠/١١ وقد انتدبت سيادتها لتدريس اللغة اللاتينية بقسم الحضارة اليونانية والرومانية في الفترة من اكتوبر ١٩٧١ الـــى ابريل ١٩٧٢ والفترة من اكتوبر ٧٢ الى ابريل ١٩٧٣.

وقد أعطيت لها هذه الشهادة لتقديمها الى الجامعة الليبية بناء على رغبتها دون أن يكون هناك أدنــــى مسئولية على الكلية.

عميد الكلية

(د. محمد زكي العشماوي)

1 مارس 1975 م.

وزارة ...... [illegible] ...... تاريخ الميلاد أو السن تقريباً [illegible]

المصلحة الحالية ...... [illegible] ...... من واقع ...... [illegible] ......

الاسم [illegible] ...... قانون المعاشات ...... ١٩٢٩ ......

كشف ببيان مدة الخدمة المؤقتة التي قضاها بالخزينة ... قبل تعيينه بصفة دائمة والمبالغ المستقطعة منها للمعاش بمقتضى القانون رقم ٣٩ الصادر بتاريخ ٨ مايو ١٩٢٩

المصلحة	الوظيفة	مدة الخدمة بصفة سنة سنة: سنة	من	إلى	شهر	أيام	الماهية الشهرية: مليم	جنيه	جملة الماهيات: مليم	جنيه	٢٪ أو الباقي المستقطعة: مليم	حسنة	ملاحظات
وزارة المعارف	مدرسة [illegible]	١٩٢٦	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]		١٥	٦١٥	[illegible]	[illegible]		[illegible] ١٩٤٦
		١٩٢٧	[illegible]	[illegible]	[illegible]			١٥		١٨٠			[illegible]
		[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]			١٥		١٨٠			[illegible]
		١٩٢٩	[illegible]	[illegible]	[illegible]			١٥		١٨٠			[illegible]
		[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]			١٥		١٨٠			[illegible]
		[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]			١٥		[illegible]			[illegible]
		[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]		٥٠٠	١٦		[illegible]			
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]		٥٠٠	١٦	٥٠٠	[illegible]			

[illegible]

توقيع الموظف المسئول ...... [illegible] ختم المصلحة [illegible] ......

مليم حسنه

...... القسط السنوي المستحق على ...... بمقتضى القانون رقم ٣٩ لسنة ٩٢٩ يؤدى على أجزاء شهرية قيمة
مليم حسنه
الواحد منها ...... فقط ...... ويخصم من ...... سنة ١٩ مع ملاحظة ما جاء بمنشور المالية رقم ٤ لسنة ١٩٢٤
الخاص بتحصيل متأخر الأقساط .

تحريراً في ...... سنة ١٩ مراقب عام مستخدمي الحكومة والمعاشات ......

[illegible]

مستند طويل بتواريخ مختلفة.

تملأ البيانات الآتية عند فصل الموظف أو المستخدم أو وفاته

١ - تاريخ الفصل
٢ - سبب الفصل
٣ - هل هو من الطرف [illegible]
٤ - مجموع مدة الخدمة [illegible]
٥ - [illegible]
٦ - [illegible]
٧ - [illegible]
٨ - [illegible]
٩ - [illegible]

ملاحظات

[illegible]

النعي

نعي

(وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون.
أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون)
صدق الله العظيم

الدكتورة/ آسية بنت ناصر بن سيف البوعلي

الأستاذ المساعد بكلية الآداب والعلوم الاجتماعية.

قسم اللغة العربية بجامعة السلطان قابوس

وأساتذة كلية الآداب ، قسم الحضارة والآثار اليونانية والرومانية /جامعة الأسكندرية وأساتذة كلية الآداب ، قسما اللغة اللاتينية وآدابها واللغة العربية وآدابها /جامعة القاهرة

ينعون ببالغ الحزن والأسى

المغفور لها. بإذن الله تعالى.

الأستاذ الدكتور/

فاطمة بنت سالم بن سيف بن سعيد المعمري

أستاذ اللغة والأدب اللاتيني بكلية الآداب / جامعة الاسكندرية

سائلين الله العلي القدير أن يتغمد الفقيدة بواسع رحمته ويسكنها فسيح جناته ويلهم أهلها وذويها الصبر والسلوان

«إنا لله وإنا إليه راجعون»

النعي المنشور بصحيفة الوطن في 9 يوليه 2002م.

كلمة

غالب المعمري

رحيل رائدة عمانية في مجالي اللغة والأدب

فاطمة سالم المعمري

أول عمانية تحصل على شهادة الدكتوراه ومن مؤسسي القسم اللاتيني بجامعة الاسكندرية



غالب المعمري

لقد فاجأني وفجعني هذا الخبر في الوقت ذاته، ولكن ما باليد حيلة.

فالإنسان مهما طالت به السنون سيكون مصيره الموت، هو قدر لا مفر منه، فوراء كل حياة ثمة موت. هذا اللغز العجيب الذي ننقاد نحوه كبرنا او صغرنا، لا نعرفه، الا اننا ذاهبون دون رجعة،

ومنقادون بحبلة الفناء والتغيب.

فنحن لا نملك قدرا او حيلة للمراوغة فالنهاية طالت ام قصرت فالكائن البشري سينتقل من فوق التراب الى اسفله.

قد يموت الكائن بالفراق حيا، وقد يموت بالعزلة او التغيب وقد يموت وهو حي.

وقد يموت وهو يحيا بالسلالات. كل هذا يمس الفرد بذاته ولكن قد لا يموت الكائن البشري بفناء جسده فقط. وقد يحيا ويموت الآخرون، فهو مجسد في ذاته الكل وما عداه المنوفان. بل انه النطفة تحيا الحياة به وما عداه موت ونكرة للآخرين.

هناك بعض الافراد لا نعرفهم بعلومهم بل نخبرت سابقا بتلك الصفات، بل يحملون بما تركوه من ارث للإنسانية ومن عمل خلاق، ومن عمل يتجاوز النسب والقبيلة وضيق المنطقة الى افق ارحب للوطن والبشر دون تمييز.

اولئك هم قلة في عصر المال والبناء والحقد والحسد والضغينة والكراهية.

كذلك اولئك هم قلة الذين ينظرون الى انتاج المسافات للعمل الذي يخلد للإنسانية انسانيتها وللابداع مكانته وللجهد حصيلته وللعطاء نتائجه.

لكن مهما دارت الدنيا بواكرها وحبائلها فالإنسان المجتهد لا تذر الريح عطاءه وعمله.

فالفرد الذي يعمل في مجال العلم والتدريس والاشتغال المعرفي خصوصا لا تظهر نتائج اجتهاده آنيا وقد تظهر عبر سنوات واجيال وقد تظهر اجتهاداته واشتغالاته المعرفية وجهوده البحثية وسبقه المعرفي عبر الدارسين والباحثين والمتخصصين في هذا الحقل او ذاك.

هذا ما أفادني بالكتابة بشكل سريع عن احد هؤلاء الباحثين والمشتغلين في المجال الاكاديمي ايضا الذين لا نعرف عنهم في سلطنة عمان الا القليل.

لقد فجعني حقا وفاة الاستاذة الدكتورة فاطمة بنت سالم بن سيف بن سعيد المعمري هذه الاستاذة تبوأت مكانة قلما تبوأتها امرأة في عمان والجزيرة العربية قاطبة ولا يضاهيها في ذلك الجهد من جهة اخرى الا السيدة سالمة بنت سعيد بن سلطان صاحبة كتاب «مذكرات اميرة عربية». لا بد من الاشارة الى ان هناك نساء عمانيات (قديما) كتبن سيرة حياتهن كقائدات ومسؤولات لهن مكانتهن مطلقة هذه الارض ولكن يحتجن الى من يظهر عملهن الفذ ضمن مشاريع دراسية وبحثية مستقبلا.

شيء رائع ان تحتوا عمانية بمستوى اكاديمي متميز ومختلف وراق مكانة خاصة بكادر جامعة في جمهورية مصر العربية مكانة ومن اهم الجامعات العربية عموما وهي جامعة الاسكندرية. فالدكتورة فاطمة بنت سالم المعمري اجتهدت اجتهاد العلماء لتصل الى هذه المكانة الأكاديمية المرموقة التي يطمح اليها الكثير من الدارسين حضورها والمستحقين شهاداتها.

فالدكتورة فاطمة المعمري اول امرأة عمانية تحصل على شهادة الدكتوراه ومن مؤسسي قسم الأدب اللاتيني بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية واصبحت استاذ كرسي اللغة والأدب اللاتيني بتلك الجامعة.

شخصيا لم التق الدكتورة فاطمة مطلقا خلال حياتها فقط قرأت نعي وفاتها يوم امس بصحيفة «الوطن».

فقد كنت اسمع عنها الكثير وانها باجتهادها نافست الرجال مثلها مثل زميلتها الدكتورة سهير القلماوي وغيرهن من الرائدات في الوطن العربي في موقع لم يكن فيه للنساء حظوة ولا مكانة ولكن مع الاصرار لتحقيق الطموحات، فهي خلدت اسمها في مكانة اكاديمية لا تخطئها عين محب او حاسد.

رحم الله الاستاذة الدكتورة فاطمة بنت سالم المعمري في الدنيا والآخرة.

مقال نشر بجريدة عُمان يوم الخميس الموافق 11 /7 /2002م.

OMAN/REGION

OMAN DAILY Observer
SATURDAY, DECEMBER 6, 2008

Prestigious award for Omani scholar

MUSCAT — The organisers of the Festival and Meeting Forum of the Arab Pioneers and Inventors scheduled to be held in Damascus from 20-22 this month, under the auspices of Syrian President Dr Bashar al Asad, and under the auspices of the Arab League and the Ministry of Culture in Syria, have decided on its third session to honour the Omani pioneer Professor Fatma al Mammary in the field of invention, research and academic career based on her biography documented by Dr Asyah bint Nasser al Bualy in a book titled *The Pioneer: Professor Fatma bint Salem bin Seif al Mammary*; (1911-2002), a historical, documentary and academic study issued in February 2008, by the Ministry of Heritage and Culture in Muscat.



OMANI scholar the late Professor Fatma al Mammary

On this occasion the organisers have addressed an official invitation to Dr Asyah al Bualy, Adviser for Culture and Humanities at the Research Council, to attend the occasion in order to receive the merit certificate and the award of honour on behalf of her grandmother the late professor Fatma al Mammary.

It is worth mentioning that the Omani pioneer obtained her PhD in Latin from London University in 1955. She is considered the second woman in the whole of Middle East to acquire such a certificate and the first person in the whole of the Gulf region. She was awarded several times during her lifetime for being one of the pioneers of the 20th century including a golden medal in 1978 from the former president of Egypt, Mohammed Anwar Alsadat. Moreover, the above mentioned book is currently in the process of being translated into English.

خبر تكريم فاطمة سالم بدمشق بمختلف الصحف العُمانية الصادرة باللغة الانجليزية ديسمبر 2008م.

2 TIMES OF OMAN

Saturday, December 6, 2008

OMAN

Late Omani pioneer to be honoured in Syria for research and academics

Times News Service

MUSCAT — Syria will organise a Literary Festival and a Forum of Arab Pioneers and Inventors in Damascus from December 20-22 under the auspices of Dr Bashar Al Assad, president of Syria, which will honour the late Omani pioneer, Professor Fatma Al Maa'mary, in the field of invention, research and academics.

The function is being held under the auspices of the Arab League and the Ministry of Culture in Syria.

The honour is being bestowed on the late Fatma based on her biography documented by Dr Asyah bint Nasser bin Saif Al Bualy in a book titled *The Pioneer, Professor Fatma bint Salem bin Saif Al Maa'mary (1911-2002) — A Historical, Documentary and Academic Study* — issued in February 2008, by the Ministry of Heritage and Culture in Muscat.



VERSATILE: Professor Fatma

On this occasion, the organisers of the festival have invited Dr Asyah Al Bualy, adviser for culture and humanities at the Research Council, to attend the function and receive the merit certificate and honour on behalf of her grandmother, the late Professor Fatma Al Maa'mary.

The Omani pioneer obtained her PhD in Latin from London University in 1955. She is considered the second woman in the whole of the Middle East and the first person in the whole of the Gulf region to obtain such a certificate.

She was presented with many awards during her lifetime for being one of the pioneers of the 20th century, including a gold medal in 1978 from Mohammed Anwar Al Sadat, former president of Egypt. Moreover, the book on Fatma is currently in the process of being translated into English.

3

OMAN TRIBUNE

SUNDAY, DECEMBER 7, 2008

Syrian president to honour Omani scholar posthumously

By A Staff Reporter

OMAN TRIBUNE

MUSCAT Omani scholar, late Prof. Fatma Bint Salim Al Mammari will be honoured with a merit certificate and an award for her pioneering work in the field of research.

The award presentation will take place at the third session of the Forum of the Arab Pioneers and Inventors to be held in Damascus from Dec. 20 to 22 under the auspices of Syrian President Dr Bashar Al Asad.

Fatma obtained her Ph.D in Latin from London University in 1955. And she



Fatma

is considered the second woman in the Middle East and the first in the Gulf to get such a certificate. She received several awards during her lifetime for being one of the pioneers of the 20th century including a gold medal in 1978 from president of Egypt, Anwar Al Sadat.

An official invitation has been extended to Dr Asyah Al Bualy, adviser for Culture and Humanities at the Research Council to receive the merit certificate and the award of honour on behalf of her grand mother, the late Fatma at the forum.

Fatma's work has been brought out in a book, *The Pioneer: Prof Fatma Bint Salim Al Mammari (1911-2002)*, a documentary and academic study published by the Ministry of Heritage and Culture in Muscat in February 2008.

السبت ٧ من ذي الحجة ١٤٢٩ هـ الموافق ٦ من ديسمبر ٢٠٠٨م العدد (٩٢٦١) السنة الـ٣٨
SATURDAY 6 DECEMBER 2008 - NO: (9261) - VOL38
الوطن ٢٢
ALWATAN Culture and Art

ملتقى الرواد والمبدعين العرب بدمشق يكرم الراحلة فاطمة بنت سالم المعمري


■ فاطمة بنت سالم

قرر مهرجان وملتقى الرواد والمبدعين العرب، في دورته الثالثة والمنعقد من ٢٠ إلى ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٨م بدمشق، تحت رعاية الرئيس السوري الدكتور بشار الأسد وتحت رعاية جامعة الدول العربية وبالتعاون مع وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية تكريم الرائدة العُمانية الراحلة الأستاذة الدكتورة: فاطمة المعمري في مجال الإبتكار والبحث العلمي والعمل الأكاديمي وذلك بناء على سيرتها المقروءة من كتاب "الرائدة الأستاذة الدكتورة فاطمة بنت سالم بن سيف المعمري(١٩١١–٢٠٠٢) : دراسة تاريخية وثائقية أكاديمية" طبعة وزارة التراث والثقافة، فبراير ٢٠٠٨م، مسقط. وقد تم توجيه دعوة رسمية لمؤلفة الكتاب الدكتورة آسية بنت ناصر بن سيف البوعلي مستشار الثقافة والعلوم الإنسانية بمجلس البحث العلمي، لحضور المهرجان وتسلم درع التكريم، فضلا عن شهادة تقدير نيابة عن الراحلة جدتها

جدير بالذكر أن الرائدة العُمانية فاطمة المعمري حصلت على الدكتوراه في اللغة اللاتينية وآدابها من جامعة لندن عام ١٩٥٥م، وهي ثاني امرأة في الوطن العربي تحصل على الدكتوراه وأول من حصل على هذه الشهادة في منطقة الخليج العربية ، تم تكريمها عدة مرات إبان حياتها من ذلك ميدالية ذهبية عام ١٩٧٨ من قبل الرئيس الراحل محمد أنور السادات، بوصفها رائدة من رائدات القرن العشرين.

عُمان
السبت ٧ من ذي الحجة ١٤٢٩هـ الموافق ٦ من ديسمبر ٢٠٠٨م العدد ١٠٠٤٩
SATURDAY 6 DECEMBER 2008 ISSUE 10049
الثقافي

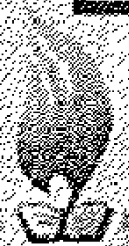
تكريم فاطمة المعمرية في دمشق


د.فاطمة المعمرية

قرر مهرجان وملتقى الرواد والمبدعين العرب في دورته الثالثة، والمنعقد من ٢٠ الى ٢٢ ديسمبر الجاري في دمشق، تحت رعاية جامعة الدول العربية، وبالتعاون مع وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، تكريم الرائدة العُمانية الدكتورة: فاطمة المعمرية في مجال الابتكار والبحث العلمي والعمل الأكاديمي، وذلك بناء على سيرتها المقروءة من كتاب «الرائدة الأستاذة الدكتورة فاطمة بنت سالم بن سيف المعمرية (١٩١١-٢٠٠٢): دراسة تاريخية وثائقية أكاديمية» طبعة وزارة التراث والثقافة، فبراير ٢٠٠٨م، مسقط. وتم توجيه دعوة رسمية لمؤلفة الكتاب الدكتورة آسية بنت ناصر بن سيف البوعلي مستشارة الثقافة والعلوم الانسانية بمجلس البحث العلمي، لحضور المهرجان وتسلم درع التكريم، فضلاً عن شهادة تقدير نيابة عن الراحلة جدتها.

جدير بالذكر أن الدكتورة فاطمة المعمرية حصلت على الدكتوراه في اللغة اللاتينية وآدابها من جامعة لندن عام ١٩٥٥م، وهي ثاني امرأة في الوطن العربي تحصل على الدكتوراة، وأول من حصل على هذه الشهادة في منطقة الخليج العربية، وقد تم تكريمها عدة مرات ابان حياتها، من ذلك ميدالية ذهبية عام ١٩٧٨م من قبل الرئيس الراحل محمد أنور السادات، بوصفها رائدة من رائدات القرن العشرين.

خبر تكريم فاطمة سالم بدمشق بمختلف الصحف العُمانية الصادرة باللغة العربية ديسمبر 2008م.



١٤ الشبيبة Al Shabiba السبت ٦ ديسمبر ٢٠٠٨م - العدد: ٤٩٠٢
Sat 6 Dec. 2008 - Issue :4902

ثقافة وفنون

لجهودها في الابتكار والبحث العلمي والعمل الأكاديمي

دمشق تكّرم الرائدة العمانية الراحلة فاطمة المعمرية

مسقط - الشبيبة:

تحت رعاية الرئيس الدكتور بشار الأسد وتحت رعاية جامعة الدول وبالتعاون مع وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية سيقام مهرجان وملتقى الرواد والمبدعين العرب بدمشق في الفترة من ٢٠ إلى ٢٢ ديسمبر الجاري والذي قرر في دورته الثالثة تكريم الرائدة الراحلة الأستاذة الدكتورة: فاطمة بنت سالم بن سيف المعمرية في مجال الابتكار والبحث العلمي والعمل الأكاديمي وذلك بناءً على ما تبين من سيرتها عبر كتاب الرائدة الأستاذة الدكتورة فاطمة بنت سالم بن سيف المعمرية (١٩١١-٢٠٠٢): دراسة تاريخية وثائقية أكاديمية طبعة وزارة التراث والثقافة، فبراير ٢٠٠٨م، مسقط. وبهذه المناسبة تم توجيه دعوة رسمية لمؤلفة الكتاب الدكتورة آسية بنت ناصر بن سيف البوعلي مستشارة الثقافة والعلوم الإنسانية بمجلس البحث العلمي، لحضور المهرجان وتسلم درع التكريم وكذا شهادة تقدير نيابة عن المرحومة جدتها.

غني عن البيان أن الرائدة العمانية فاطمة المعمرية حصلت على الدكتوراه في اللغة اللاتينية وادابها من جامعة لندن عام ١٩٥٥م .هي ثاني امرأة في الوطن العربي تحصل على الدكتوراه وأول من حصل على هذه الشهادة في منطقة الخليج العربية، تم تكريمها عدة مرات إبان حياتها من ذلك ميدالية ذهبية عام ١٩٧٨ من قبل الرئيس الراحل محمد أنور السادات، بوصفها رائدة من رائدات القرن العشرين.



■ فاطمة المعمرية

الزمن السبت 6 ديسمبر 2008

في ملتقى الرواد والمبدعين العرب بدمشق

تكريم الراحلة الدكتورة فاطمة المعمري



الدكتورة الراحلة: فاطمة المعمري



د. آسية البوعلي

مسقط - الزمن:

يعقد في الفترة من 20 إلى 22 ديسمبر الحالي مهرجان وملتقى الرواد والمبدعين العرب دورته الثالثة بدمشق وذلك تحت رعاية الرئيس الدكتور بشار الأسد، وكذا تحت رعاية جامعة الدول العربية وبالتعاون مع وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية.

وقد قرر المهرجان تكريم الرائدة العمانية الراحلة الأستاذة الدكتورة فاطمة المعمري في مجال البحث العلمي والعمل الأكاديمي، اعتماداً على سيرتها المدونة بكتاب "الرائدة الأستاذة الدكتورة فاطمة بنت سالم بن سيف المعمري (1911-2002): دراسة تاريخية وثائقية أكاديمية" طبعة وزارة التراث والثقافة فبراير 2008 بمسقط. وعليه فقد تم توجيه دعوة رسمية لمؤلفة الكتاب الدكتورة آسية بنت ناصر بن سيف البوعلي مستشار الثقافة والعلوم الإنسانية بمجلس البحث العلمي بمجلس البحث العلمي، لحضور المهرجان وتسلم درع التكريم بالإضافة إلى شهادة تقدير نيابة عن الراحلة جدتها.

الجدير ذكره أن الرائدة العمانية حصلت على شهادة الدكتوراة في اللغة اللاتينية وادابها عام 1955 من جامعة لندن وهي تعد ثاني امرأة على مستوى الشرق الأوسط تحصل على هذه الشهادة فضلا عن أنها أول من حصل على هذه الشهادة على مستوى النساء والرجال في منطقة الخليج العربي.

قد تم تكريمها من قبل إبان حياتها بميدالية ذهبية عام 1978م من قبل الرئيس الراحل محمد أنور السادات، بوصفها رائدة من رائدات القرن العشرين.

الاثنين ٢٣ من ذي الحجة ١٤٢٩ هـ. الموافق ٢٢ من ديسمبر ٢٠٠٨م. العدد: (٩٢٧٦). السنة الـ ٣٨ الوطن 23
MONDAY 22 DECEMBER 2008 - NO: (9276) - VOL38

ملتقى الرواد العرب بدمشق يكرم الراحلة فاطمة بنت سالم العمري

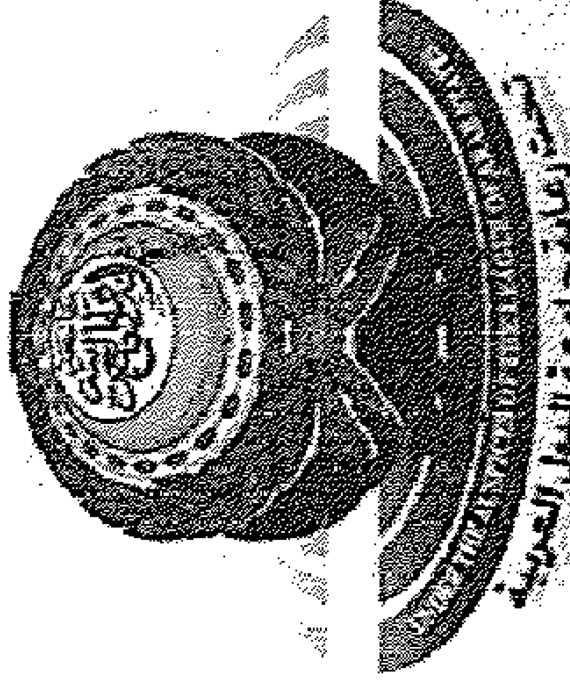
■ دمشق - العمانية: كرم مهرجان وملتقى الرواد المبدعين العرب المقام حاليا في العاصمة السورية دمشق عاصمة الثقافة العربية الراحلة العمانية فاطمة بنت سالم بن سيف المعمرية تقديرا لها على حصولها على أول شهادة دكتوراة في دول مجلس التعاون الخليجي عام ١٩٥٥ من جامعة لندن وثاني امرأة عربية تحصل على هذه الشهادة في اللغة اللاتينية وآدابها. وتسلمت الجائزة حفيدة الدكتورة الراحلة الدكتورة آسية البوعلي. وقد اصدرت حفيدتها الدكتورة اسية كتابا وثائقيا عن الراحلة الدكتورة فاطمة بعنوان (فاطمة بنت سالم بن سيف المعمري.. دراسة تاريخية وثائقية اكاديمية من عام ١٩١١ إلى عام ٢٠٠٢) وهو كتاب صدر في مسقط في شهر فبراير الماضي ألقت الضوء فيه عبر ثلاثة فصول على الإنتاج الإبداعي للراحلة والأثر الذي تركته منذ أن أسست قسم لاتيني والدراسات القديمة بجامعة الاسكندرية عام ١٩٦٠ والبحوث التي ترجمتها في الادب اللاتيني ونصوص المسرحيات.■

تحت رعاية السيد الرئيس

بشار الأسد

رئيس الجمهورية العربية السورية

مهرجان وملتقى الرواد والمبدعين العرب



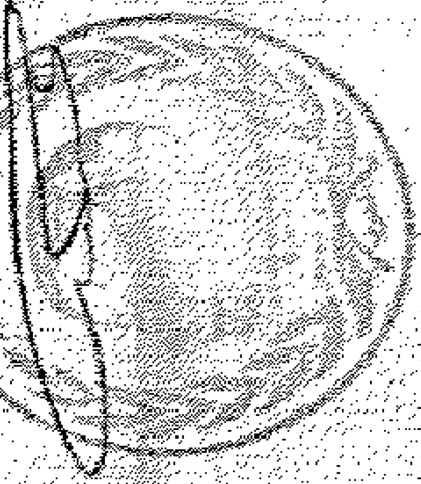
الأسم : أ.د فاطمة سالم سيف المعمري



إعترافاً وتقديراً بجهودكم في خدمة الوطن العربي

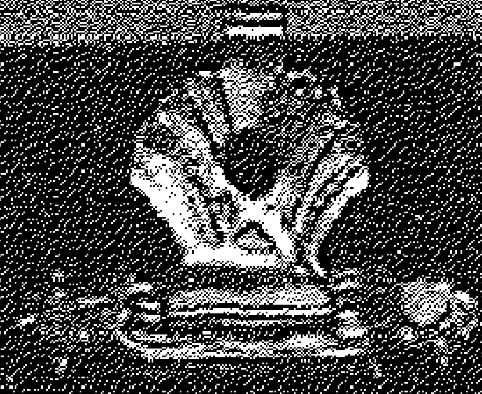
عبده محمد بلال

الأمين العام



دمشق - 2008

شهادة التكريم.


تحت رعاية السيد الرئيس
بشار الأسد
رئيس الجمهورية العربية السورية


مهرجان وملتقى الرواد والمبدعين العرب
اعتزازاً وتقديراً لجهودكم
في خدمة الوطن العربي

درع التكريم.



د. أسية البوعلي تستلم درع وشهادة التكريم بدمشق نيابة عن الراحلة: فاطمة سالم ديسمبر 2008م.







د. أسية البوعلي مع سعادة الدكتور: محمد بن سالم الشنفري، سفير سلطنة عُمان بسوريا.



د. أسية البوعلي مع الفنانين: سميحة أيوب و صباح فخري
دمشق، ديسمبر 2008م.

تكريم الراحلة أ.د فاطمة سالم بسلطنة عمان.

Sultanate of Oman
Ministry of Heritage & Culture
The Omani Encyclopedia Project



سلطنة عُمان
وزارة التراث والثقافة
مشروع الموسوعة العمانية

الرقم : م ع / ١٣١ / ٢٠٠٨م
التاريخ : ٢٧ من محرم ١٤٢٩هـ
الموافق : ٤ من فبراير ٢٠٠٨م

الدكتورة/ آسية بنت ناصر بن سيف البوعلي **المحترمة**
مجلس البحث العلمي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الموضوع / كتابة مداخل موسوعية

نظرا لإسهاماتكم العلمية المتميزة فإنه يشرف لجنة الموسوعة العمانية دعوتكم للإسهام فيها بالكتابة عن :

م	عنوان المدخل	حجم المدخل	عدد الكلمات
١	فاطمة بنت سالم بن سيف المعمري	صغير	٥٠٠

على أن يتم تسليم العمل خلال ثلاثة أشهر.

راجين منكم الاطلاع على "دليل المساهمين" المرفق الذي يحدد للكتاب معايير الكتابة الموسوعية المتبعة في كتابة نصوص الموسوعة، وموافاتنا بالموافقة كتابيا مشفوعة بسيرتكم الذاتية بما لا يتعدى صفحتين، كما نأمل منكم موافاتنا بأية مقترحات لمداخل أخرى ترونها مناسبة.

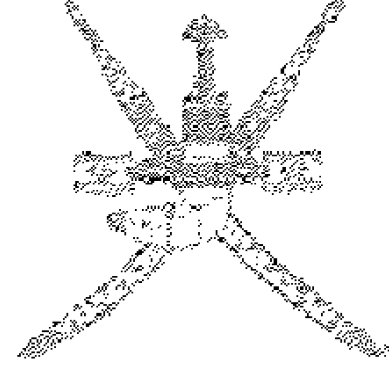
وتفضلوا بقبول فائق الاحترام والتقدير.

د.عبدالله بن ناصر الحراصي
رئيس لجنة الموسوعة العمانية

ص.ب : ١٤٢٣ العذيبة، الرمز البريدي : ١٣٠، سلطنة عُمان، هاتف : ٢٤٤٩٦٨٤٣/٢٤٤٩٦١٧٤، فاكس : ٢٤٤٩٧٥٨٢
P.O. Box : 1423 Al-Azaiba, Postal Code : 130, Sultanate of Oman, Tel.: 24496843/24496174, Fax : 24497582
E-mail : omanency@omantel.net.om : البريد الالكتروني

بسم الله الرحمن الرحيم

SULTANATE OF OMAN
MINISTRY OF INTERIOR
Wilayat of Ibra
Wali's Office



سلطنة عمان
وزارة الداخلية
ولاية ابراء
مكتب الوالي

الرقم : أب/١/ ٤٥ ٧
التاريخ : ١٨/ جمادى الأولى /١٤٣٠هـ
الموافق : ١٣/ مايــــو/٢٠٠٩م

الأخت الدكتورة / أسية بنت ناصر البو علي - المحترمة
مستشارة الثقافة والعلوم الإنسانية بمجلس البحث العلمي

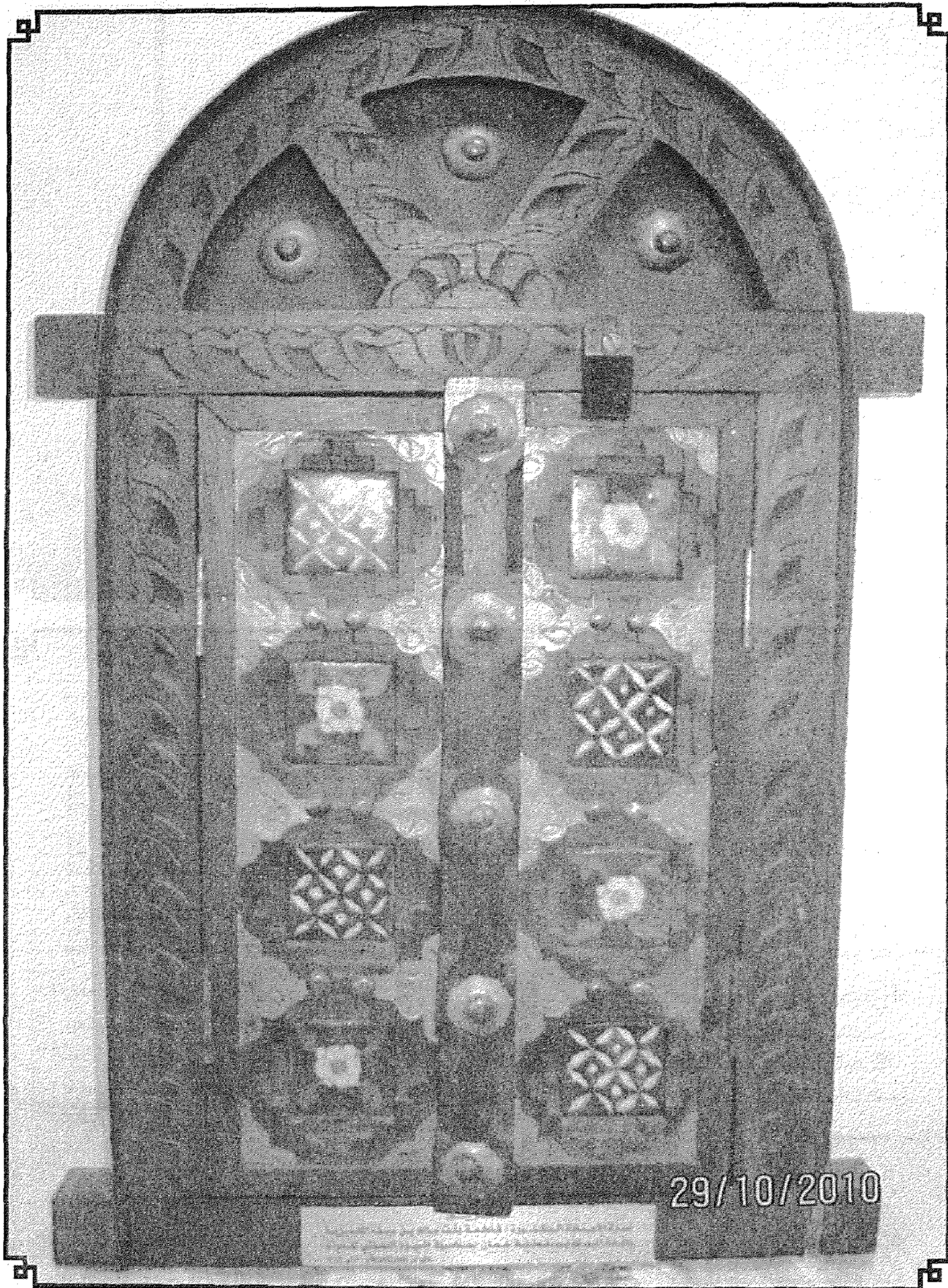
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،، وبعد :ـ

نرفق لكم درع التكريم الذي قدم لجدتكم الدكتورة الراحلة / فاطمة بنت سالم بن سيف المعمرية للتفضل باستلامه والكتيب المرفق عن سيرتها الذاتية مع من كرم من الرائدات بهذه الولاية بمناسبة اليوم العالمي للمرأة الذي أقيم هذا العام بهذه الولاية .

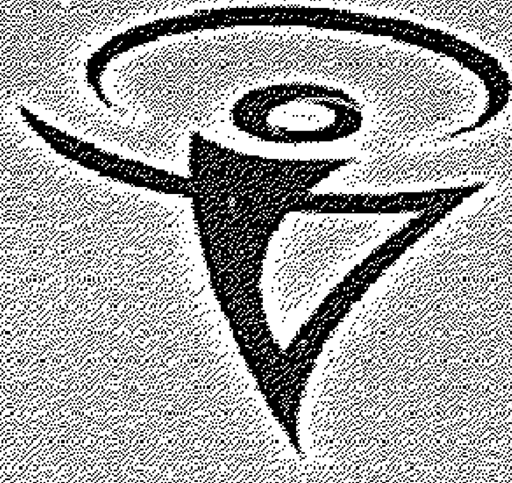
و تفضلوا بقبول فائق الإحترام ،،،

علي بن ناصر المحروقي
والي إبــــــراء

Tel.: 25571533- Fax: 25571222 - P.O.Box: 5 - P.C.: 413
هاتف: ٢٥٥٧١٥٣٣ - فاكس: ٢٥٥٧١٢٢٢ - ص.ب: ٥ - الرمز البريدي: ٤١٣
Website : www.moi.gov.om : الموقع الالكتروني



باب خشبي من ولاية إبرا بمناسبة يوم المرأه العالمي، 8 مارس 2009م.



لجنة التنمية الاجتماعية

بــولايــة إبــراء

كتيب خاص بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي للمرأة في إبراء ٨ مارس ٢٠٠٩م

إعداد : اللجنة الإعلامية

نساء رائدات من ولاية إبراء

الدكتورة فاطمه بنت سالم بن سيف المعمريه

عاصرت حركة التنوير بمصر ونالت الدكتوراه بلندن عام ١٩٥٥ والدتها هي: خديجة بنت عبدالله بن حمد البوسعيدي، ووالدها هو: سالم بن سيف بن سعيد المعمري، يرجع أصولها إلى قرية (المنزفه) بولاية إبراء) منطقة (الشرقية) سلطنة عمان، في ٨ نوفمبر ١٩٥٥ نالت فاطمة بنت سالم بن سيف المعمري شهادة الدكتوراه في الفلسفة من كلية الآداب في جامعة لندن البريطانية.

ولذلك تعتبر أول امرأة خليجية تحصل على الدكتوراة. وتلى ذلك في العام ١٩٦٦ حصلت على درجة الأستاذية بجامعة الإسكندرية المصرية كلية الآداب قسم الأوربية القديمة.

ولدت في ٣ مارس ١٩١١ في زنجبار، وانتقلت مع أسرتها إلى القاهرة عام ١٩٢٠ تعلمت في إحدى مدارس البنات في مصر حيث حصلت على شهادة الكفاءة –التي تسبق الثانوية العامة– في العام ١٩٢٧ وتعد بذلك ضمن أول ثماني طالبات حصلن على هذه الشهادة، ثم حصلت على الثانوية العامة في العام ١٩٢٩ وفي نفس العام التحقت بكلية الآداب بالجامعة المصرية (جامعة القاهرة حاليا). تخرجت سنة ١٩٣٣ حاصلة على الليسانس في الآداب، وفي العام ١٩٤٢ حصلت على الماجستير بمرتبة الشرف الثانية من نفس الجامعة.

وقد عملت الأستاذة الدكتورة فاطمة سالم سيف المعمري في مجالات تربوية متعددة في المدارس و الجامعات المصرية وعملت كذلك في جامعة بغداد بالعراق كما قامت بالتدريس أيضا في بلدها سلطنة عمان.

وضعت الدكتورة فاطمة عدد كبير من الأبحاث، وتم تكريمها في جمهورية مصر العربية و في سلطنة عمان.
توفيت – رحمها الله – في مسقط يوم الاثنين الموافق ل ٨ يوليو ٢٠٠٢

20 خطوة
مزون
٢٧-٢٩ شوال ١٤٣٠ الموافق ١٧-١٩ من اكتوبر ٢٠٠٩م
17-19 October 2009

شخصية زان سيرتها السوابق وشاركتها مواقفات وتحدثت عنها شخصيات، سيقالتها العمرية بمجتمعه القدرة الإنسانية العصرية بالقصر .. ذلك القصر ذراع مكانته فلم يدن منها: لإدراكه حقيقتها وعظم أمرها، حررت علما فترقى مستمسا في حقيقة سماء العهل، هادفة لزمانها، مصرحة بالقشول بمجولها المحاور عدوا

فاطمة المعمرية ..

رائدة في محراب العلم

[illegible]

بشخصيتنا هي الأستاذة الدكتورة فاطمة بنت سالم بن سيف المعمرية من والدي بلي عمن من ولاية سمائل، التي [illegible] عام ١٩٣٨م هاجرت إلى مصر، وفي القاهرة التحقت بمرحلة الروضة [illegible] اللغة تلك من تلك الإدارات مرحلة الثانوية – ليس في مصر فحسب – بل في الوطن العربي بأسره، فالتحقت مرحلة لين كانت في الإعدادية، حينها حصلت فاطمة المعمرية على الشهادة الإعدادية قررت وزارة التربية والتعليم بمصر ضم [illegible] صفحة ثماني معلمات كأسماء وتمثال معروفة في الوطن العربي، كونهن أول رعيل لثانوية الإناث على مستوى الوطن العربي، حصلت شهادة الثانوية العامة في القسم الأدبي، وفي ذات العام التحقت بالجامعة لتوجهها الأستاذ [illegible] الأدب [illegible]

■ عميد الأدب العربي ساندها

والسادات منحها وساما والأسد كرمها

■ مجلس الوزراء المصري يصدر قرارا

استثنائيا من أجلها

التخصص

كان اهتمام الدكتورة فاطمة بسالم يميل للغة الإنجليزية والفرنسية، كما أن دراستها لبدا التخصص لم [illegible] طه حسين لها نحو دراسة هذا [illegible] الأكاديمية [illegible] ثم أن الدكتورة فاطمة خدمت السلطنة [illegible] بعد ١٩٧٠م حيث عكفت على تأهيل أجيال متعاقبة من منتسبي قوات السلطان المسلحة اللغة الإنجليزية.

مناصب

تقلدت وظائف عديدة ونالت عددا من الأوسمة، بدءا [illegible] معلمة للغة الإنجليزية بمدرسة السنية والتي [illegible] بمدرسة الأميرة [illegible] ثم عملت بجامعة القاهرة معيدة، لتكمل للماجستير في [illegible] تخصصها عام ١٩٦٣م، وبحث نيل الماجستير [illegible] [illegible] جامعة القاهرة – [illegible] بجامعة الإسكندرية، حتى بعثت في [illegible] لندن لنيل درجة الدكتوراة [illegible] عليها، ونيل درجة الدكتوراة [illegible] مقبولة جميلة [illegible] الإنجليزية [illegible] رسالة [illegible] المصري، فأصدر مجلس شهر قرارا [illegible] [illegible] ، بعد ذلك ما سجلت لأجله، فتدرجت من مدرسة إلى أستاذ مساعد ثم أستاذ [illegible] الأستاذية في ١٩٦٩م بناء على الأبحاث التي أجرتها وقد درست سنوات في جامعة الإسكندرية وجامعة القاهرة [illegible] إلى السلطنة في [illegible]

[illegible] الدكتورة فاطمة [illegible] إلى الآن [illegible] وجامعة الإسكندرية على [illegible] ، ووسام من الرئيس المصري [illegible] السادات باعتبارها أول امرأة [illegible] الدكتوراة على مستوى الخليج العربي والثانوية [illegible] وشهادة تقدير من النادي الثقافي، ووسام [illegible] [illegible] السوري بشار الأسد في [illegible]

[illegible]

الرسالة التي [illegible] فاطمة المعمرية لنيل [illegible] الماجستير كانت عن الشاعر البريطاني [illegible] الدكتوراة عن الشاعر نفسه [illegible] عن ترجمة [illegible] من اللاتينية إلى العربية [illegible] [illegible] من اليونانية إلى العربية [illegible]

المقالات

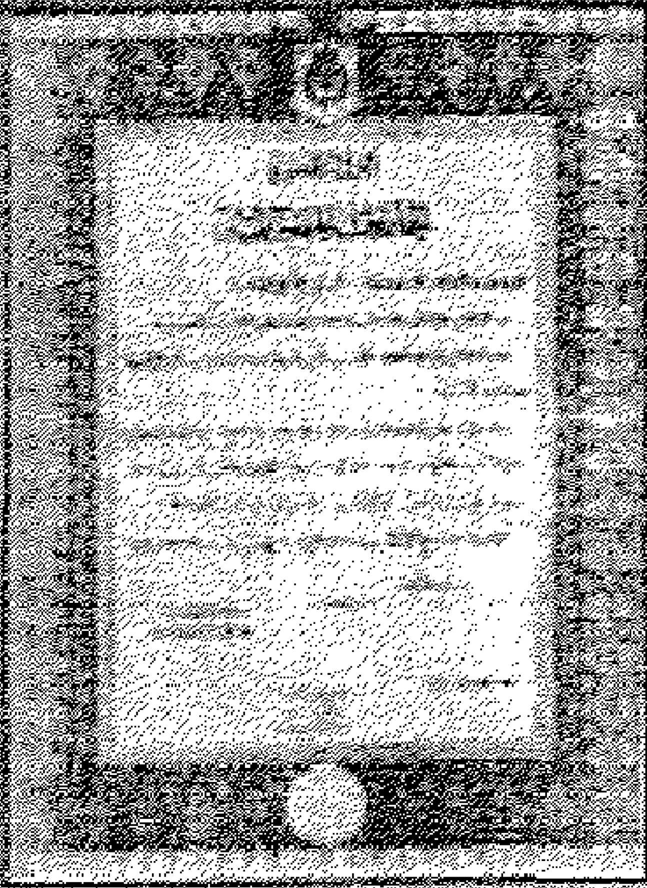
حصلت على الجنسية المصرية بطلب من الدكتور طه حسين!

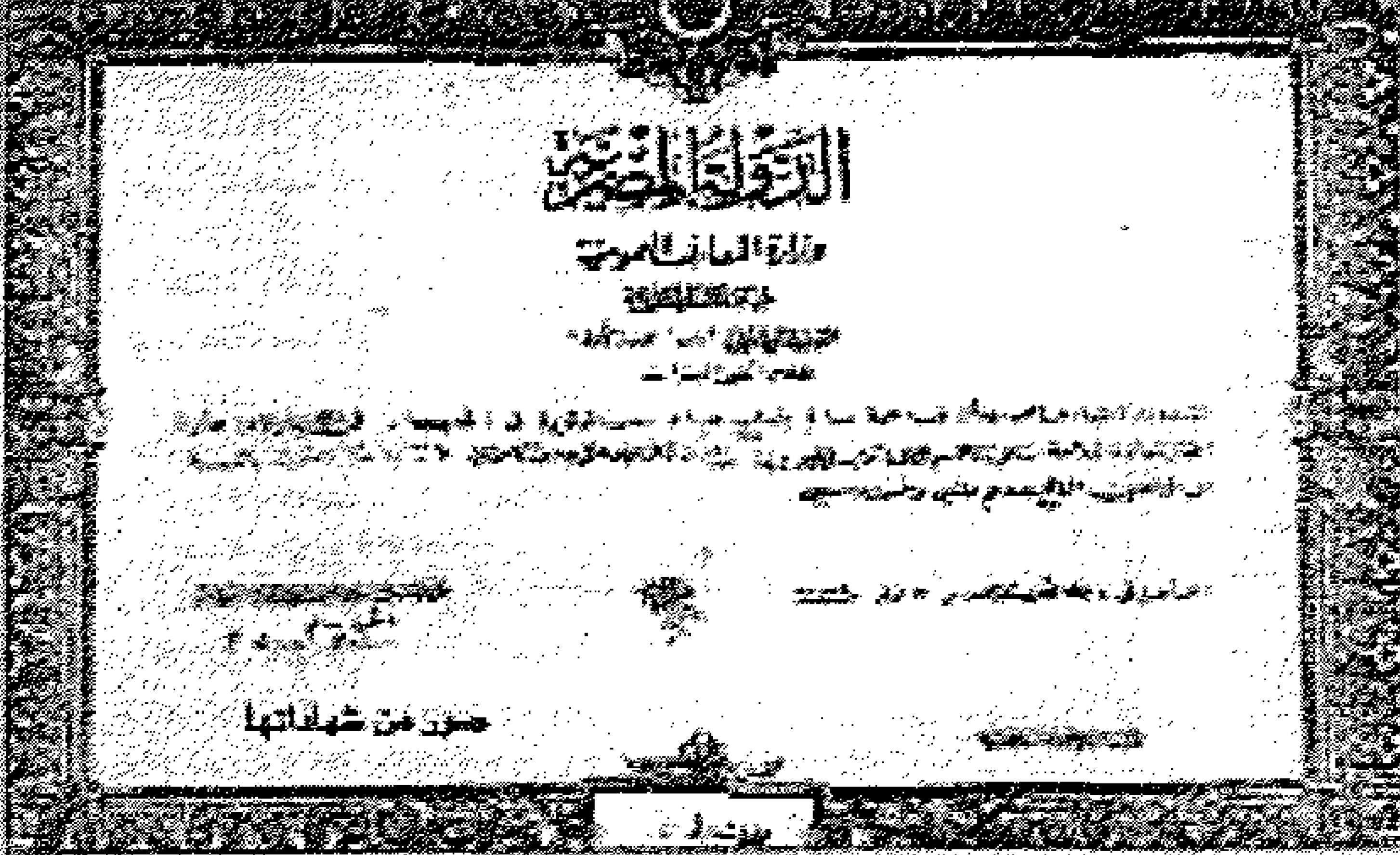
فاطمة بنت سالم المعمري..

الرائدة الأكاديمية العمانية التي رحلت بصمت

بموكب جنائزي هادئ سارت الجموع مساء الاثنين الموافق الثامن من شهر يوليو من هذا العام ٢٠٠٢م، لتعيد إلى التراب جثمان امرأة عمانية تسعينية (ولدت عام ١٩١١ بجزيرة زنجبار)، عاشت ربع القرن الأخير من عمرها منسية من قبل الكثيرين، على الرغم من أن سجلها حافل بالإنجازات العلمية، فهي أول عمانية تحصل على درجة الدكتوراة عام ١٩٥٥، من جامعة (لندن)، وقد كرمها الرئيس أنور السادات بميدالية ذهبية عام ١٩٧٨ كرائدة من رائدات القرن العشرين.

مسقط ـ
عبدالرزاق الربيعي





صور من شهاداتها

وترى حفيدتها الدكتورة (آسية البوعلي) التي دونت جوانب من سيرتها وقامت بنشرها مؤخراً في الصحافة المحلية أنها تقدمت حتى على الرجال، وتقول: «يلزم التنويه على صعيد التصحيح التاريخي أن أ.د فاطمة المعمري ليست أول جامعية حظيت بالتعليم العالي حتى درجة الدكتوراة على مستوى سلطنة عمان فحسب، بل على مستوى خريجي وخريجات دول مجلس التعاون الخليجي، كما أنها واحدة من أول دفعة بنات تخرجن في الجامعة بدرجة الليسانس على مستوى الشرق الأوسط».

ويلمع بسجل حياتها الأكاديمية الكثير من النقاط المضيئة، من بينها أن الدكتور طه حسين حينما كان رئيساً لجامعة الإسكندرية تقدم بطلب للحكومة المصرية يطلب فيه منح الجنسية المصرية لها، وتحقق له ذلك، إذ أصدر مجلس الوزراء قراراً بمنحها الجنسية المصرية في ١٥ يناير ١٩٤٣، وتبعاً لذلك جرى تثبيتها بوظيفة مدرس بجامعة فاروق الأول حينذاك (الإسكندرية)، وكانت قد وصلت عائلتها إلى القاهرة قادمة من زنجبار عام ١٩٢٠ لتواصل دراستها الثانوية في مدرسة (السنية) التي تعد أول مدرسة ثانوية حكومية لتعليم البنات في مصر، ومن ثم التحقت بكلية الآداب بالجامعة المصرية (القاهرة حالياً) لتتخرج بعد أربع سنوات عام ١٩٣٣. وفي عام ١٩٣٧ حصلت على دبلوم التربية، وفي عام ١٩٤٢ منحت درجة الماجستير بمرتبة الشرف، وفي سنة ١٩٥١ أرسلتها الحكومة المصرية ضمن بعثة دراسية إلى جامعة لندن للحصول على درجة الدكتوراة التي حصلت عليها عام ١٩٥٥م من كلية الآداب في مجال اللغة اللاتينية، وعادت إلى مصر لتعمل أستاذاً مساعداً بكلية الآداب/ قسم الدراسات الأوروبية القديمة بجامعة الإسكندرية، حتى أصبحت رئيساً للقسم عام ١٩٦٥.

ولها العديد من البحوث منها (فن الهجاء عند الرومان في شعر هوراس وجوفنال) عام ١٩٤٢: وهو بحث رسالة الماجستير، و(أندريا ترنتيوس)، و(فن الشعر لهوراتيوس) (كيكرو والخطب الكتيلينية) وأبحاث أخرى.

وتحلل الدكتورة آسية البوعلي سبب تجاهلها، منذ عودتها إلى سلطنة عمان عام ١٩٧٤ ولعد وفاتها، بـ «تواضعها الشديد الذي حال دون أن يعرف الناس سيرتها ومكانتها باستثناء العائلة المالكة الكريمة وبعض الشخصيات المرموقة بالبلد التي كانت على دراية تامة بها، ومن ثم قدرتها أعظم التقدير ووضعتها في مكانة مميزة وأساطتها بمعاملة خاصة خلال مراحل حياتها حتى وفاتها».



ونحن نتساءل: هل يكفي هذا الكلام لتقدير رائدة عمانية في مجالي اللغة والأدب، كما وصفها الشاعر طالب المعمري؟

ألا تستحق أن تكرم بإطلاق اسمها على أحد الشوارع أو قاعات جامعة السلطان قابوس؛ أو تقام ندوة تبحث في جهودها في حقل اللغة والأدب؟

.. وذلك لكي لا تدفن ذكراها مثلما دفن جسدها ذات ليلة صيف.■

مقال نشر بمجلة الصدى الإماراتية العدد (186) الأحد 20 أكتوبر 2002م صفحة 156.

ول ١٤٢٩ هـ. الموافق ٥ من ابريل ٢٠٠٨م. العدد: (٩٠١٧). السنة الـ ٣٨
21
SATURDAY 5 APRIL 2008 - NO: (9017) -

أزمة كتاب الدكتورة فاطمة المعمري

صوت

ناصر العبري*

■ الكتاب هو خير جليس للإنسان لذا أحرص دائماً على اقتنائه بكل الطرق، خاصة خلال معارض الكتب التي تمنح أكبر فرصة للقراءة ولشراء الكتب المختلفة، ومن خلال معرض مسقط للكتاب ٢٠٠٨ تكشف لي أن وزارة التراث والثقافة أصدرت كتاباً عن رائدة عُمانية بعنوان (الرائدة أ.د فاطمة بنت سالم بن سيف المعمري) للدكتورة آسية البوعلي. ومن خلال ما قرأته عن الكتاب في الصحف وما سمعته من حوار الدكتورة آسية البوعلي في برنامج (صدى المعرفة) عرفت أن الكتاب عبارة عن وثيقة تاريخية هامة لأستاذة جامعية عُمانية رائدة لا في عُمان فقط، بل في الوطن العربي غير أن الكثيرين ليسو على علم بها.

ذهبت إلى المكان الخاص بكتب وزارة التراث والثقافة، لكني فوجئت أن كل نسخ الكتاب تم شراؤها وانتهت منذ اليوم الثالث للمعرض، وقال لي الموظف المختص ببيع كتب الوزارة أنه قد قرأ الكتاب بنفسه فهو ليس فقط وثيقة تاريخية فقط، لكنه أيضاً ممتع في قراءته، والوزارة كانت حريصة على توصيل تاريخ الدكتورة فاطمة المعمري لكل قارئ لأنها نموذج مشرف، لذلك بيع الكتاب رغم أنه طبعة فاخرة بتكلفة بسيطة جداً بلغت ريالا ومئتي بيسة، وكان الإقبال عليه شديداً.

بعثت أحد أصدقائي لشراء الكتاب من معرض الإمارات للكتاب ظناً مني أن وزارة التراث والثقافة لا بد ان لديها نسخا منه للمشاركات الخارجية، فوجئ صديقي بنفس الرد أن الكتاب نفدت نسخه منذ أسبوع أستطعت الحصول على نسخة من الكتاب من أحد معارفي- على سبيل الإعارة طبعًا- الذي حرص كل الحرص وبمختلف الحجج المقنعة أن أرد الكتاب إليه بعد مدة زمنية محددة لأنه قرأ الكتاب، ويعلم مدى أهميته والناس اعتادت استعارة الكتب بدون ردها.

قرأت الكتاب جيداً وأشيد بدور وزارة التراث والثقافة في اهتمامها بنشر مثل هذه الكتب القيمة خاصة بالنسبة لنا نحن جيل الشباب الشغوف على معرفة رموز الوطن التي نفتخر بها. ومهما قلت عن الكتاب لن أضيف إلى ما كُتب عنه سواء من حيث أهمية محتواه أو الوثائق والشهادات أو أبحاث الدكتورة فاطمة المعمري في الأدب اللاتيني أو تكريمها الدولي والجامعي، فإذا ما سمحت لي وزارة التراث والثقافة والدكتورة آسية البوعلي صاحبة الكتاب أن أقول رأيي المتواضع في الكتاب الذي يتلخص في أن أهمية دور وزارة التراث والثقافة لا يكمن في طباعة الكتاب فقط، بل في عدم تدخلها في ما كتب عن الدكتورة فاطمة المعمري خلال ما قيل عنها من أُناس عرفوها عن قرب وأقصد بذلك الجانب الإنساني للشخصية الذي قدم بصدق وبلا رتوش أي ان فاطمة المعمري بكل مميزاتها وبكل عيوبها، وخاصة أن هذه الأقوال نبعت من شخصيات مرموقة عرفت فاطمة المعمري.

وهذا من وجهة نظري هو الذي أمتع القارئ لأننا تعودنا عند القراءة عن شخصيات مثل فاطمة المعمري - خاصة حين تكون الكتابة بعد الوفاة- تقدم إلينا وكأنها شخصيات ليس بها أية عيوب.

أرى أن الكتاب مهم لذلك أناشد وزارة التراث والثقافة التي تهتم دائماً بتوصيل المعرفة للقارئ بحل أزمة انتهاء نُسخه بطباعته طبعة ثانية حتى يتيح للجميع قراءته داخل السلطنة وخارجها.■

* كاتب عماني

جريدة الوطن 5 أبريل 2008م.

تعقيبًا على أزمة كتاب الدكتورة فاطمة المعمري

أحمد الهنائي*

■ بناءً على ما قرأت من مقال الكاتب العُماني ناصر العبري، والذي ورد في زاوية صوت بعنوان(أزمة كتاب الدكتورة فاطمة المعمري) بجريدة (الوطن)، يوم السبت الموافق ٥ أبريل ٢٠٠٨، صفحة ٢١، عدد ٩٠١٧ فإنني أود أن أضم صوتي إلى صوت كاتب المقال في مناشدته وزارة التراث و الثقافة الجهة الصادرة للكتاب نحو ضرورة حل أزمة نفاد طبعات الكتاب بطباعته طبعة ثانية، لأن مشكلة الحصول على كتاب (الرائدة الأستاذة الدكتورة فاطمة بنت سالم بن سيف المعمري، دراسة تاريخية وثائقية أكاديمية، لكاتبته الدكتورة آسية البوعلي)، لم تكن مشكلة شخص أو اثنين بل مشكلة كل من تابع- وأنا واحد من هؤلاء، التغطية الإعلامية المرئية والسمعية التي صاحبت الكتاب حين صدوره خلال معرض مسقط للكتاب ٢٠٠٨ – فسارع لشراء الكتاب وفوجئ بنفاد طبعاته، إذ كلنا عرفنا من الإعلام بأهمية الكتاب من حيث تناوله لسيرة امرأة استثنائية أكاديمية عُمانية رائدة في الوطن العربي حصلت على الدكتوراه من بريطانيا ١٩٥٥، ولأن الموضوع كان لافتًا للانتباه لكونه يتعلق بجزء من تاريخنا بصفة عامة، وبتاريخ المرأة العُمانية بصفة خاصة، كان لابد أن يكون الإقبال على شراء الكتاب بالنسبة للقارئ العُماني وغير العُماني كبيرًا، والأول من وجهة نظري دوافع إقباله كثيرة، يأتي في مقدمتها الشعور بالفخر والاعتزاز برمز من رموز وطنه، يعتبر وسامًا لنا جميعًا.

منذ فترة طويلة قرأت مقاطع من سيرة الدكتورة فاطمة المعمري بجريدة (الوطن)، وشعرت أن كاتبتها الدكتورة آسية البوعلي لابد وستحولها إلى كتاب مطول، الذي استطعت الحصول عليه أخيرًا على سبيل الاستعارة، وأؤيد ما قاله الكاتب ناصر العبري في مقاله، أن منْ يعيرك كتاب الدكتورة فاطمة المعمري يكون حريصًا على استعادة كتابه، لأنني واجهت نفس الموقف.

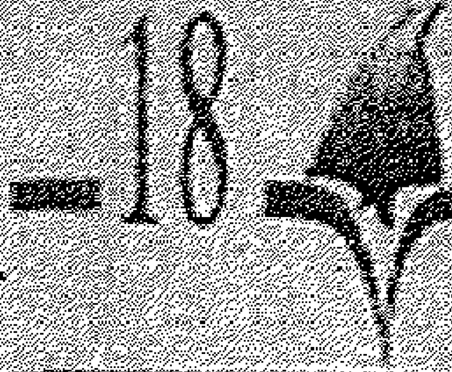
وانتهز هذا الموقف كي أعزز الدور الفكري والثقافي لوزارة التراث والثقافة في نهجها لطباعة مثل هذه الكتب التي تضيف إلى الزاد المعرفي للقارئ، و كذا بيعها بأسعار رمزية. ولا أوافق على مَنْ يرى أن الوزارة في بيعها الكتب بريال أو بأقل من ريال، فيه تقليل من قيمة الكتاب أو أهميته وعلى الوزارة في هذه الحالة أن تضع سعرًا مناسبًا لموضوع الكتاب ولمجهود كاتبه، ذلك أن المعرفة والثقافة ليست سلعة استهلاكية ،ولو كانت هكذا فما هو إذن السعر المناسب للسيرة العظيمة للدكتورة فاطمة المعمري ؟ وما هو السعر المناسب لمجهود الدكتورة آسية البوعلي في هذا الكتاب ؟ منْ يقرأ الكتاب يعرف جيدًا أن محتواه لا يقيم بثمن ،لذا أسلوب الوزارة في بيع الكتب بأسعار بسيطة،ومنها كتاب الدكتورة فاطمة المعمري الذي كما تبين لي أن ثمنه كان بريال ومئتي بيسه أراه أسلوبًا بناءً، حتى لو قامت الوزارة في هذه الحالة بتوزيعه مجانًا فهو أمر يحسب لها في توصيل معلومة هامة للقارئ. وألا يكفي أن دار النشر الخاصة عالية في أسعار كتبها، وأن الشخص أحيانًا في ظل مسؤولياته الأخرى يتراجع عن شراء كتاب رغم أهميته، وألا يكفي أن مجتمعنا بخاصة الأجيال الحالية، يعاني من آفة عدم القراءة. أما بالنسبة لجانب المتعة المتوفر في كتاب الدكتورة فاطمة المعمري و الذي ذكره الكاتب ناصر العبري في مقاله، أقول أنه موجود وهو ما جعلني أقرأ الكتاب أكثر من مرة، وقد يكون عدم تدخل الوزارة في محتوى الكتاب سببًا لوجود هذا الجانب كما قال الكاتب في مقاله، لذلك قدمت لنا شخصية الدكتورة فاطمة المعمري وكأننا نراها بشحمها ودمها رغم أنها رحلت عن دنيانا.

ان جوانب الاستفادة من الكتاب كثيرة ولا أريد أن أدخل في تفصيلاتها، لذا أرى ضرورة توفر الكتاب في مكتبة الوزارة إن وجدت مع بقية مطبوعات الوزارة، وفي المكتبات الأخرى حتى يُقرأ من الكل، ولأن كتاب الدكتورة فاطمة المعمري به جوانب تربوية كثيرة فهو مفيد لمن يعمل في هذا المجال، وأنا أوافق هنا على حوار الدكتورة آسية البوعلي في التليفزيون، حين قالت :إن الغرب عنده فكرة ثابتة عن المرأة العربية والخليجية خاصة بأنها امرأة القمع والقهر والاضطهاد، مع إن مَنْ يقرأ الكتاب يكتشف أن ريادة الدكتورة فاطمة المعمري وتعليمها، لم توجد بالصدفة، بل كان مخططا لها منذ مولدها من أسرتها التي هي أنموذج للأسر العُمانية المستنيرة منذ القرن التاسع عشر التي تعي تمامًا ما تفعله تجاه أولادها، والدليل على ذلك أن ليست الدكتورة فاطمة المعمري فقط هي التي تعلمت، بل كل أخواتها وإخوانها وكل أقربائها الإناث والذكور .والكتاب في فصله الأول وفي فصل المستندات والوثائق مثال جيد لمنْ يريد أن يتعلم كيف يكتب سيرة الآخر، وفي فصله الثالث مفيد لمنْ يهتم بدراسة الأدب والنقد، وفي مجمله مفيد لمنْ يريد أن يعرف عن تاريخ المرأة العُمانية، لذا إعادة طباعته أراها ضرورية حتى يكون في متناول الكل.■

*كاتب عماني

جريدة الوطن 1 يونيو 2008م.

...ية ١٤٢٩هـ الموافق ١٣ من يونيو ٢٠٠٨م، العدد: (٩٠٨٦)، السنة الـ٢٨



18

FRIDAY 13 JUNE 2008 - NO: (9086) -

فاطمة المعمري.. تلميذة طه حسين النجيبة



محمد القصبي*

■ في احتفالات جامعة القاهرة بمرور مئة عام على انشائها، يرد دائما اسم الكاتبة الراحلة الدكتورة سهير القلماوي باعتبارها أول فتاة مصرية تتخرج من الجامعة عام ١٩٣٣. والحقيقة أن ثمة أخريات شاركن سهير القلماوي هذا الامتياز، لكن نادرا ما تأتي الإشارة الى أسمائهن، ومن هؤلاء العمانية "الدكتورة فاطمة بنت سالم بن سيف المعمري ١٩١١م-٢٠٠٢م" ومن الغبن أن نتحدث عن النهضة النسائية العربية خلال القرن العشرين دون أن نتطرق الى مسيرة فاطمة المعمري، وهي مسيرة مهمة حتى إن موقع منظمة المرأة العربية، وهي المنظمة التي تخضع في اشرافها للجامعة الدول العربية، يتضمن قائمة بالمحطات البارزة في كفاح المرأة العربية لتتبوأ المكانة التي تليق بها في مشروع تحديث المجتمع العربي، ويأتي ذكر الدكتورة فاطمة دون غيرها من نساء الوطن الكبير ثلاث مرات، الأولى كأول عمانية تحصل على الليسانس في الأدب من قسم الدراسات القديمة من الجامعة المصرية عام ١٩٣٣، ثم عام ١٩٤٢ كأول عمانية تحصل على درجة الماجستير بمرتبة شرف من الجامعة المصرية عام ١٩٤٢. أما المرة الثالثة فكانت عام ١٩٥٥ باعتبارها أول عمانية تنال درجة الدكتوراة من كلية الآداب جامعة لندن، وذلك في مجال اللغة اللاتينية، في الوقت الذي ورد فيه اسم رائدة الحركة النسائية هدى شعراوي مرتين: الأولى لتأسيسها "الاتحاد النسائي المصري" عام ١٩٢٣، والثانية لتأسيسها "الاتحاد النسائي العربي" في القاهرة عام ١٩٤٤ بحضور ممثلات لست دول عربية هي مصر والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن آنذاك. لهذا يكتسب كتاب الدكتورة أسيا البوعلي "الرائدة أ.د.فاطمة بنت سالم بن سيف المعمري" أهمية كبيرة لأنه يلقي الضوء على مسيرة احدى رائدات النهضة النسائية العربية الحديثة، خاصة وأنه يتكئ على كم وافر من الأوراق والمستندات خصت به الراحلة حفيدتها الدكتورة أسيا، مما يمنحه مصداقية علمية لم تنل منها أبدا عاطفة الحب التي كانت تربط الحفيدة بجدتها وتفوح بقوة من بين سطور الكتاب، وخلال وجودي في مسقط كثيرا ما حدثتني الدكتورة أسيا عن جدتها، حتى إنني شغفت بالكتابة عنها في الصحف المصرية والعربية، وحين أهدتني كتابها شعرت وأنا أتصفحه بأن الدكتورة فاطمة مثل العشرات من رائدات النهضة النسائية العربية شبه مجهولات للأجيال الشابة في عالمنا العربي، بل ولا يلقين الاهتمام الأكاديمي الكافي رغم أهمية انجازاتهن، وما أكثر الرائدات العربيات الجديرات بأن تعد حولهن رسائل الماجستير والدكتوراة، ولقد حفزني الكتاب على أن أكتب عدة مقالات عنه للنشر في الصحف المصرية والعربية، ومما يجذب انتباه القارئ وكما ورد في كتاب الدكتورة أسيا أن أسرة فاطمة اتخذت بشأنها قرارا مهما الى حد بعيد، أن يدفعوا بها في معترك الحياة مبكرا للغاية، فحين قررت الأسرة ارسال ابنتها الى مصر عام ١٩١٨ لم يكن عمرها يتجاوز السابعة، الا أن ايمان الأبوين بأهمية التعليم كان وراء هذا القرار الجريء، وتشير المؤلفة الى أن جد فاطمة من العمانيين الذين هاجروا الى زنجبار، وفي عام ١٩٢٠ رحل الأخوان: سالم وسعيد المعمري الى مصر التي كانت تعد مركز النهضة العربية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، والهدف تعليم وتثقيف أولادهما وبناتهما لاسيما بعد وفاة أخيهما الأكبر ماجد، فضلا عن أن ملابسات التعليم خلال تلك الفترة في زنجبار كانت تستدعي الاقتصار على تلقين النشء القرآن الكريم في الكتاتيب التقليدية، وتعليمهم المواد التخصصية الأخرى في مدارس التبشير الخاصة والمشتركة، تلك المدارس التي كانت مركز تعليم وتثقيف أولاد وبنات الطبقة الراقية والمقتدرة، بيد أن اقتصار لغة التعليم في تلك المدارس على الإنجليزية كان من أسوأ آفاتها، إذ أن خريجيها لم يعرفوا العربية بوصفها لغة ثقافة، هذا فضلا عن فرض التخصص في مراحل التعليم العالي على علوم تدرس باللغة الإنجليزية، ولقد أثبتت الفتاة الصغيرة أنها جديرة باهتمام أسرتها، حيث كانت ضمن أول ثماني بنات يحصلن على شهادتي الكفاءة والبكالوريا في مصر، وكان حدثا من العيار الثقيل في مجتمع ذكوري ينظر الى خروج البنت من بيتها وتعليمها بتوجس، إلا أن ثمة حدثا أكثر شهرة أيضا عام ١٩٢٩، يتمثل في التحاق فاطمة وزميلاتها بالجامعة، نقلة نوعية ونقطة تحول جذرية في المسار التعليمي للبنات لا في المجتمع المصري فحسب بل في الوطن العربي بأسره، نظرا لما في هذا الالتحاق من كسر لقاعدة تعليم البنات الذي اقتصر على المرحلة الابتدائية، وكذا تأكيد أهداف حركة التنوير السائدة في مصر آنذاك ومن بينها النهوض بالمرأة اجتماعيا وفكريا، وحصلت فاطمة على شهادة الليسانس من قسم الدراسات القديمة "دور مايو ١٩٣٣م" وبناء على رغبة فاطمة في العمل بمجال التدريس التحقت بمعهد التربية للبنات حيث تخرجت منه في فبراير عام ١٩٣٧م، وقد نالت دبلوم التربية الصادر من نظارة المعارف المصرية بتاريخ ١١ مايو ١٩٣٧م، وفي ١٦ مايو ١٩٤٢م حصلت على درجة الماجستير بمرتبة الشرف الثانية من قسم الدراسات القديمة بكلية الآداب جامعة فؤاد الأول، ورغم أهمية ما حققته الفتاة العمانية من انجاز هائل بمقاييس ذلك الوقت الا أن طموحها العلمي تجاوز ما تحقق حيث تطلعت الى ما وراء البحر المتوسط، الدكتوراة من أوروبا، لكن ثمة عقبة: فاطمة ليست مصرية، وبعثات الدكتوراة لا تمنح الا للمصريين، لم تجتر فاطمة مشاعر اليأس وتوقف قطار طموحها، بل طرقت أبواب أستاذها وصديق العائلة عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين، وبالفعل أرسلتها الجامعة في عام ١٩٥١ الى بريطانيا في بعثة دراسية بوصفها مواطنة مصرية، حيث نالت درجة دكتوراة الفلسفة في اللغة اللاتينية من كلية الآداب جامعة لندن وذلك في الثامن من نوفمبر ١٩٥٥م، وتحكي د.أسيا البوعلي تفاصيل القصة، بعد نيلها درجة الماجستير من كلية الآداب جامعة فؤاد الأول عام ١٩٤٢ تقدمت فاطمة بطلب الى ادارة الجامعة لتعيينها في وظيفة مدرس بالكلية أسوة بزميلاتها المصريات، وتم تعيينها بوظيفة مدرس بكلية الآداب جامعة فؤاد الأول "جامعة القاهرة حاليا"، وفي مطلع الخمسينيات تم ابتعاثها الى بريطانيا لنيل درجة الدكتوراة■

* كاتب مصري

جريدة الوطن 13 يونيو 2008م.

رائدة عربية

فاطمة بنت سالم بن سيف المعمري (١٩١١-٢٠٠٢م)

21

احتلت فاطمة بنت سالم بن سيف المعمري منصب الوزير في سلطنة عمان عام ٢٠٠٢م، لتصبح بذلك أول وزيرة خليجية، لتؤكد على ريادة المرأة العمانية غير المسبوقة على صعيد الوطن العربي، والتي ترجع جذورها إلى الحقبة التاريخية (١٨٤٤-١٩٢٤م)، حين دونت الأميرة العمانية السيدة سالمة بنت سعيد بن سلطان آل سعيد، سيرتها الذاتية باللغة الألمانية في كتاب عنوانه «مذكرات أميرة عربية» (١)، وترجم إلى مختلف اللغات نظراً لما يعكسه من جوانب إبداعية رسمت بجدارة مختلف الآفاق التي شكلت حياة أميرة عربية، بكل ما فيها من خصوصية هوية وإحساس بالغربة.

وريادة فاطمة سالم ريادة من نوع خاص، تؤكدها استثنائية الظرف التاريخي، إذ أتيح لها ما لم يتح لغيرها من نساء عصرها. ففي الوقت الذي لم يكن للمرأة أن تغادر دارها، تم ابتعاثها في مطلع الخمسينات من القرن العشرين لنيل درجة الدكتوراة من إنجلترا، فضلاً عن تقلدها أعلى المناصب الأكاديمية، وتتويجها بأرفع أوسمة التكريم.

في الثالث من مارس ١٩١١م جاءت فاطمة بنت سالم بن سيف المعمري إلى الدنيا في جزيرة (زنجبار) بجنوب شرق أفريقيا، كما هو مثبت بشهادة ميلادها الصادرة من وزارة الصحة بتاريخ ٣ مارس ١٩١٨م.

ولما كان المجتمع العماني بزنجبار آنذاك – في الغالب – على الإقطاع والرأسمالية، فقد تم تصنيفه مجتمعاً أرستقراطياً، يقيم وزناً للثقافة بصفة عامة والتعليم بصفة خاصة.

أرسلت فاطمة سالم إلى القاهرة للدراسة في عام ١٩١٨م، عبر رحلة بحرية من زنجبار إلى ميناء بورسعيد، وحصلت على شهادة الكفاءة من مدرسة السنية عام ١٩٢٧م، وكانت واحدة من ثماني بنات من الدفعة الأولى التي حصلت على هذه الشهادة، استقبلنا في مجلة L'Egyptienne التي (المصريات) التي كانت تصدر شهرياً باللغة الفرنسية.

ولما كان حصول فاطمة سالم وزميلاتها على شهادتي الكفاءة والبكالوريا يُعد حدثاً في المجتمع المصري في ذلك الوقت، إلا أن الحدث الأكبر منه أثراً تمثل في التحاقهن بالجامعة، ليشكل نقلة نوعية ونقلة تحول جذرية في المسار التعليمي للبنات، لا في المجتمع المصري فحسب بل في الوطن العربي بأسره، نظراً لما في هذا الالتحاق من كسر لقاعدة تعليم البنات التي تقتصر على المرحلة الابتدائية، وكما تؤكده أهداف حركة التنوير السائدة في مصر آنذاك ومن بينها النهوض بالمرأة اجتماعياً وفكرياً.

وفي عام ١٩٢٩م التحقت فاطمة سالم بكلية الآداب بالجامعة المصرية (جامعة القاهرة حالياً)، وحصلت على درجة الليسانس من قسم الدراسات القديمة في مايو ١٩٣٣م.

ومما يدل على رغبة فاطمة سالم في العمل بمجال التدريس، وتمشياً مع متطلبات العصر في إبراز دور المرأة في المجتمع، التحقت بمعهد التربية للبنات لنيل عام، وتخرجت فيه في فبراير ١٩٣٦م، ونالت دبلوم التربية الصادر من نظارة المعارف العمومية في ١١ مايو ١٩٣٦م.

وفي ١٦ مايو ١٩٤١م نالت فاطمة سالم درجة الماجستير بمرتبة الشرف الثانية من قسم الدراسات القديمة بكلية الآداب جامعة فؤاد الأول (الجامعة المصرية سابقاً) بالمملكة المصرية.

وفي عام ١٩٤١م أوفدت فاطمة سالم إلى بريطانيا في بعثة دراسية على نفقة الحكومة المصرية، بوصفها موظفة مصرية، ونالت درجة دكتوراة الفلسفة في اللغة اللاتينية من كلية الآداب جامعة لندن في الثامن من نوفمبر ١٩٤٥م.

في هذا التوقيت كان الأستاذ الدكتور طه حسين، عميد الأدب العربي، على صلة حميمة بأسرة فاطمة سالم وبمثابة الأب الروحي لفاطمة سالم التي كانت دائماً مقربة إليه، فهو الذي وجهها نحو التخصص في مجال الدراسات الأوروبية القديمة في مرحلة الليسانس.

فاطمة بنت سالم بن سيف المعمري في شبابها

كما أنه لم يتوان في التقدم بطلب إلى مجلس الوزراء المصري مرشحاً إياها لشغل الجنسية المصرية، فجاء قرار مجلس الوزراء بالموافقة. وفي ١٢ يناير ١٩٤٣م عينت بوظيفة مدرس بكلية الآداب جامعة فؤاد الأول، التي تغير اسمها في ذلك العام إلى جامعة القاهرة.

وللدكتورة فاطمة سالم مجموعة من البحوث، نشير فيما يلي:

١ – رسالة ماجستير بعنوان: «في الحياة عند الرومان في شعر هوراس وجوفينال: مقابلة ومقارنة»، قسم الدراسات القديمة، كلية الآداب جامعة فؤاد الأول، مايو ١٩٤١م.

٢ – رسالة دكتوراة الفلسفة في اللغة اللاتينية، في موضوع يتعلق بساتيرا لدى جوفينال، جامعة لندن، نوفمبر ١٩٤٥م.

٣ – «كيكرو: الخطيب الفيلسوف»، الندوة الثقافية الثانية ١٩٦٣م.

٤ – «الدنيا ترتضيها»، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، المجلد الثامن عشر، ١٩٦٤م.

٥ – «في الشعر أبوليانوس والشعر الأمري»، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، المجلد التاسع عشر، ١٩٦٥م.

وعلى مستوى الدولة، كرم الرئيس الراحل محمد أنور السادات فاطمة سالم بمنحها ميدالية ذهبية تكريمية في عام ١٩٨١م، تكريماً لجيل رواد وروائد القرن العشرين، وعنوانها يتبرعم البنات.

كما تم تكريمها بسلطنة عمان في الأول من ديسمبر ١٩٨١م، في الاحتفال القائم بالنادي الجامعي (الثقافي حالياً) من جانب وزارة التربية والتعليم وشئون الشباب، كما كانت تسمى آنذاك، على اعتبار أنها أول امرأة عمانية تحظى بالتعليم العالي ونالت درجة الدكتوراة بسلطنة عمان.

وعلى مستوى الجامعات، كرمتها جامعة الإسكندرية عام ١٩٨٤م بمنحها شهادة تقدير لمشاركتها بجهودها في الأنشطة العلمية التي أقيمت بها خلال

فترة عملها كأستاذة للغة اللاتينية، فضلاً عن أنه رسالتها في مجال التعليم وخدمة المجتمع.

وفي ٢٦ أكتوبر ٢٠٠٢م، وبمناسبة افتتاح الرئيس محمد حسني مبارك مكتبة الإسكندرية، أصدرت كلية الآداب بجامعة الإسكندرية عدداً تذكارياً لمجلة الخاصة بها، يتكون من خمسة مجلدات، تضمنت بحوثاً جادة ودراسات متعمقة لأجيال الرواد فيما يتعلق بالإسكندرية بلغات مختلفة (العربية والإنجليزية والفرنسية)، وكذلك ملامح إطلالة نشرها تحظى بالاستمرارية، ولكي يوضع ذلك الجميع، وخصصت لها الغرض، أيضاً نشر بحث أ.د فاطمة سالم وعنوانه: «في الشعر ليوكيوس في كتاب «الإسكندرية عبر العصور» في ذكرى المجلة، بمناسبة افتتاح مكتبة الإسكندرية.

وجدير بالذكر أن سلطنة عمان الوطن الأم لفاطمة سالم، أعطتها المكانة اللائقة بها، بعد العودة إليها واستقرارها بها (١٩٩٤-٢٠٠٢م)، فرغم توليها العمل الذي حال دون إتمام الكثيرين بصورة حياتها ورحلتها التاريخية ومكانتها الأكاديمية، فقد حظيت باحترام الجميع وتقديرهم لاسيما أصحاب وصاحبات السمو أفراد العائلة المالكة (آل سعيد) وسيدات الدولة والشخصيات المرموقة، بما نالت مكانة وبصمة خاصة في حياتها ويوم مماتها.

ومن أقوال الأديبة تقول معالي الدكتورة راوية بنت سعود بن أحمد البوسعيدي وزيرة التعليم العالي بسلطنة عمان وابنة أخت الراحلة:

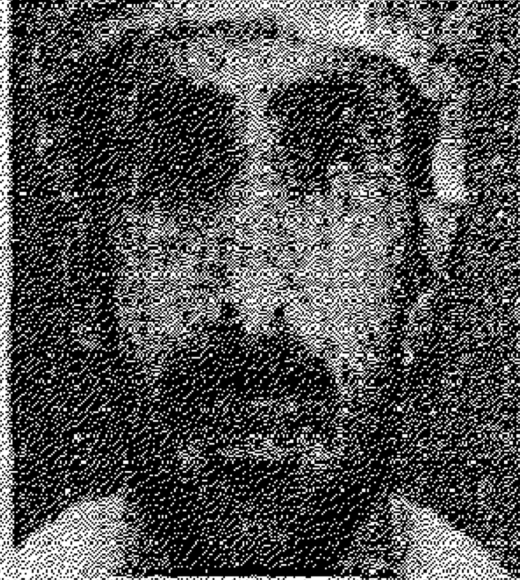
(كانت مساحات الحوار بيننا بلا حدود، كما كان التفاهم بيننا سمتاً في تعاملنا؛ حتى إنها وصلت إلى درجة الحنان أو الصداقة، وبرغم ذلك – في الغالب – إلا أن لها تأثيراً بحدود عن سائر الشخصية، لاسيما الأصول والتقاليد، ومن ثم فليس أحد أن يقدم أو حتى في حواراتنا، شرط مراعاة المسافة بيننا، ويلاحظ أيضاً: إن كلاً منا كان يرى نفسه في الآخر، على نحو أشبه بالمرآة ذات الانعكاس الذاتي أو بالعملة التي لها وجهان، وحينما وافت خالتي المنية، أحسست أن جزءاً كبيراً من عقلي انتهى قد رحل معها، ولم يظل معي إلا مواقفي التي تشدني إليها يومياً).

مؤلفة الكتاب

الدكتورة آمنة بنت ناصر بن سيف البوعلي، من مواليد جزيرة زنجبار (١٥ مارس ١٩٢٢م)؛ حاصلة على دكتوراة النقد – في مايو عام ٢٠٠٠م – بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف من قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة القاهرة. الأستاذ المساعد (سابقاً) بقسم اللغة العربية وآدابها – كلية الآداب والعلوم الاجتماعية – جامعة السلطان قابوس. وهي حفيدة الراحلة الأستاذة الدكتورة فاطمة بنت سالم بن سيف المعمري.

مجلة أم الدنيا القاهرة سبتمبر 2008م.

تغييب العظماء ... لمصلحة من ؟



عادل الكلباني

(1)

ما أعظم الذين يعملون بصمت ويحترمون الوطن بصمت ويقدمون أكثر مما يأخذون ، ما أعظم الذين يحترمون أنفسهم كأصحاب مبادىء ومثل وإن كانوا القلة في كل زمان ومكان ، لا يغيرون وجهتهم مهما رأوا أن الزمن يتحول وليس له ثبات ، لقد آمنوا أن الإنسان الحقيقي صاحب الرسالة لابد أن يواجه الأيام صابرا محتسبا (وإن قيمة الإنسان وعظمته تكمن في السعي وراء مايزيده أصالة وعمقا) وإن الدروب مليئة بالشوك والأحزان وإن عليه كي يبقى رمزا أن يكون مختلف عن الآخرين الذين يرفعون أشرعتهم في كل بحر يصبحون بوجه ويمسون بآخر كعباد الشمس الذي يلوي عنقه مع كل ضوء ، إنهم راسخون بعقيدة آمنوا بها ولم يطالبوا بأكثر من التقدير والذي قلما عرفوه في مجتمعهم ، لم تكن نظرتهم مادية بحتة أبدا وهم يرسمون الطريق التي يزغت وارفة الثمر رغم المجاهيل والعقبات ، هذه الفئة من الناس هي التي سيرتقي بها الوطن لأنها تؤدي ماعليها بنفوس راضية ، هذه الفئة القليلة في المجتمع الرائعة في التكوين مداها البعيد التي رسمت بكل جدارة ومثابرة واقتدار لتحقيق الثبات ، كافحت في أزمنة ملغمة بالجهل والانكسار ونهضت بالفكر طريقا للتقدم ورسمت العلم هدفا وغاية .

(2)

اليوم يفوح ذكرها كالعطر الصاعد في كل سماء ، هذه الفئة التي ينبغي على الكل أن ينحني لها إنا ماذكرت باحترام هي فقط من تستحق علينا التبجيل والاعتزاز والفخر للأبد ، هؤلاء يكفيك حقا مافعلوه دون أن ينتظروا من الآخرين جزاء أو شكورا ، العظماء الذين يعفون أنفسهم والذين يعيشون في الظل قدموا لنا تجربة وكفاح حياة ، لم يتوسلوا في طلب منصب مع أنهم يستحقون ولم نسمع عنهم بيأس في الحياة مع أنهم عاشوا حياة ثانوية للبنات فقد أنشأتها نظارة المعارف- وزارة التربية والتعليم - عام 1837م لتعليم البنات تعليما نموذجيا ..وتخرجت فيها عام 1929م) ، والتحقت بكلية الآداب عام 1929م في الجامعة المصرية- جامعة القاهرة حاليا- وحصلت على شهادة الليسانس من قسم الدراسات القديمة في مايو 1933م ثم حصلت على شهادة الماجستير بمرتبة الشرف من قسم الدراسات القديمة بكلية الآداب- جامعة فؤاد الأول في مارس عام 1943م ، وفي عام 1951م نالت شهادة الدكتوراة في بعثة دراسية على نفقة الحكومة المصرية- بوصفها مواطنة مصرية - من كلية الآداب بجامعة لندن في 8/11/1952م عن الفلسفة في اللغة اللاتينية في موضوع بنية الساتورا لدى جوفينال ، ولها أبحاثها العلمية في هذه اللغة مثل (كيكرور - الخطب الكتيلينية) وترجمة مسرحية (أندريا ترنتيوس) و (فن الشعر لهوراتيوس) (وإذا علمنا أن اللغتين اليونانية واللاتينية من أصعب اللغات سواء فيما يتعلق ببنية الجملة لغويا أو بطبيعة علاقة الكلمة بسوابقها ولواحقها ناهيك عن صعوبة الترجمة من هاتين اللغتين إلى اللغة العربية مباشرة نظرا لاختلاف أصليهما عن أصل اللغة العربية فهما ينتميان إلى مجموعة اللغات الهندية الأوروبية (الآرية) بينما تنتمي العربية إلى اللغات السامية ممايستوجب الاستعانة بالقواميس الوسطية لا تيني انجليزي أو لاتيني فرنسي أو لاتيني ألماني) ص 31 ، ارتقت الدكتورة فاطمة سالم إلى مناصب أكاديمية فمن مدرسة لغة انجليزية اعتبارا من 10/10/1936م بمدرسة الأميرة فوقية بجمهورية مصر العربية إلى معيدة بكلية الآداب بالجامعة المصرية اعتبارا من 11/9/1937م ثم التعيين في وظيفة مدرس بكلية الآداب بالجامعة المصرية اعتبارا من 27/9/1942م نظرا لحصولها على درجة الماجستير ، العمل مدرسا بجامعة بغداد في أشبه بالضمور ، من مجتمع بعيدا عن الفكر والثقافة والمعرفة ، وعاشوا بعيدا عن الأضواء في زمن الاستهلاك لم تتجذر بعد القيم التي يجب أن يكون مثل هؤلاء في مقدمة الأمم والشعوب كفاكرة وتاريخ .

(3)

هؤلاء العظماء لم يحاولوا أبدا الصعود بالاستهلاك الإعلامي الذي نراه يقتحمه من المتسلقين بأشياء كثيرة ليست بذات أهمية ومعنى ، هذه الوجوه المقنعة بالأباطيل سرعان ماتضمحل وتتلاشى أمام الشعب لقد تسربوا مع الوقت وماعاد يذكرهم أحد ، إنما بدون ساعق أو العودة من حيث أتوا محتشي نعمة وصلوا بالابتزاز والانتهازية والأكاذيب ثم انتهى بهم كفقاعات تلاشت في العدم .

(4)

في كتابها الذي صدر حديثا للدكتورة آسيا البوعلي عن الرائدة الأستاذة الدكتورة فاطمة سالم تلميذة الدكتور طه حسين ، أقول إن هذا الكتاب جاء متأخرا جدا حول التعريف بهذه الرائدة التي كان من الواجب أن نتعرف عليها منذ زمن بعيد ، أما أن الكتاب جاء في زمنه ، يبقى أن العظيم يعلم دائما بأن ثمة من سيبحث عنه في ركام السنين مهما تجاهله البعض عن عمد وإصرار ، كي يتوج بمعرفة ليضيء له الفضل كفترة ، في مقدمة الكتاب دونت الدكتورة البوعلي ماقالته الأستاذة فاطمة سالم مرة (سيجد يوما من يدون سيرتي ولو بعد قرن من وفاتي) ربما هذه المقولة المدونة المؤلمة في نفوس من يستشعرون هذه السلبية والمغالطات التي أحست بها الدكتورة فاطمة سالم كانت ربما تقرأ الواقع أنذاك في أمة لا تقدر عظماءها .

(5)

ولدت الدكتورة فاطمة سالم بجزيرة زنجبار عام 1919م ولكونها من أسرة أحبت العلم كاتجاه صحيح في الحياة ، وربما أيضا لتوفر الإمكانيات التي أتاحت لها فرصة مثل هذه فاستغلتها نبساليبر لاحقا كي تكون إحدى الرائدات على مستوى الخليج وبعض البلدان العربية فقد ألحقت أبوها بمدرسة السنية بجمهورية مصر العربية منذ المرحلة الابتدائية حتى حصولها على شهادة الثانوية العامة (البكالوريا) (وتعتبر المدرسة السنية أول وأعرق مدرسة حكومية الفترة من 1948م ولغاية 1958م وأسهمت في إنشاء أول كلية تربية معلمات البنات في بغداد - التعيين في وظيفة أستاذ بقسم الدراسات الأوروبية القديمة بكلية الآداب جامعة الاسكندرية اعتبارا من 31/7/1966م وأخيرا الانتداب لتدريس اللغة اللاتينية بقسم الحضارة اليونانية والرومانية بكلية الآداب جامعة الاسكندرية في الفترة من أكتوبر 1971م حتى أبريل 1973م ثم العودة إلى سلطنة عمان في بداية عام 1974م .

(6)

في المجتمعات الأخرى الذين ينظر إلى مثل هؤلاء بالتبجيل والاحترام على هذه الهبة القدسية من العلم والتوغل العميق في محيطه الذي قلما أبدع فيه من هم أولى بنشأته وسيره وتاريخه ، يوجد في هذا الوطن من استطاع الوقوف على قمة وتحدي الصعاب والتمكن من تفكيك لغة قديمة والنقل منها بعمق وتحليل أسلوبها الكاتبيا بلغة عربية راقية ومفهومة ، كإنجاز الدكتورة فاطمة سالم في اللغة اللاتينية كشاهد عيان أن هناك عقول واعية ذات إدراك نادر استطاعت أن تجعل المستحيل ممكنا .

(7)

في مناهج وزارة التربية والتعليم من الصفوف الابتدائية وحتى الصفوف الثانوية لا يوجد ذكر لهذه الدكتورة برغم تاريخها المشرف للسلطنة والتي تعتبر أولى الرائدات على مستوى الخليج في حصولها على شهادة الدكتوراة ، أليس من المخجل حقا أن يتم تجاهل مثل هذه الدكتورة وعدم الإشارة إليها من قريب أو بعيد بما حققته من شرف علمي وأكاديمي يفتخر به كل عماني لا جاز التخصيص . لمصلحة من تغييب العظماء وعدم ذكر مآثرهم على صفحات المناهج الدراسية ، ليعرف الطلبة والطالبات في عمان بأن في هذا الوطن من أشعلوا نور العلم وجعلوه للآخرين سراجا منيرا ، على الرغم بأنه يوجد ذكر لبعض الشعراء الكلاسيكيين الذين قالوا الشعر في قصيدة أو قصيدتين ولم يعول عليهم في بناء مدارس فكرية شعرية لها جذور في الشعر العربي كي يشار إلى قصائدهم .. لمصلحة من تغييب العظماء- مجرد سؤال موجه إلى وزارة التربية والتعليم - إذا كان ثمة من يجيب هنا

جريدة الزمن 1 ديسمبر 2008م.

NATION

06 | MUSCAT DAILY | WEDNESDAY, MARCH 27, 2013



Dr Asyah bint Nasser al Bualya (left) and H E Dr Rawiyah bint Saud al Busaidiyah during the launch (Muscat Daily)

Fatema Salem's biography launched

Zain al Tauqi
Muscat

H E Dr Rawiyah bint Saud al Busaidiyah, the Minister of Higher Education launched the biography of Professor Fatema Salem Saif al Maamary at the Al Harthy Hall in Qurm recently.

The Pioneer, Professor Fatema Salem Saif al Maamary: A Historical, Documentary and Academic Study, has been originally written in Arabic by Dr Asyah bint Nasser al Bualya and translated to English by Dr Zayana al Badaeia. Proceeds from sale of the book will be donated to Oman Cancer Association (OCA).

The book details the life of Fatema Salem and her achievements while reaching the highest ranks of academia. She became a cultural symbol in the society during an era, which witnessed the advancement of women in the Arab world.

Yuthar al Rawahy, founder and chairperson of OCA, said, "Only 1,000 copies have been printed especially to raise funds for us. Copies that weren't sold during the launch are still available at the OCA office. Each copy costs RO15. We thank everyone involved for helping raise funds for a good cause," she said.

The book has been published by Oman National Commission for Education, Science and Culture, Ministry of Education.

نماذج مما تم نشره في الصحف المحلية العُمانية عن تدشين الترجمة الإنجليزية للكتاب، تحت رعاية معالي وزيرة التعليم العالي الدكتورة : راوية البوسعيدية 25 مارس 2013م.

OMAN

OMAN DAILY Observer

TUESDAY, MARCH 26, 2013

Book on pioneering Omani prof launched

By Ali Ahmed al Riyami

MUSCAT — The book launching of *The Pioneer, Professor Fatma Salem Seif Al Maamary (1911-2002): A Historical, Documentary and Academic Study*, a biographical account of the life and times of one of the Arab world's foremost female academic pioneers, was officially launched under the auspices of Dr Rawya bint Saud al Busaidiya, Minister of Higher Education, at Al Harthy Hall in Shatti Al Qurum yesterday.





DR RAWYA at the book launch. Right: The cover

Senior government officials and other dignitaries that included the Tanzanian Ambassador to the Sultanate, Ali Ahmed Saleh, listened to the speeches given by people involved in the production of the book — which was originally written in Arabic by Dr Asyah bint Nasser al Bualya, Adviser for Culture at the Research Council, and published in 2008 by the Ministry of Heritage and Culture; The English version is published by the Oman National Commission for Education, Science and Culture, Ministry of Education and was edited by Dr Domenyk Eades.

Besides Dr Asyah, speakers on the occasion included Youther al Rawahi, Member of Majlis Addawla, and Founder and Head of the Oman Cancer Association (OCA) — all proceeds from the book are to go to OCA; Dr Patricia Groves, Adviser at the Ministry of Higher Education; Zayana al Badaiea, the book's Translator; and Najat Salem Rashid, 2nd Editor of the book and a great-niece of Professor Fatma.

At the close of the event, Dr Rawya was presented with a copy of the book by Dr Asyah and in turn Dr Asyah was presented with a memento to mark the occasion by al Rawahi. The evening's proceedings were ably compared by Rana al Riyami.

— Photo by Saleh al Sharji

المراجع.

أولاً: المصادر.

1 - فاطمة سالم سيف. كيكرو: الخطب الكتيلينية، القاهرة، المطبعة العالمية (16 شارع ضريح سعد)، 1956م.

2 - فاطمة سالم سيف. أندريا ترنتيوس، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، المجلد الثامن عشر، 1964م

3 - فاطمة سالم سيف. فن الشعر لهوراتيوس: النقد الأدبي، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، المجلد الأول (الإسكندرية عبر العصور)، 2002م.

ثانيًا : المراجع .

1 - السيدة سالمة بنت سعيد بن سلطان آل سعيد. مذكرات أميرة عربية؛ ترجمة سلمى صالح، ط1، منشورات الجمل، ألمانيا، 2002م.

2 - السيدة سالمة بنت سعيد بن سلطان آل سعيد. مذكرات أميرة عربية؛ ترجمة عبد المجيد حسيب القيسي، مطبوعات وزارة التراث والثقافة، مسقط، سلطنة عُمان، (د.ت).

3 - الإسكندرية عبر العصور في ذاكرة المجلة بمناسبة افتتاح مكتبة الإسكندرية. جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، المجلد الأول، 2002م.

4 - جامعة الإسكندرية كلية الآداب: اليوبيل الذهبي 1942 - 1929 م. جامعة الإسكندرية.

5 - محسن الكندي. الصحافة العُمانية المهاجرة؛ صحيفة الفلق وشخصياتها: الشيخ هاشل بن راشد المسكري نموذجًا، ط1، رياض الريس للكتب والنشر ، لندن، يناير 2001م.

6 - حميد بن محمد بن رُزيق بن بخيت (1274هـ). الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، ط2؛ تحقيق عبد المنعم عامر ومحمد مرسي عبدالله، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عُمان، 1404هـ- 1984 م.

7 - مغامر عُماني في أدغال إفريقيا حياة حمد بن محمد بن جمعة المرجبي (1840 - 1905م) (المعروف بتيبوتيب) سيرة ذاتية؛ ترجمة وتقديم وتعليق محمد المحروقي،كتاب نزوى، مؤسسة عُمان لصحافة والأنباء والنشر والإعلان، مسقط، سلطنة عُمان، فبراير2005م.

8 - نساء رائدات من ولاية إبراء، لجنة التنمية الاجتماعية بولاية إبراء، "كتيب خاص بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي للمرأة..."، وزارة التنمية الاجتماعية، مسقط، سلطنة عُمان، 8 مارس 2009م.

ثالثًا : المجلات .

1 - آسية بنت ناصر بن سيف البوعلي. الرائدة فاطمة بنت سالم بن سيف المعمري، الجمعية المصرية للدراسات اليونانية والرومانية، الكتاب الخامس، تحرير أحمد عتمان، القاهرة، 2004 - 2005م.

2 - مجلة الهلال (شهرية). 1 أغسطس 1933م، المجلد العاشر، القاهرة، جمهورية مصر العربية تاريخ الصدور1941م .

3 - آسية البوعلي . في ذكرى رحيل الرائدة أ. د فاطمة سالم سيف المعمري. مجلة نزوى الثقافية، مؤسسة عُمان للصحافة والنشر والإعلان، مسقط، سلطنة عُمان، العدد 39 يوليو 2004م.

4 - عبد الرزاق الربيعي. الرائدة الأكاديمية العُمانية التي رحلت في صمت. مجلة الصدى، الإمارات العربية المتحدة ، 20 أكتوبر 2002.

5 - مجلة المصريات الصادرة باللغة الفرنسية ، السنة الثالثة، العدد 32، (2 شارع قصر النيل)، القاهرة ، نوفمبر 1927م .

6 - مجلة أم الدنيا (شهرية)، مقال بعنوان "الرائدة العربية : فاطمة سالم سيف المعمري (1911 - 2002م) القاهرة ، جمهورية مصر العربية، سبتمبر 2008م .

رابعًا: الصحف .

1 - محمد القصبي. فاطمة المعمري تلميذة طه حسين النجيبة. جريدة الوطن، مسقط، سلطنة عُمان العدد (9086)، 13 يونيو 2008 م .

2 - دمشق تكرم الرائدة العُمانية الراحلة فاطمة المعمرية. جريدة الشبيبة، مسقط، سلطنة عُمان، العدد (4902)، 6 ديسمبر 2008 م.

3 - ملتقى الرواد العرب بدمشق يكرم الراحلة فاطمة بنت سالم المعمري. جريدة الوطن، مسقط، سلطنة عُمان، العدد (9276)، 22 ديسمبر 2008م .

4 - ملتقى الرواد والمبدعين العرب بدمشق يكرم الراحلة فاطمة بنت سالم المعمري. جريدة الوطن، مسقط، سلطنة عُمان، العدد (9261) 6 ديسمبر 2008م.

5 - نعي الراحلة فاطمة سالم. جريدة الوطن، مسقط، سلطنة عُمان، 9 يوليو 2002م .

6 - تكريم الراحلة الدكتورة فاطمة سالم في ملتقى الرواد والمبدعين العرب. جريدة الزمن، مسقط، سلطنة عُمان، 6 ديسمبر 2008م.

7 - ناصر العبري . أزمة كتاب الدكتورة فاطمة المعمري، جريدة الوطن، العدد (9017)، مسقط، سلطنة عُمان، 5 أبريل 2008م.

8 - جريدة الأهرام، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 22 ديسمبر 1950م .

9 - آسية البوعلي. الأستاذة الدكتورة فاطمة سالم سيف المعمري: رائدة من رائدات القرن الماضي، 4 حلقات بجريدة الوطن ، الأعداد (7012-7011-7010-7009) مسقط، سلطنة عُمان 22-25 سبتمبر 2002م.

10 - أحمد الهنائي. تعقيبًا على أزمة كتاب الدكتورة فاطمة المعمري، جريدة الوطن، العدد (9074)، مسقط، سلطنة عُمان، 1 يونيو 2008 م.

11 - عادل الكلباني. تغييب العظماء... لمطلحة مَنْ؟ جريدة الزمن، مسقط، سلطنة عُمان، 1 ديسمبر 2008م .

12 - فاطمة المعمرية رائدة في محراب العلم، ملحق مزون، جريدة الشبيبة، مسقط، سلطنة عُمان، 17 – 19 أكتوبر 2009م.

13 - تكريم فاطمة المعمرية في دمشق، جريدة عُمان، مؤسسة عُمان للصحافة والنشر والأنباء، العدد (10049)، مسقط، سلطنة عُمان، 6ديسمبر 2008م .

14 - طالب المعمري. رحيل رائدة عُمانية في مجالي اللغة والأدب جريدة عُمان، مؤسسة عُمان للصحافة والنشر والأنباء، مسقط، سلطنة عُمان، 11 يوليو 2002 م.

15 - Prestigious award for Omani Scholar. Oman Daily Observer, Muscat, Sultanate of Oman, December 6th ,2008.

16 - Asyah Al-Bualy. An Intellect With A Difference, Features, Oman Daily Observer Muscat, Sultanate of Oman 17th December ,2002.

17 - Syrian president to honour Omani scholar posthumously. Oman Tribune, Muscat, Sultanate of Oman, December 7th , 2008.

18 - Late Omani pioneer to be honoured in Syria for research and academics. Times of Oman, Muscat Sultanate of Oman , December 6th , 2008.

خامسًا : المواقع الإلكترونية.

1 - http://www.Cu.edu.eg/arabic/General%20Info/SocialActivities.htm.

2 - www.alwatan.com

3 - www.esgrs-escl.com

4 - www.middle-east-online.com

5 - www.nizwa.com

الفهرس

إصداراتنا2013

م	الكتاب	نوعه	المؤلف
1	سرديات عمانية	نقد	محمد بن سيف الرحبي
2	على حواف الشعر	نصوص	محمدبن سيف الرحبي
3	خطى وأمكنة	رحلات	عبدالرزاق الربيعي
4	رحلة أبو زيد العماني (ط2)	رواية	محمد بن سيف الرحبي
5	حقول الكلام	مقالات	مسعود الحمداني
6	هذا الذئب يعرفني	نصوص	خالد بن علي المعمري
7	رحيق النار	نصوص	زهران القاسمي
8	الطبيعة في الرواية العمانية	دراسات	منى بنت خبراس السليمية
9	إيضاح الطريقة للفنون العريقة (فن المسبع)	شعر	خميس بن جمعة المويتي
10	إيضاح الطريقة للفنون العريقة (التغرود)	شعر	خميس بن جمعة المويتي
11	قديس يحلق بعيدا	شعر مترجم	الشاعر الكوري: تشو أهيون ترجمة:أشرف أبو اليزيد
12	مظلة الحب والضحك	نصوص	بشرى خلفان
13	الديك	رواية	سالم الجابري
14	رفرفة (ط2)	قصص	بشرى خلفان
15	نوارس الحكايات	قصص	محمد بن سيف الرحبي
16	حدود المشاوير	شعر شعبي	محمد الراسبي
17	إشكاليات الشعر في المسرح الشعري	دراسات	رقية بنت سيف البريدية
18	القافر	رواية	د. خالد الكندي
19	أدب الرحلات العمانية	دراسات	مريم الغافرية
20	مراثي زهرة الليمون	شعر	سالم بن عبد الله الحميدي
21	على سطحنا طائر غريب	مسرحيات	عبد الرزاق الربيعي
22	الدين والدولة	دراسات	خالد محمد عبده

تابع إصداراتنا

م	الكتاب	نوعه	المؤلف
23	ورد اليتامى	قصص	سالم بن عبد الله الحميدي
24	روائح الفقراء	قصص	سالم بن عبد الله الحميدي
25	التشكيل الفني	دراسات	د.أحمد حالو
26	الشخصية الروائية	دراسات	كاملة بنت سيف الرحبي
27	يوم على تخوم الربع الخالي	قصص	خليفة العبري
28	فيض الإحساس	شعر	حبراس بن شبيط السمائلي
29	مرارة الذيب	رواية	د. خالد بن سليمان الكندي
30	حكايات عمانية	قصص	-
31	غياب على شرود الظل	نصوص	مريم السيابية
32	حياة بين زمنين	رواية	سالم الجابري
33	بيت وحيد بصحراء	قصص	يحيى سلام المنذري
34	أبجد هوز قواعد موسيقية	موسيقى	فكرة والحان د.ريهام توفيق /أشعار: نورة البادي/ توزيع: أحمد الجوادي
35	SALMA'S STORY	Biography	Mohammed bin Saif Alrahbi
36	LE DETECTIVE	Novel	Khalid Ben Soulayman AL-KINDI
37	فضاء حر	مقالات	سالم بن عبدالله الحميدي
38	علبة مسامير	مقالات	هلال البادي
39	ماحدث بعد ذلك	مسرح	هلال البادي
40	خطاوي الطير	رحلات	خلفان الزيدي
41	في الكتابة وآلأم	حوارات	منير عتيبه
42	سفر هو حتى مطلع الشمس	قصص	سمير العريمي
43	تقطعات منسية	نصوص	هاجر المحفوظي
44	رائحة لم ينتبه لها أحد	قصص	سعيد الحاتمي

إصداراتنا بالتعاون مع الجمعية العمانية للكتاب والأدباء

1	النباتات البرية في سلطنة عمان	علوم	يحيى بن سعيد القطيسي
2	ابن عربي عندما يكون الحب حائرا	دراسات	عثمان بن موسى السعدي
3	نظرية قدامة	دراسات	قاسم بن سالم آل ثاني
4	القرائن في التراث النحوي	دراسات	د. خالد بن سليمان الكندي
5	دولاب محمد	للأطفال	سميرة الخروصي
6	المشهد القصصي في الأردن	دراسات ونصوص	مجموعة كتاب أردنيين
7	الأيام الثقافية العمانية في الأردن	فعاليات	جمع وإعداد: أزهار أحمد
8	خناثة بنونة في المرايا المنعكسة	مقالات	مجموعة كتاب

إصداراتنا بالتعاون مع البرنامج الوطني لدعم الكتاب بالنادي الثقافي

1	النباتات البرية في سلطنة عمان	علوم	يحيى بن سعيد القطيسي
2	ابن عربي عندما يكون الحب حائرا	دراسات	عثمان بن موسى السعدي
3	نظرية قدامة	دراسات	قاسم بن سالم آل ثاني
4	القرائن في التراث النحوي	دراسات	د. خالد بن سليمان الكندي
5	دولاب محمد	للأطفال	سميرة الخروصي

إصداراتنا بالتعاون مع الجمعية العمانية للمسرح

1	الآخر في المسرح العماني	دراسة	د. كاملة بنت الوليد الهنائية د. سعيد بن محمد السيابي

طبع بمطابع مؤسسة عمان للصحافة والنشر والإعلان

د. آسية البوعلي.



باحثة وتعمل مستشارًا للعلوم الثقافية بمجلس البحث العلمي ، بموجب أمرٍ سامٍ من لدن صاحب الجلالة السلطان: قابوس بن سعيد المعظم.صدر لها هذا الكتاب طبعة اولى باللغتين العربية والإنجليزية.لها ستة بحوث مُحكمَّةفي النقد الروائي والقصة القصيرة والأدب الشعبي ،بالإضافة إلى خمسة بحوث في النقد بصفة عامة. كتبتُ أكثر من ثمانين مقالاً في شتى مجالات الفنون.شاركت في حوارات إعلامية ومؤتمرات علمية وندوات ثقافية ومهرجانات فنية على المستوى المحلي والإقليمي والدولي ، فضلاً عن مشاركتها في الأعمال التطوعية ،تم منحها شهادات شكر وتقدير على الصعيد العربي والدولي.

لمزيد من التفاصيل راجع: asyahalbualy.wordpress.com

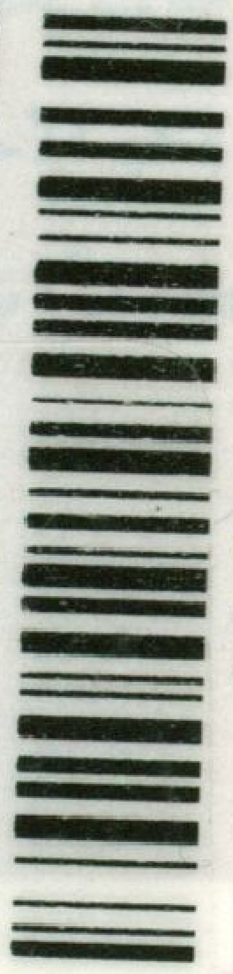
الرائدة أ. د فاطمة سالم سيف المعمري (1911 - 2002م)

: دراسة تاريخية وثائقية أكاديمية .

إنني أضع بين يديْ القارئ الكريم هذا الكتاب الذي يتناول سيرة الآخر ليتبين بين دفتيه كيف تسنى لامرأة عُمانية مصرية أن تعتلي أعلى المراتب ، لتصبح رمزًا من رموز الثقافة في عصر آمن بريادة المرأة والفكر المستنير.

والحقيقة التي لا تغفلها البشرية هي أن اليوم والغد ما هما إلا الأمس بمرجعية تاريخية ، والتاريخ بما يتخذه من شخوص وأماكن ومشاهد وأحداث ، موضعًا للرصد ، قد يغير أو يطمس أو يسهو —في متاهات
— عن كثير من التفاصيل ، كبيرها وصغيرها. من ثم يتبلور الهدف الذي يرمى إليه هذا الكتا
بحق الآخر في التخليد والكشف الأمين عن أعماله وآثاره ، خوفًا من عامل الزمن ، الذي قد
يشكل بداخلنا معانٍ عظيمة وقيمًا بنّاءة.

وهذا الآخر هو الراحلة الأستاذة الدكتورة: فاطمة بنت سالم بن المعمري (2002-1911م).





بيت الغشّام
للنشر والترجمة

ISBN 978-99969-55-48-8

9 789996 955488